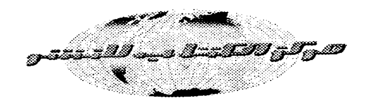
الإنسان وعلاقته
بالملائكة والجان

فضيلة الشيخ
منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف للمساجد
وشئون القرآن السابق

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



الطبعة الأولى
٢٠٠٢ م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾

[البقرة : ١-٥]

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين .. نحمده سبحانه وتعالى ونستهديه .. ونتوب إليه ونستغفره .. ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. ونسأله سبحانه أن يأخذ بيدنا إلى طريق الخير.. ويهدينا إلى صراطه المستقيم .. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله .. أرسله الله بالهدى ودين الحق.. وأنزل عليه القرآن .. كتاب أحكمت آياته .. فيه نبأ من قبلنا.. وخبر ما بعدنا.. وحكم ما بيننا .. استمعت إليه الجن .. فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً .. فالقرآن الكريم معجزة النبى محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة .. حيث خُتمت الرسالات والنبوات .. فلا رسول ولا نبى بعد النبى العظيم محمد ﷺ .. وخُتمت الكتب السماوية بالقرآن الكريم .. ونزل قول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣] .. ومن لحظة نزول القرآن إلى أن خُتم وحى الله إلى أن تقوم الساعة وهو معجزة النبى العظيم .. ولقد أصبح القرآن حجة الله على الإنسانية لأنه الكتاب الذى لا ريب فيه .. من قال به صدق .. ومن حكم به عدل .. ومن دعا إليه هدى إلى صرط مستقيم..

صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى تلقى القرآن من ربه ونقله إلينا بدقة وأمانة وصدق وفطانة .. لم يزد فيه حرفاً .. ولم ينقص منه كلمة لأن الذى أنزله إليه قال له ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] .. لهذا نقل الرسول ﷺ القرآن إلى أصحابه الذين تلقوه منه بقبول حسن فحفظوه فى صدورهم وكتبوه بأيديهم .. وكانت مراجعة القرآن بدقة وأمانة .. حيث إن سيدنا جبريل أمين

وحى السماء كان يراجع القرآن مع النبى ﷺ مرة فى شهر رمضان من كل عام .. وفى العام الذى انتقل فيه الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى تمت المراجعة مرتين ليكون القرآن بين الناس كما نزل من رب الناس .. ولهذا قال مُنزِّله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ويقول سبحانه فى حق من تلقاه: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٥٢]

لهذا قامت الحجة بالقرآن على الناس لأنه كتاب يتحدث عن كل شىء .. وأنت أيها الإنسان عندما تقرأ فى القرآن كأنك تقرأ فى طوية نفسك .. وعندما تستمع إليه كأنك تستمع إلى همس خاطرك .. والقرآن الكريم كتاب لا ريب فيه .. يحدثك عن الماضى ويقص عليك من أنباء السابقين فكأنك تعيش معهم.. ثم ينتقل بحديثه معك عن عالم الغيب فتحس به وتشاهده ببصيرتك وتلمسه بأحاسيسك وكأنك تتعايش فى هذا العالم لأن الحديث حديث صدق ودقة لأنه حديث رب العالمين الذى خلق كل شىء وأحاط بكل شيئاً علماً .. ويتحدث القرآن معك عن المستقبل فكأنك انتقلت إلى هذا المستقبل وبدأت تلحظ التطور الزمنى وأن الكوكب الأرضى الذى تعيش عليه بدأ يأخذ زينته وأن العالم أجمع أصبح بين يديك نتيجة التقدم الصناعى والتطور التكنولوجى.. وأنت فى دوامة هذا التطور تشعر بقبضة الله عليك وأنك تحت مشيئته لأنك لن تستطيع رغم التطور العلمى والتقدم الهائل أن تدرأ الموت عن نفسك بل أنت تسمع القرآن وهو يقول لك : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]

والقرآن وهو ينقلك بين الماضى والمستقبل لا يغفل الحاضر فيضع لك من التشريعات التى تصون المجتمع من الاضطراب ويحثك إلى التمسك بالأخلاق

والآداب العامة والقيم العالية والمثل النبيلة الرفيعة ما يضمن بذلك حب الناس لبعضهم وتعاونهم على البر والتقوى .. لهذا تركنا رسول الله ﷺ بالقرآن وهديه على المحجة البيضاء .. كما أن سيرته العطرة وأقواله وتوجيهاته تنير لنا الطريق وتصحح لنا المفاهيم وتبين لنا علاقتنا بالعالم الغيبى الذى يعيش معنا فى هذا الكون وهو .. (عالم الملائكة) و (عالم الجن).

والذى بين يديك توضيح لهذا العالم كيف نتعايش معه وإن كنا لا نراه إلاّ أنه عالم قائم بنظامه وتنظيماته وله بنا صلة نتعرف عليها من هدى الله ورسوله.. ومن أصدق من الله حديثا .. لأنه القائم على كل نفس وبيده الأمر وهو على كل شىء قدير ..

والكتاب الذى بين يديك من ثلاثة فصول الأول عن الإنسان، والثانى عن الملائكة، والثالث عن الجن .. معتمدين فى بيان ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية لأنها الأصل فى بيان هذا..

والله ولى التوفيق..

منصور الرفاعى عبيد





الفصل الأول

الإنســان



الفصل الأول
"الإنسان"

عن أبى هريرة رضي الله عنه . . أن النبى ﷺ قال: « إن الله خلق آدم من تراب . . ثم جعله طيناً . . ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوّره ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار كان إبليس يمر به فيقول : لقد خُلقْت لأمر عظيم ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول شىء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه . . فعطس فلقّاه الله حمد ربه . . فقال الرب . . يرحمك ربك . . ثم قال يا آدم اذهب إلى أولئك النفر فقل لهم وانظر ماذا يقولون . . فجاء فسلّم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله . . قال يا آدم هذه تحيتك وتحية ذُريتك . . قال يا رب وما ذريتى؟ قال اختر يَدىّ يا آدم . . قال اختار يمين ربى وكلتا يدىّ ربى يمين فبسط الله كفّه فإذا كل ما هو كائن من ذريته فى كف الرحمن عز وجل»[1]

"من إلهامات الغيب"

من الأسس القوية التى تُبنى عليها العقيدة الإسلامية الصحيحة (الإيمان بالغيب) والغيب كل شىء غاب عن بصرك ولم تدركه حواسك لكن القرآن حدثك به . . أوصحة رواية حديث . . عن رسول الله ﷺ يتحدث فيه عن الغيب فصاحب العقيدة السليمة الصحيحة يصدّق على الفور ويعلن إذعانه لم استمع إليه ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿٥١﴾ ﴾ [النور: ٥١] . . وطاعة الله ورسوله تحقق للإنسان السعادة والفوز العظيم . . وصدق الله العظيم ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا**

(١) قال البوصيرى: رواه أبو يعلى بسند ضعيف لأن فيه اسماعيل بن رافع . . لكن البخارى قال عنه : ثقة مقارب الحديث . .» انظر ص ٢٧٠ من كتاب المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ بن حجر العسقلانى جـ٣.

عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١] . . وقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى وجوب الإيمان بالغيب وأن المصدق بذلك هو من المتقين فقد جاء فى مطلع سورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ١ - ٣] . . ويقول سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وخلق آدم عليه السلام تَمَّ فى الملأ الأعلى فعندما أصبحت الأرض صالحة لاستقبال الكائن البشرى أعلن الحق سبحانه وتعالى فى هذا الملأ هذا الخبر وعلمت الملائكة وقد خلقهم الله سبحانه وتعالى وأسكنهم هذا الملأ العلوى وكان الخبر يتلخص فى (أنّ كائناً بشرياً سوف استخلفه على الأرض وسيتولى قيادة هذا الكوكب) هذا الكائن البشرى الذى أعلن الله عنه هو من طينة الأرض. . إذاً . . فهو أرضى المولد . . من الأرض ينشأ وهى وطنه وعلى الأرض يتقلب وفى شئونها يتصرف . . بهذا اقتضت مشيئة الله وهو صاحب الأمر . . لا معقب لحكمه . . ولا اعتراض على أمره بل لا بد من التسليم من كل كائن مخلوق تلقى هذا الخبر ويريد أن يحقق لنفسه سعادة الدنيا وفلاح الآخرة وإلى هذا أشار الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠] . . والملائكة لا تعترض - لأنهم لا يعصون لله أمرا- لكنهم يستفهمون استفهاماً حقيقياً فهم لا يدركون الحكمة من هذا الخلق لهذا أوضح الله لهم الأمر بقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ .

لقد تم هذا الحوار فى الملأ الأعلى ولم يكن لأحد به علم . . لكن الحق سبحانه وتعالى أخبرنا به فى القرآن ليفحم الذين ينكرون رسالة سيدنا محمدﷺ ويشككون فى القرآن . . لذلك يقول القرآن وهو يرد على هؤلاء المشككين ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾ [ص: ٦٨-٧٠] . . أى أن

هذا النبأ الذى أحدثكم به عند خلق آدم ليس من عندى . . وإنما هو من عند الله . . وأنتم لا تصدقون . . فما هو إذاً قولكم فى هذه الأخبار السماوية وتلك الأحداث التى وقعت فى عالم غير منظور لنا ولا مسموع . . وأنا معكم على هذه الأرض وليس لى أى علم بما كان يجرى فى الملأ الأعلى من موقف . . الملائكة . . وإبليس . . وآدم . . ومن توجيه الله للملائكة ومعهم إبليس أن يسجدوا لآدم . . سجود تحية وتقدير . . أنا بَشَرٌ مثلكم لم أشهد هذا الموقف . . هذا كلام جاء من توجيه الله لرسوله ليُبيِّن للذين ينكرون القرآن أن الذى يخبرهم رسول الله ﷺ به هو وحىٌ من الله وهو يُبلِّغه ولا يستطيع أن يزيد كلمة أو ينقص كلمة . . لهذا لم يكن للرسول ﷺ علم بما جرى فى الملأ الأعلى إلا ما أخبر الله به سبحانه . . وأنه إذا كان على الأرض من يكفر بالله وآياته . . ويكذب النبى ويرفض وحى الله إليه فإن لهم جهنم يلقاها ويدخلها مذموماً مدحوراً كما هو الحال فيمن عصى أمر ربه فى الملأ الأعلى وهو عالم النور والصفاء والطهر لكن هناك فيه من خرج على طاعة ربه وتمرد واستكبر فطُرد من رحمة الله وعفوه وأصبح من أشقى الأشقياء . . بل هو قائد مدرسة المشاغبين والمنحرفين والضالين لذلك أصبح من المنظرين إلى يوم معلوم يلقى فيه جزاءه علاوة على شقائه وحرمانه فى الحياة الدنيا . . وإذا كان فى الملأ الأعلى ملائكة مُقربون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فإنه فى العالم الأرضى كذلك من يسمو بروحه ويخلص فى عبادته لربه ويبتعد عن الإفك والضلال والانحراف . . ويمشى على الأرض بُخُلق السماء . . ويتطلع إلى السماء بحسن السعى على الأرض . . وتعالوا بنا نرى قصة خلق آدم وسبب هذا الصراع . .

« قصة خلق الإنسان »

القرآن الكريم . . كتاب أحكمت آياته . . نزل به الروح الأمين . . حيث تلقاه من رب العالمين . . وأصبح سيدنا جبريل أمين الوحى . . وقد نقل وحى الله بدقة وأمانة إلى سيدنا محمد ﷺ الذى نقله إلى الأمة الإسلامية . . بدقة وأمانة وفطانة . . وأصبح هذا القرآن الكريم . . فى حياة المسلمين . . كتاباً مقدساً . . لأنه

كلام الله المنزه عن الخطأ . . وقد أمرنا الله بتلاوته . . أو الاستماع إليه . . ثم يكون التدبر فى تلك الآيات المحكمات . . لنتعرف على حقائق الكون الذى خلقه الله بإرادته وأودع فيه عجائب صنعه . . ودلائل قدرته.

وقصة خلق الإنسان قصة عجيبة . . لذلك ذكرها الله فى القرآن الكريم لتكون أمام أعيننا دائماً . . نتذكر . . أن الإنسان صنعة الله وخلقه . . لذلك ملعون من هدم صنع الله ودمرّ أى نوع من مخلوقاته . . ويتبين لنا من خلق الإنسان الشيء العجيب الذى يستولى على الإنسان ولُبِّه . .

والمأثور فى كيفية خلق الإنسان . . حسبما تناقلت الأخبار المشهورة . . وتواترت فى الرواية المأثورة . . وبعض الحكايات والأقوال . . حول قصة خلق الإنسان . . ونحن نعيش مع القرآن الكريم . . وما اتجهت إليه آراء المفسرين المختلفة . . استنباطاً واستدلالاً وفهما للنص القرآنى الكريم . . الذى سَمَّى الإنسان الأول بما يأتى:

١ - . . آدم . . عليه السلام . . وهو مشتق من أديم الأرض وهو وجهها لأنه خلق من أديمها فَسُمِّى بما خلق منه . . وقيل بأنه مشتق من الأُدمة . . وهى السُّمْرة . . وقيل: إنه مشتق من الأُدمة وهى البياض لأنه عليه السلام كان أبيضاً . .

٢ - إنسان . . سُمِّى آدم عليه السلام إنساناً . . لأنه نَسِىَ العهد الذى أُخذ عليه وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴿١١٥﴾ ﴾ [**طه**: ١١٥] . [(١)]

٣ - بشر . . سَمَّاه الحق سبحانه وتعالى بشراً حيث قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ** ﴿٧١﴾ ﴾ [**ص**: ٧١] . . وقد سَمَّاه الله بشراً لأنه

(١) راجع تفسير القرطبى فى ذلك ، ج١، ص١٩٢ وما بعدها.

سيباشر الأرض . . أو لأنه سيكون ظاهر البِشْرة . . أى أن جلده لا يكسوه صوف ولا وبر ولا شعر ولاريش ولا قشر . . فتكون بشرته ظاهرة للعيان[1].

٤ – خليفة . . لأنه سيكون قائماً بالخلافة عن الله فى الأرض وأنه سيتولى تنفيذ أحكام الله وأوامره وسيتحمل أعباء الشرائع السماوية المنزَّلة عليه ويتولى تبليغها إلى جميع الخلق . . لا . . لافتقار الله سبحانه وتعالى عن ذلك عُلواً كبيراً . . وإنما لأنه لا طاقة للبشر فى تلقى الشرائع السماوية من الله مباشرة بلا واسطة الأنبياء . . وكذلك كل نبى استخلفه الله فى عمارة الأرض فكان ذلك رحمة من الله بالعباد[2] وإلى ذلك أشار الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾** ﴾ [**الشورى**: ٥١ – ٥٢] .

٥ – سُلالة . . جعل الله نسل الإنسان من سُلالة من ماء مهين وإلى ذلك أشار الحق سبحانه بقوله: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾** ﴾ [**السجدة**: ٧ – ٨] . . قوله تعالى ﴿ **مِن سُلالَةٍ** ﴾ يعنى أن نسل هذا الإنسان سينشأ من سلالة فينسلُّ منه كما يَنْسلُّ السيف من غمده فينفصل عنه انفصالا تاماً فلا تعود هناك رابطة تربط بينهما إلا النسب[3] فالنقطة سلالة والوالد سَليل . . لأن النسل كائن من ماء مهين ضعيف . . يخرج من صلب الإنسان . . لكنه ليس ضعيفاً فى ذاته كما هو ضعيف فى صفاته لأنه يحمل كل صفات الإنسان ويجعلها فى نسله لذلك

---

(١) راجع فى ذلك : حاشية الصاوى على الجلالين، جـ٣، ص ٣٦٣ وما بعدها.

(٢) راجع فى ذلك : حاشية الصاوى على الجلالين، جـ١، ص ١٩، وما بعدها.

(٣) فتح القدير للشوكانى، جـ٣، ص ٤٧٦.

فهو خلاصة الآباء وصفوتهم التى استخرجت من ظهورهم وسُلّت من أصلابهم وتلك هى الخلاصة التى أسماها القرآن الكريم (سُلالة) لأنها من السَّل وهو استخراج الشىء من الشىء فيقال سَلت الشعرة من العجين . . وهذه السلالة نتجت عن الطعام الذى نبت من الطين وكانت سُلالته طينيَّة وانفصلت عن أصلها . . باعتبار النطفة ناشئة عن الغذاء وهو ناشئ عن الطين . . وبخروج الماء المهين من جسم الإنسان سار هذا الماء نطفة وتتحول النطفة فى الأرحام إلى دم متجمد يلتصق بجدار الرحم ويعلق به لذلك تُسمّى (علقة) ثم تصبح هذه العلقة لحماً مائعاً طرياً ليس له شكل معينً، به تجاويف سطحية بسيطة متعرجة كالطعام الممضوغ بالأضراس لذلك فهى (مضغة) يُقرها الحق فى قرار مكين فتتحول إلى عظام يكسوها لحماً ثم تكون خلقاً آخر . . فتبارك الله أحسن الخالقين . . [(١)] وإلى ذلك أشار الحق سبحانه: ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾** ﴾ [**الرعد**: ٨]

ولما كان هذا الخلق الذى خلقه الله من السلالة الطينية سوف يتحمل رسالة التكاثر والتوالد بين الناس ويتأتَّى من وراء ذلك انتشار البشر فى الأرض ويكون ذلك بالتزاوج بين جنسين مختلفين من البشر كان من الضرورى أن يتشكل الخلق بين نوعين مختلفين من ذكر وأنثى ليتفرع الخلق عن هذا الأصل بذلك التنوع وتتم الرسالة البشرية فى نقل النوع من جيل إلى جيل عن طريق هذين الزوجين وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾**﴾ [**النساء**: ١] و﴿**مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ أى من شخص واحد هو آدم عليه السلام . . وخلق منه أمكم حواء وبثّ منهما بنين وبنات كثيرة لبيان كيفية توالدهم منهما[(٢)] . . إنه على عاتق هذين الزوجين يقع مسئولية توصيل النسل إلى الأجيال القادمة لإيجاد أسس العلاقات الاجتماعية بين الناس ولإحداث

(١) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص ٦٦٠و ما بعدها، وحاشية الجلالين، جـ٢، ص٣.

(٢) بتصرف من أنوار التنزيل للبيضاوى، جـ١، ص٢٠١ وما بعدها.

التكاثر والزيادة فى البشر . . وذلك لا يكون إلا بالتزاوج وبالمصاهرة بين هذين النوعين من النسل وقد رسم القرآن الكريم هذه العلاقة الاجتماعية فى إيجاز رائع وبيان قاطع فى قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** (٥٤) ﴾ [**الفرقان**: ٥٤] . . وقوله تعالى ﴿**نَسَبًا**﴾ تعنى الذكورة لأنهم أصحاب العصب الذين تنتسب إليهم ذرياتهم وأبناؤهم . . أما ﴿**صِهْرًا**﴾ فتعنى الإناث أى إنهن ذوات صهر ليس لهن عصب ولا يُنسب إليهن ولد ولكن يُصاهر بهن فقط . . فلهذا أسماهن الله صهراً وكان ربك قديراً . . أى على خلق الذكر والانثى من مادة واحدة . .

والحكمة فى تقديم النسب على المصاهرة . . أن النسب يبدأ منذ الولادة ويتحقق بمجيئ المولود فيظل هذا الولد منتسباً إلى أبيه طوال حياته وبذلك يكون نسباً . . حتى إذا شبَّ المولود وترعرع وصار فى سن الزواج وصاهر بمن يتزوجها فيصبح نسباً وصهراً فى آن واحد ثم يأتى بنسل جديد ينتسب إليه حتى إذا كُبُرَ هذا النسل يصاهر بالزواج أيضاً . . وهكذا تستمر الحياة نسباً وصهراً لتعمر الدنيا وكان ربك قديراً على هذا التباين وذلك لاختلاف فى الخلق فسبحان الله عما يصفون وتعالى عُلُواً كبيراً [1] . . تلك رحلة التزاوج والتكاثر فى الخلق وهى التى أرادها الحق سبحانه وتعالى عندما قال للملائكة ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ وقد اقتضت مشيئة الله أن تكون الذرية منفصلة عن أصلها انفصالاً تاماً فلا ترتبط حياة مولود ببقاء والده حيّاً، ولا تنتهى بموته فلكل نفس أجلها المعلوم المستقل بذاته . .

« كيف خُلِق آدم »

أخبر الحق سبحانه وتعالى الملائكة بأنه جاعل على الأرض خليفة وجاء النص القرآنى واضحاً وصريحاً بهذا الخبر فى قول الله سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [**البقرة**: ٣٠] . . فأشار الحق سبحانه وتعالى إلى أنه

(١) بتصرف من حاشية الصاوى على الجلالين، جـ٣، ص١٦٢ وما بعدها.

أخرج آدم من الجنة قبل أن يدخلها كما يفهم من قوله سبحانه :﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ . . وليس فى الجنة[1] . . ومن هنا فقد بعث الله عز وجل جبريل عليه السلام إلى الأرض لِيَأتِيهَ بتراب منها . . فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تُشيننى. . فرجع ولم يأخذ منها شيئا . . وقال. . يا رب إنها أعاذت بك فأعذتها . . فبعث الله ميكائيل فحدث معه ما حدث لجبريل - عليهما السلام- فبعث الله ملك الموت فعاذت منه . . فقال. . وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره . . فأخذ من وجه الأرض من التراب الأحمر والأبيض والأسود - ولذلك خرج بنو آدم مختلفين - فصعد به . . فقال الله سبحانه وتعالى له . . أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك؟ فقال. . رأيت أمرك أوجب من قولها . . فقال الله عز وجل . . أنت تصلح لقبض أرواح ولده[2].

وقيل . . بأن الله خلق رأس آدم عليه السلام وجبهته من تراب الكعبة . . وصدره وظهره من تراب بيت المقدس . . وفخذيه من أرض اليمن . . وساقيه من أرض مصر . . وقدميه من أرض الحجاز . . ويده اليمنى من أرض المشرق . . ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مرّ عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حُسْنِ صورته وطول قامته . . فلم يكونوا قبله قد رأوا شيئاً يُشْبِهُهُ من الصور. . فمر به إبليس اللعين فقال لأمر ما خُلقت ثم ضربه فإذا هو أجوف فدخل من فيه وخرج من دبره ثم قال لأصحابه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يتماسك ولا يثبت. . وأسَرّ إبليس عليه اللعنة فى نفسه لئن فُضِّلَ علىَّ لأعصينّه ولئن فُضِّلت عليه لأُهلكنّه[3].

---

(١) قصص الأنبياء للنيسابورى ص٢٨.
(٢) تفسير القرطبى، جـ١، ص ١٩٢.
(٣) قصص الأنبياء للنيسابورى، ص٢٢.

" فى البداية "

يتحدث القرآن الكريم وهو أصدق كتاب عرفته الإنسانية عن بداية خلق الإنسان فيقول: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ [**الحجر**:٢٦] . . فى هذه الآية عرض موجز لخلق آدم الذى كان خَلْقُهُ حَلْقَةً فى سلسلة التطور . . . وإذا كان الطين مبدأ خلق آدم فإنه قد تَنَقَّل فى هذا الطين من عالم إلى عالم حتى ظهر هذا الكائن العاقل وهو آدم أبو البشر . . والصلصال هو الطين الذى جف حتى صار له صوت وصلصلة والحمأ هو الطين المتعفن الذى تخمرّ فى ظروف معيَّنة وبدأ يأخذ بهذا التخمر صوراً وأشكالاً ولهذا وصف (بالمسنون) أى المسوَّى والمشكَّل فى أشكال وقوالب . . والقرآن الكريم يؤكد حقيقة علمية على كل إنسان أن يتنبّه لها هذه الحقيقة هى ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [**النور**:٤٥] . . فمن هذه الآية يُستدل على أن الماء أصل قبل التراب فى تكوين آدم . . أما عن الطين فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ** (٧١) ﴾ [**ص**: ٧١] .

وهذا يُشير إلى أن التراب هو المادة الأولى التى كان منها هذا الخلق وأن التراب تحوّل إلى طين ثم تحوّل الطين إلى طين لاذب . . أى زبد . . ثم تحوّل الطين اللاذب إلى حمأ ثم أخذ هذا الحمأ صوراً وأشكالاً فكان حمأ مسنوناً ثم تحوّل هذا الحمأ المسنون إلى صلصال كالفخار . . وهكذا سار الإنسان فى هذا المسار الطويل عبر ملايين السنين حتى ظهرت أول بشائر الحياة الإنسانية فى باكورة هذا الإنسان (آدم عليه السلام) . . إذاً آدم عليه السلام هو ابن الماء والتراب ففيه طبائع الأرض وينضح بما فيه . . ولا شك أن طبيعة التراب والماء يتولد منهما الطبائع البهيميَّة التى تُغرى بالعدوان والفساد . . وهذا ما جعل الملائكة يقولون هذا القول بين يدى الله عندما قالوا: ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ لأن هذا هو الذى يُتوقع

من ابن الماء والتراب . . لكن الحق سبحانه يكشف للملائكة عن ملكات زُوِّد بها هذا الكائن الترابى تشهد بقدرة الخالق العظيم . . لهذا كشف الحق سبحانه وتعالى للملائكة عن الاستعداد الفطرى لتفوّق آدم فى اكتسابه العلم الذاتى والذى يُنميه فى نفسه بالنظر والتأمل فيما حوله. . والملاحظة والتجربة لما يعايشه والمعاناة والمجاهدة وتحمُّله ذلك بصبر وأناة . . لأنه فى آدم أودع الله فيه من قدرة على الترقى والاستزادة من العلوم والمعارف بتوجيه ملكاته إلى النظر فى هذا الكون الذى خلقه الله على غير مثال سابق، وأودع فيه دلائل قدرته . . وبراهين عظمته . . فآدم سوف يلاحظ الأسباب والمسببات وربط العلل بالمعلولات . . لأنه سوف ينتقّل من طور إلى طور . . طور الحمل وإلى ذلك الإشارة بقول الحق سبحانه: ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ** ﴾ [**الزمر**: ٦] . . هذه هى أول مراحل الحياة بعد خلق آدم عليه السلام . . ثم تأتى المرحلة الثانية وهى الخروج إلى الحياة . . فيخرج الإنسان من بطن أمه . . ليس له يد تبطش . . ولا سن يقطع فترعاه رعاية الله وتهيئ له أسباب الحياة . . فيسوق إليه لبناً من صدر أمه يتناسب مع حجمه وقدرته وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [**النحل**: ٧٨] . . وأكد على الأم أن تقوم على إرضاع ولدها حتى ولو كانت هناك منغصّات عائلية. . وخلافات زوجية . . فعلى الأم أن تقوم بواجبها نحو المولود منها . . كما ينبه على الزوج أن يكون كريماً مع زوجته وفيّاً لها وذلك من باب رعاية الطفل الذى لا حول له ولا قوة . . بقول الحق سبحانه فى بيان هذا ﴿ **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ . .** ﴾ [**الطلاق**: ٦، ٧]

والإنسان بعد ذلك يتطور من الصبا إلى الشباب إلى الكهولة والشيخوخة وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ**

جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم: ٥٤]
والإنسان فى كل طور من أطوار حياته يكتسب معارف جديدة يُعينه ذلك على اكتساب معارف أخرى ومهارات . . ويتلقى كل جيل من الجيل الذى قبله معارفه وتجاربه ثم يضيف إليها الإنسان معارف جديدة اكتسبها من تجاربه مع التطور فى ركب الحياة وحيث يتم الاستكشاف عن أشياء لم تصل إليها أيدى السابقين . . لهذا كشف الحق سبحانه وتعالى عن بعض علمه عن هذا الإنسان الذى خلقه بيده ثم كرّمه بأن نفخ فيه من روحه فسما بهذه الروح إلى الملأ الأعلى وتميز عن جميع الكائنات بالعقل والإرادة، وبهذا استحق الخلافة على الأرض يتولى إصلاحها وعدم الإفساد فيها مع ضبط الأمور وعدم التفلُّت . . وسياسة شئون الحياة بكياسة ولباقة وفهم يُطوِّع ما فى الكون لإرادته . . ولهذا قال الحق سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]

" نفخة الروح "

آدم عليه السلام خلق من طين ذلك ما يقرره القرآن . . ولكن الحق سبحانه نفخ فيه من روحه، وبهذه النفخة دبَّت الروح فى آدم بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص: ٧١ ، ٧٢] . . وهذه الآية تُبيِّن بجلاء ووضوح أن آدم عليه السلام لم يظهر من الطين ظهوراً مباشراً وإنما ظل دهوراً طويلة فى بوتقة الزمن حتى استوى . . فالفاء فى قوله فإذا سويته تفيد التعقيب ولكنه تعقيب يأخذ من عمر الزمن ملايين السنين ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧] . . إن الملائكة كانوا يشهدون هذا الطين يتحرك فى أحشاء الزمن . . ثم يكون أعجب مولود بعد نفخ الله فيه من روحه ثم ينطق ويعقل ثم تتعلم الملائكة منه أسماء الأشياء، وهذا من فضل الله وتكريمه لهذا المخلوق العجيب الذى كرّمه الله ورفع قدره وأعلا منزلته فى العالمين . . إن الحق سبحانه وتعالى وهو يعرض

علينا فى القرآن الكريم قصة خلق آدم . . لا شك أن العلم مهما بلغت درجته من التقدم . . والإنسان مهما بلغ رُقيُّه فى مجال التطور العقلى والاكتشاف والاختراع لكل العلوم والمعارف - العلم والعلماء - يقفان مسلِّمان فى خشوع وخضوع أمام هذا الخلق والإبداع بينما العقل المستنير يُسلِّم راضياً مستسلماً لكل ما يقرره القرآن من حقائق . . والقرآن قد أحاط بقضية خلق آدم وجاء بها على الوضع الذى يلتقى مع الحقائق العلمية فى أصدق وجوهها . . وانظر إلى ما قال القرآن:

١ - يقول الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥].

٢ - ويقول سبحانه: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣ ، ١٤]

٣ - ويقول سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [نوح: ١٧].

٤ - ويقول سبحانه: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧]

فالإنسان إذاً هو ابن هذه الأرض ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

(يقول الإمام البيضاوى فى تفسيره عند قول الله تعالى: ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ أى من طين تغيرّ وأسود من طول مجاورة الماء) . . وفى هذا دلالة قوية على أن الأحياء كلها ومنها الإنسان مُخلَّقة من مادة واحدة . . هى الماء . . والماء هو المادة التى يتكون منها الطين إذ لا وجود للطين إلا مع الماء وبالماء . . لهذا كانت هناك صلة قوية بين الإنسان وبين عوالم الحياة يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ

﴿ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ [النور: ٤٥] . . وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

لو كان الإنسان من طينة غير طينة هذه الأرض لما كان له سبيل إلى الحياة عليها والانتفاع بموجوداتها . . هذا ومن المعلوم أن هذا الطين الذى خلق منه آدم هو الذى تتخلَّق منه أكرم الجواهر وأنفس المعادن من لؤلؤ ومرجان وذهب وفضة وغير ذلك . . وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله: « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» [رواه البيهقى].

إن الحق سبحانه وتعالى عندما نفخ فى آدم من روحه فقد انفرد آدم بهذا الشرف العظيم ودلَّ على مكانته السامية لهذا تنتقل الأحداث بعد ذلك إلى هذا التطور العظيم.

« معنى الروح »

إن الحياة الحيوانية أمر مشترك بين الإنسان والحيوان لكن الحق سبحانه وتعالى فضّل آدم بأن نفخ فيه من روحه فأرشدنا ذلك إلى أن هذا الكائن تميّز بخصوصية هيّأته ليكون سيد هذه الأرض المتصرف فيها فى كل ما ظهر وخفى وتتضح معالم هذه الحقيقة أن الحق سبحانه أسند النفخ إلى ذاته المقدسة فقال سبحانه: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ وهذا تعبيردقيق وعلينا أن نقف وقفة المتعلم ولا نناقش هذه النفخة التى أصبحت روحاً فى جسد آدم لأن الحق سبحانه قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

هذا وقد وردت الروح فى القرآن بمعان كثيرة منها:

١ - يقول الحق سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨].

٢ - قوله سبحانه: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ [القدر: ٤].

الكلام فى هاتين الآيتين عن روح عظيم من أمر الله لم يُبيِّن لنا الحق سبحانه ما المراد بالروح وإن كان بعض المفسرين هنا قالوا بأن الروح المقصود هو جبريل عليه السلام.

٣ - جاءت كلمة الروح فى القرآن الكريم بمعنى الوحى كما جاء فى قول الله سبحانه: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾ [**النحل**: ٢]. ﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ [**النحل**: ٢].

٤ - جاء فى القرآن الكريم بأن الروح هو عيسى - عليه السلام - فالله تعالى يقول فى القرآن ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** ﴾ [**النساء**: ١٧١].

٥ - عندما نستعرض القرآن ونرى أن الروح عبَّر عنها القرآن بوضوح فى نصوص كثيرة ليس من الملائم أن تكون هى النفخة فى آدم عليه السلام . . وقد أكثر العلماء فى الكلام عن الروح التى نفخها الله فى آدم والذى يطمئن إليه القلب أن الله سبحانه عندما نفخ فى آدم بروح جعلت آدم عنده استعداد لأن يتحمل خصائص خاصة وصفات عالية، وبهذه النفخة يستأهل الإنسان لأن يكون خليفة الله فى الأرض . . ولهذا ورد فى الحديث أن الناس يوم القيامة من هول الفزع ورهبة الموقف يذهبون إلى آدم ليشفع لهم عند الله ويقولون له (أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه . . إلى آخر الحديث المروى فى الشفاعة فى صحيح مسلم)، وعلى هذا فإن النفخ فى آدم شىء خاص لم يكشف لنا القرآن عن حقيقته وإنما اكتفى بقوله سبحانه: ﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [**الإسراء**: ٨٥] . . ونحن نؤمن ونصدق بقول الله جل جلاله: ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾ [**ص**: ٧٢] . . ونحن نؤمن بأن الله عز شأنه إذ أسند النفخة إلى ذاته فهو نفخ غير مفهوم لنا حقيقته وليس على الهيئة التى تحدث منّا وتجرى بفعلنا وليُجنِّب الإنسان نفسه فى البحث عن تصور الهيئة التى جرى عليها النفخ فى الملأ الأعلى لأن كل ما خطر ببالنا فالله بخلافه . . لأنه سبحانه وتعالى له المثل الأعلى فليس كمثله شىء وهو السميع البصير . .

إننا نرى أن واقع الإنسان فى هذه الحياة يرشد ويُبيِّن إلى أن الإنسان ممتاز عن كل الكائنات بخصائص ترفع قدره وتُعْلى شأنه لأنه أُهِّلَ بهذه الخصائص والصفات أن يكون (سيد) هذه الأرض المتصرف فى كل ما فيها والذى يستخرج الكنوز التى أودعها الله فى الأرض ليطوِّعها لخدمته ثم ليستدل من وراء ذلك على أن الله واحد لا سلطان لأحد عليه هو صاحب الأمر والتدبير يقلِّب الليل على النهار وسخَّر الشمس والقمر خدمة لهذا الإنسان ونعمة عظمى من الواحد القهار الذى أعلن عن تكريم هذا الإنسان فقال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [**الإسراء**: ٧٠].

فالحياة فى آدم بعد النفخة ليست بحيوانية صرفة .. لأن الحياة الحيوانية أمر مشترك بين الإنسان والحيوان .. فلو كانت هكذا فليس هناك ما يستحق أن تسجد الملائكة لآدم حين يجرى فى بدنه الدم بسريان الروح، وإنما كان السجود بسبب السِّر اللطيف الذى سرى فى آدم بسبب النفخة فأضفت عليه بعض الكمالات التى لم ينلها الحيوان .. كما علّمه الله البيان وهذا من أسرار الله العظيمة فى الإنسان ورفع الله بذلك قدره واستخلفه فى الأرض ليصلح ويُعمرّ ويشكر الله الذى خلقه وصوَّره وأنعم عليه بنعم لا تُحصى ولا تُعد وقال له فى محكم التنزيل مذكراً بذلك ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩)** ﴾ [**النحل**: ١٧ – ١٩].

« عناصر الإنسان »

إذا كنا قد تكلمنا عن الروح لأن بها الإنسان إنسان. فالروح حياة الإنسان وإذا فقد الإنسان الروح فقد الحياة وعاد إلى أصله التراب والطين .. ولذا قال الشاعر:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ۞ أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها ۞ فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

ويتبين من هذا الشعر أن الروح هى الأصل .. لكننا لا نغفل العناصر التى

يتكون منها هذا الجسم . . وإذا كان الله تعالى قد خلقنا من سلالة من طين فالطين له عناصره ويظهر بوضوح أمامنا قول الرسول ﷺ: « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والطيب والخبيث» [رواه الترمذى].

إن الرسول ﷺ يوضح هنا جملة صفات الأرض التى خلق الله منها آدم ليرشدنا إلى الرابطة الرمزية بين طبيعة الإنسان وطبيعة الطينة التى خُلق منها . . فكما أن من الأرض ما هو سهل وجيد التربة ويخرج نباته جيداً فهناك كذلك من الأرض ما هو حزن بطبعه وأن الأرض سَبِخة لا تُنبت زرعاً ولا تجود بأى شئ فهى أرض جدبة، والأمر كذلك فى الإنسان فمن الناس من هو سهل واضح جيد العطاء كريم الأخلاق حسن العشرة يحترم الناس ويُنزل كل شخص منزلته . . وهناك المتوسط فى ذلك . . ومن الناس من هو عقيم الفكر مظلم النفس لا يجود بخير . . سفيه بذئ . . لأن الرسول ﷺ قال: « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض» . . والحق سبحانه وتعالى أرشدنا إلى هذه الطبيعة فى قوله سبحانه: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ [**الأعراف**: ٥٨] . . ونحن نعبرِّ عن ذلك بقولنا: «فلان أصيل . . لأنه من سلالة طاهرة . . وأسرة كريمة». ونعبرِّ بعد ذلك بقولنا: «فلان ليس بأصيل لأنه من سلالة نتنة . . وبخيل لأنه لا يجود بخير» . . وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» [رواه البيهقى].

فالرسول ﷺ فتح لنا باب الرمزية إذ يُبيّن لنا أن صفات طينة الإنسان لها ما يقابلها على سبيل الرمز فى صفاته البشرية « فسواد الحمأ » الذى جاء فى قول الله سبحانه: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ يقابله فى صفات الإنسان غموض . . وعدم وضوح . . وجنوح هذا الإنسان إلى التخفى بالدسائس والخديعة والغدر، وكل فعل يتسم بالجبن والخسَّة . . أما نتن الحمأ فيقابله كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال دنيئة كأن يهدر الإنسان كرامته ويتزلف لذوى الجاه ويتعامل بالنفاق والإتجار بالضمير ويتعاطى الرشوة ويختلس ويزوِّر إلى غير ذلك من كل خلق دنىء وعمل وضيع.

أما الصلصال . . فيدل على قلة التماسك وضعف الإرادة ويتهالك الإنسان ويتعب لتحقيق مطالبه الغريزية وأغراضه الدنيئة . . هذا ما تشير إليه طبيعة الطين فى مراحله لكن عندما كرّم الله الإنسان ونفخ فيه من روحه تطورت طبيعة الطينة إلى القيم العالية التى سجدت لها الملائكة لأنها أوجبت فى الإنسان . . الثبات على المشقة فى تحقيق المثل العليا وما يتحلى به الإنسان من أدب وخلق كريم وصنع المعروف ومساعدة الناس وفك ضوائقهم والتحلِّى بالصبر وكبح النفس عن شهواتها والسعى دائماً إلى تطهير النفس والابتعاد عن كل ما يحط من شأنها مع صحوة الإرادة ويقظة الضمير وعلو الهمة . . وإلى ذلك أشار القائل:

لو أن ما أسعى لأدنى معيشة ۞ كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكننى أسعى لمجد مؤثل ۞ وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

هذه هى خصائص الطينة فى الإنسان وخصائص الروح فى الإنسان. . وإذا كان الناس جميعاً قد خُلقوا من قبضة قبضها الحق من جميع الأرض ليس فيها اصطفاء لأحد . . وإنما الاصطفاء يكون بعمل الإنسان واجتهاده . . لأن الإنسان أُمر بالعمل وله حرية الاختيار . . فالإنسان مخير فى عمله بعد أن بين الحق له طريق الخير من طريق الشر وقال له بصريح العبارة (وقل أعملوا) ويُبيّن لنا أن الجنة التى يصل إليها الإنسان لن يصل إليها إلا بعمله وجدِّه واجتهاده ففى القرآن الكريم جاء قوله سبحانه لأهل الجنة: ﴿ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا** ﴾ [**مريم**:٦٣] . . وكذلك قوله سبحانه لأهل الجنة: ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [**الزخرف**: ٧٢] . . وكذلك قول الحسن البصرى: « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدّقه العمل . . وإن قوماً غرّتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم . . وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل» . . وما قاله الحق سبحانه وتعالى بوضوح: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [**فصلت**: ٤٦] .

إن الحق سبحانه وتعالى منحنا هذا الفضل حين نفخ فينا الروح فكان لآدم بهذا أفق عُلْوى يتضمن استعداد الإنسان لتحقيق مكارم الأخلاق . . لذلك نلحظ أن فى كل إنسان حقيقة لا تُرى بالعين ولا تُلمس باليد هذه الحقيقة تؤهله للارتفاع والارتقاء بأهدافه وغاياته العليا ولجوئه إلى الله عند حلول الشدائد لأن هذه الحقيقة لا تغيب عن أى شخص وهى . . أن الإنسان دائماً فى حاجة إلى الله فى العسر واليسر سواء أكان الإنسان فقيراً أو غنياً . . لكن افتتان الإنسان بمظاهر الحياة والجرى وراء ما فيها للحصول على ما يرفه به لنفسه أو يحقق من وراء ذلك لذة أو قضاء شهوة وفى أثناء ذلك قد يغيب عن بال الإنسان صلته بالله ولا يبقى فى وعيه إلا سلطان المادة ومنطق المُحسّات . . والإنسان وهو فى هذه الحالة قد قطع صلته بالله وانغمس فى بؤرة الفساد ورجع إلى أصله وطينته . . إن نزلت به مصيبة أو حلّت به مشكلة أو أحاط به قوة لا قبل له بها تجده يطلب النجدة من الله الذى منحه سر الحياة وربطه بالملأ الأعلى بعد النفخ فيه من روح الحق سبحانه . . لذلك تجده يرفع يديه إلى الله ويستغيث وإلى هذا أشار الحق سبحانه ليخبرنا بهذه الحقيقة ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)**﴾ [يونس: ٢٢ ، ٢٣] . . وكذلك قوله سبحانه: ﴿**قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤)**﴾ [**الأنعام**: ٦٣ ، ٦٤]

إنه من فضل الله سبحانه وتعالى أنه بيّن الأمور ووضّحها وبيّن طريق الخير من طريق الشر وتركنا بحريتنا لنختار بأنفسنا وقال لنا: ﴿**مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [**الإسراء**: ١٥] . . وقد بعث الله الرسل والأنبياء ليوضحوا معالم الحق وختم الأنبياء

والمرسلين بسيدنا محمد الذى عاش قائداً ورائداً للبشرية ويعيش فى ضمير أتباعه ووجدانهم رائداً ومعلماً . . وما على الإنسان إلا أن يستعمل عقله ويقرأ فى كتاب الله المسطور وفى الكون المنظور ويستفيد بما يجرى حوله من أحداث حتى لا يكون له حجة أمام الله يوم لا ينفع مال ولا بنون.

إن على الإنسان أن يخرج من ظلمة الطين وحمئه المسنون إلى نور العلم واليقين ويتمسك بالمثل العليا ليحيا فى حياته بخصائص روحه ويبتعد عن ظلمة الحس وطمث البصيرة وصدق الله العظيم: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٢٢﴾ ﴾ [**الأنعام**: ١٢٢] . . إن الذى يحيا على ضوء هذا النور العلوى فعليه أن يعمل على تربية نفسه ويستنبت فيها كل ما هو عظيم مع مجاهدة النفس لأنه من زرع حصد ولكل زرع ثمر فازرع فى نفسك الشجاعة مع التواضع ومجاهدة الباطل مع الرفق والسماحة وتعامل مع غيرك بالإحسان وجاهد نفسك على أن تحب للناس ما تحب لنفسك لأنه كما قيل من زرع ورداً جنى ورداً ومن زرع سنطاً جنى شوكاً. . ازرع فى نفسك ما يعجب الناس من سماحة خلق ولين طبع وعفو مع القدرة على المسىء . . إن دواعى البشرية فى كل فرد حقيقة دائمة فتعهد نفسك بالتزكية وضع أمام عينيك ما قاله الرسول ﷺ :« إذ سرّتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن» [رواه أحمد وابن حبان]. . لو كان الأمر بالإنسان أن يأكل ويشرب ويتمتع لأصبح منطقه منطق أنانية لأن رضاه وغضبه يرتبط بملئ معدته وقضاء لذته . . لكن أمر الإنسان غير ذلك فمع طعام المعدة طعام العقل وغذاء الفكر وسمو النفس. . ومن المؤكد أن الروح فى الإنسان ليس لها خليّة أو غدّة لذلك فإن غذاءها ليس من ثمار الأرض وإنما غذاء العقل والفكر . . والروح من آيات الله المسطرة فى كتابه المكنون أو المبثوثة فى الكون المنظور . . فكما يملأ الإنسان معدته بالطعام فليتمسك بصفات الحق وفضائل الخير حتى تنبت نفسه فضائل الأعمال وجليل الخصال. .

« وجودان »

كل إنسان فى هذا الكون له وجودان . .

١ - وجود حسِّى . .

وهذا الوجود يعتمد على ما يتقوت به الإنسان من أقوات هذه الأرض . . وقد ربط الحق سبحانه وتعالى الأسباب والمسببات وفق قوانين من طبيعة التربة والجو والماء . . فالزارع يزرع . . فإن قام على رعاية زرعه حسبما تمليه الطبيعة حيث دفع الماء إلى الزرع فى مواقيت محددة وبنسب معينة . . كما يبعد الحشائش عنها ويعمل على تقليمها وإزالة الزائد فى أغصانها فسوف تجود الأشجار بثمارها ويؤتى الزرع محصوله وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ** ﴿٢٤﴾ **أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا** ﴿٢٥﴾ **ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا** ﴿٢٦﴾ **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** ﴿٢٧﴾ **وَعِنَبًا وَقَضْبًا** ﴿٢٨﴾ **وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً** ﴿٢٩﴾ **وَحَدَائِقَ غُلْبًا** ﴿٣٠﴾ **وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** ﴿٣١﴾ **مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾ [**عبس**: ٢٤ - ٣٢]

والحق سبحانه وتعالى وضع قوانين دقيقة بحيث لا تنبت الشجرة ثمرها إلا وفق قانون محكم حيث تستمد من عناصر الأرض قيماً مختلفة ونسباً مقدَّرة بميزان دقيق من كل عنصر وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ** ﴾ [**الحجر**: ١٩] . . إن الذى يتأمل إنبات النبات من الأرض بدقة متناهية وحكمة خافية على عقول الناس . . ثم يقرأ القرآن يتبين له بوضوح أن هذا النبات . . بأشجاره المتنوعة لا يتكون كيفما اتفق ولكن . . الحقيقة التى يجب أن نعرفها أن وراء إنبات النبات من الأرض . . عناية الله وقدرته . . لأنه سبحانه بالإنسان رحيم رحمان . . فشجر التفاح مثلا لا ينبت برتقالاً . . فالثمر لا يتكون جزافاً وإنما يتم تكوين الثمر لكل شجرة ولكل زرع وفق قانون محكم يستصفى لكل شجرة أو زرع من عناصر الأرض الغذائية قيما مختلفة ونسباً مقدّرة بميزان دقيق . . ولا تملك أى شجرة أن تمتص من كل عنصر غير النسبة

المقدّرة لها كى تعطى ثمرتها لينتفع الإنسان بذلك فى غذائه وتفكهه وهذا الحكم يسرى على كل شىء وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) ﴾ [**الواقعة**: ٦٣ - ٦٥] . . وما أشار إليه الحق سبحانه وهو يحدثنا عن نعمه وأفضاله على الإنسانية ويبيّن لنا قدرته الفائقة فى إنبات النبات وإخراج الزرع والثمر بدقة متناهية حسب مشيئته هو سبحانه فيقول: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [**الرعد**: ٣ ، ٤] . . أرأيت إلى هذه الدقة المتناهية والغرض من ذلك أن تكتمل العناصر الأساسية الموجودة فى الأرض لتمد الإنسان بالغذاء فيحافظ على بناء جسمه حيث إن الأرض هو خُلق منها فيتغذى منها لتتم له بناء الأنسجة والخلايا التى يفتقدهما فى سعيه وحركة مشيه وقيامه وقعوده . .

"عناصر الطين"

عناصر الطين التى خُلق منها الإنسان يؤيده الواقع ويقره العلم . . خاصة بعد أن ظهرت أجهزة التحليل التى بدأت تحلل جسم الإنسان وتحلل تربة الأرض وتبيّن أن النسب التكوينية لتربة الأرض هى النسب التكوينية لجسم الإنسان . . فنسب العناصر فى جسم الإنسان هى هى بطبيعتها فى الأرض . . لهذا كان من فضل الله ورحمته أن هذه النسب الأرضية تنتقل عن طريق الغذاء إلى جسم الإنسان.

والغذاء إمّا نباتى أو حيوانى . .

فالنباتى مؤلف من عناصر الأرض حيث استمد عناصره من تربة الأرض . . والأطعمة الحيوانية كاللحوم بأنواعها . . فهى مؤلفة كذلك من عناصر الأرض حيث يعتمد الإنسان فى بناء جسمه على النبات.

لهذا عندما يموت الإنسان والحيوان والنبات تُبلى أجسامهم وتحلل إلى عناصرها الأولى وتعود إلى الأرض . . لتبدأ دورة جديدة . . وهكذا وصدق الله العظيم وهو يُشير إلى هذه الدورة: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه : ٥٥] . . لهذا كان زاد الإنسان الحسِّى هو ما قدّره الله لنا مما تُنبت الأرض.

٢ - وجود روحى . .

إذا كنا قد تكلمنا عن الوجود الحسِّى لأنه مرتبط بكل شىء محسوس من غذاء وشراب . . فهذا أمر مشترك بين الإنسان والحيوان . . ويتميز الإنسان بالوجود الروحى الذى به يسعى ليحقق مواهب عقله وسمو روحه فيما وراء المادة وهذا الوجود لا يدرك بالحواس العادية وإلى هذا أشار الحق سبحانه فيمن يغفل عن حياة الروح ويبتعد عنها ولا يقترب من ساحتها بأنه أعمى . . وقد يكون الإنسان سليم البصر قوى النظر لكنه لا يرى أى شىء فى عالم الروح يشير الحق إلى ذلك بقوله: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ، وقوله كذلك عن بعض الناس الذين حُشروا بلا أبصار وكانت أبصارهم فى الدنيا قوية فيتساءل الواحد منهم: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١٢٥ - ١٢٧] . . على هذا الأساس يتبيّن لنا أن المجال الحسِّى مضبوط بالشواهد التى تُحصى أفاقه وتميز معالمه ويقاس بأقيسة الزمان والمكان . . أما المجال الروحى وما له من مواهب وملكات لاسبيل إلى تحديده لأنه ليس له ضوابط من زمان أو مكان . . خذ مثلا المروءة . . لايسوغ أبداً أن نقسِّمها إلى ساعات أو نحددها بمكان . . كما أن العلم الروحى ليس بحاجة إلى بيان خصائصه بعد القرآن وهدى النبى - عليه الصلاة والسلام - لأنه علم قائم على استنباط الحكمة فى آيات الخلق وحب الإنسان للحق . . كما أن المجال الروحى فيه يستشعر الإنسان بضعفه وافتقاره إلى ربه مع صدق النيِّة وإخلاص الاتجاه ليشعر الإنسان بالصفاء النفسى ويعلـن عنئذ بينه وبين نفسه مـن

غير صوت ولا حرف أنه محتاج إلى فضل الله وعفوه مفتقر إليه ذليل بين يديه فيشعر الإنسان بسر خفى يسرى فى جسمه سرٌّ له نور أوضح من الشمس يقطع به الإنسان المسافة بين السماء والأرض فى أقل من لمح البصر . . ويعيش الإنسان على مائدة الحب لله . . وهو يتعامل مع الناس بما يرضى الله . . يجمع المال من حلال ويجعله فى يديه لا فى قلبه . . لأن قلبه مملوء بحب الله . . والمال فى يديه يُسخِّره لكل ما يُرضى الله . . بهذا السر الذى استمده الإنسان من الغذاء الروحى يمشى الإنسان على الأرض بخلق السماء ويتطلع إلى السماء بحسن السعى على الأرض . . وهذا أفضل للإنسان من غذاء البدن مع ضرورة المحافظة عليه لقول الله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧] . . ولا شك أن الإنسان الذى صفت نفسه وسما بروحه وابتعد عن الحرام . . قولاً وعملاً . . وعاش على هدى الأنبياء وتماسك بخلق الأولياء . . فأدّى واجبه بإتقان وعاش مع الناس بخلق كريم وأدب عالٍ . . يغض بصره ويحفظ فرجه . . ويصون لسانه . . ويعيش بعد انقضاء عمله وترتيب أموره . . مع ربه فى لحظة صفاء ودقيقة أُنْس . . لأنه يعرف لله حقه . . لهذا تجد هذا الإنسان يعيش على رزق الله الذى يرزقه إيّاهُ من الأفق الأعلى لأن الله سبحانه يخلق بلا سبب . . ويبدع بلا مقدمات . . ويرزق من يشاء بغير حساب . . لأنه سبحانه سبب كل شىء . . وإرادته هى علّت الخلق . . لذلك فهو سبحانه لا يُسأل عمّا يفعل فهو سبحانه كما قال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠] . . ونحن نرى ونبصر أن بعض الناس أعطاهم الله بلا حساب بحيث أنه لا دخل لقانون الأسباب والمسببات ولا منطق الأرقام فى هذا العطاء لأنه سبحانه هو الذى يرزقنا من الأفق الأعلى حسبما قال سبحانه: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢ ، ٢٣] . . ولقد ضرب الله لنا مثلاً بالسيدة مريم وهى اليتيمة التى كفلها زكريا فكان إذا دخل عليها فى المحراب مكان تعبدُّها ولحظة صفائها وقربها بالله وأُنْسها به فكان الرزق المادى ينزل عليها رغداً بل إن الفواكه التى تأتيها ليست فى أوانها . . لهذا كان يسألها زكريا عليه السلام ويقول

لها: ﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧] . .

وهذه أرزاق عظيمة الشأن يمنحها الله لمن يشاء وهو سبحانه يفضل الناس بعضهم على بعض وتلك حكمة الله العالية فهو القائل: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل: ٧١].

وقد علّمنا الأدب بحيث لا يحقد أحدنا على الآخر . . ولا يحسد . . لأن الحسد هو تمنّي زوال النعمة من عند الغير وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤] . . وقال لنا معلماً: ﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨] . . ويقول سبحانه: ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢] . . فإذا كان هذا في الرزق الحسِّي فإن الرزق الروحي مواهب منه سبحانه لا تقاس ولا توزن ولو أن الذين وفقهم الله إلى هذا الغذاء الروحي تساومهم غيرهم ممن حرموا هذا الغذاء بملء الأرض ذهباً ليبيعوا لهم ما يجدونه من لذة وسعادة . . وراحة بال وسرور دائم . . ورضا وقناعة لرفضوا أن يأخذوا ملء الأرض ذهباً لأنهم يبيعون الخير كله . . ولن يعوضوه لذلك يقول ابن المبارك وهو من هو صفاء وإخلاصاً وزهداً وعبادة وتقوى وورع (نحن في لذة وسعادة وفرح دائم وسرور لو عرفها الملوك وأبناؤهم وأتباعهم لقاتلونا على ذلك) إنه بالسمو الروحي والغذاء العقلي يهتدي الإنسان إلى الخير وفعله ويمنحه الله العلم بلا معلم . . بشرط أن يأخذ بالأسباب لينهل من العلوم ومعارفها على قدر استطاعته . . بعد ذلك يُفاض عليه من علم العليم . . وصدق الله العظيم: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] . . ومع ذلك

التأييد فى مواقف المعارضة . . والنصر على العدو بجنود لا تراها العيون لأنه كما يقول الحق سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١] . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨] . . إن الإيمان بالله ومعرفة قدره والخشية لمقامه تقوى فى الإنسان الثقة بنفسه فيمنحه ذلك الثبات فى المواقف عند الشدائد . . والثقة بالله تُنجيه والأُنْس بالله يجعله يعيش فى عز بغير عشيرة . . وجاه بغير منصب . . وغنى بغير مال وقوة بغير جند وصدق الله العظيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾
[فصلت: ٣٠ - ٣٢]

وقوله كذلك : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقوله كذلك : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أرأيت أثر الغذاء الروحى فعلى الذين يريدون أن ينالوا العلم بغير معلم وأن يشبعوا بغير طعام عليهم أن يربطوا أنفسهم بالسمو الروحى لأنه مفتاح السماء . . إن الحق سبحانه كما خبَّأ أرزاق الناس فى الأرض وأمرهم بالسعى للحصول عليه وقال لهم: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠] . . ويقول سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] . . إذا كان هذا فى منطق المادة فإن الرزق الروحى فيما وراء المادة . . فى الأفق الأعلى . . وهذا ميسر لعباد الله لمن يريد منهم أن ينال من هذا الرزق . . ولا شك أن مفاتيح خزائن الأفق الأعلى هى (تقوى الله سبحانه) ولا شىء غير تقوى الله وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

إن القلب إذا أشرق بالنور الذى يحصل عليه بتقوى الله فإنه عندئذ تطوى للإنسان ما بين السماء والأرض فى لحظات وتجعل سُنَن الله أقرب إليه بالإجابة مما فى يده وصدق الله العظيم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] . . وعلى هذا الأساس فإن أحوال القلوب المؤمنة فيها سرٌ من أمر الله لا يجمعه اللفظ ولا يحيط به الوصف. . ففى الحديث القدسى «ومازال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به . . وبصره الذى يبصر به . . ويده التى يبطش بها . . ورجله التى يمشى عليها . . كنت له نوراً فى الظلمات . . إن دعانى لبيته. . وإن استغفرنى غفرت له . . وإن سألنى أعطيته» . . إن تقوى الله بها يستفتح الإنسان ما عند الله من أرزاق طيبة مباركة وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . .﴾ [الطلاق: ٢، ٣] . . ولقد أرشدنا الحق سبحانه إلى أن علينا أن نستفتح خزائن الرزق الحسِّى بالعمل ونستفتح خزائن الرزق الروحى بالرجوع إلى الله والتوبة والندم على ما فرط من ذنوب فيرشدنا ربنا إلى ذلك على لسان سيدنا نوح لقومه وهو ينصحهم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠- ١٢]

فالمطر الذى يُنزله الله من السماء له مقدمات معروفة وقانون محكم وسنة الله المهيمنة . . هذا المطر يمكن أن يستنزله المتقون حين يضرعون إلى الله مستغفرين لما فرط منهم من ذنوب . . وهذا هو السر الذى يصنع به القلب ما شاء الله ويصعد به الاستغفار إلى ملكوت السماء ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] . . ذلك شأن التقوى وما تصنعه فى دنيا الإنسان ، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] . . ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤] . . ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] .

لهذا كان التوجيه من الله لنا أن نتحلى بالتقوى وأن نتمسك بها فقال لنا: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

وإذا كنا نبيّن أن تقوى الله هى سر السر فى قلب الإنسان وعنوان الخير فى حياته فإننا نؤكد على الأخذ بالأسباب لأن تقوى الله سبحانه هى سبب يسعى به الإنسان فى مجاله الروحى . . فإذا أخذ الإنسان بتقوى الله وترك الأسباب الحسِّية فهو جاهل معطل لوجوده الواقعى . . وإذا أخذ بالأسباب الحسِّية فقط فهو جاهل معطل لوجوده الواقعى . . وإذا أخذ بالأسباب الحسِّية وترك تقوى الله تعالى فهو فاجر معطل لقوانين الحياة ومنهج بناء المجتمع لأن الحياة الروحية لا تُغنى عن الحسِّية والحسِّية ليست بكافية للارتقاء بالإنسان وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [**القصص**: ٧٧] . . إن الله يرزق الناس جميعاً فى الدنيا . . يرزق الطائع والعاصى لأنه سبحانه الخالق القادر لذلك ضمن الرزق لكل كائن فى الوجود فقال سبحانه: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [**هود**: ٦] . . وإذا كان الله سبحانه قد فضّل بعض الناس على بعض فى الرزق فهذا ليس من باب التفضيل فى الدنيا والآخرة . . فقد يكون الإنسان غنياً فى الدنيا فقيراً فى الآخرة . . وقد يكون الإنسان فقيراً فى الدنيا وفى الآخرة . . وقد يكون غنياً فى الدنيا وغنياً فى الآخرة . . فالأمر يتوقف على سعى الإنسان . . وتقواه لربه وإلى هذا أشار الحق﴿ **كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴿٢٠﴾ **انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ [**الإسراء**: ٢٠، ٢١] . . والإنسان منا مطالب أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً وتلك سُنَّة الله فى خلقه ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً . . إنه من كرامتنا على أنفسنا علينا أن نحيا فى حقائق الإيمان التى لا نفقد بها ذرّة من حقائق العلم الطبيعى ونذوق بها ما عند الله من خيرات . . لأن تقوى الله تجعل البركة فى معيشتنا وفى حياتنا ومن بركات الله أن محاصيل الأرض الزراعية من الثمار والحبوب تتضاعف . . كما أن الثمار والحبوب نفسها مباركة ببركة الله فلا تعطب ولا يسرع إليها الفساد . . لأن البركة كما تعمل فى المجال الروحى فأثرها فعّال فى المجال الحسِّى لأن تقوى الله تجبر

القصور فى الأسباب الحسِّية ولا تجبر التقصير من الإنسان إذا عطل الجانب الروحى وهناك مشاهد كثيرة حدثت فى واقع المجتمع البشرى بسر التقوى التى تحلى بها بعض الأفراد . . ولذا قال القائل:

ألا بالصبر تبلغ ما تريد ۞ وبالتقوى يلين لك الحديد

كل ذلك يتبيّن لنا من خلق آدم ونفخ الروح فيه وتكوينه من عناصر الأرض وهذا دليل القدرة الإلهية الذى أخبرنا بذلك لنكون على بيِّنة من الأمر . . ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حى عن بيِّنة.

إن الذى يتأمل الواقع يتحقق لديه ضآلة أفق المادة المحصور فيها الإنسان لأن نعيمها إلى زوال وسعادتها إلى فناء ولذتها تؤدى إلى شقاء ذاك أفق المادة المحصور فى التراب الذى خُلق منه الإنسان . . أما أفق الروح . . وهو سر النفخة . . فيكشف لنا عن أفق واسع له أسراره ومنه أرزاقه وفيه آياته . . نعيمه دائم وسعادته باقية ولذته لا تفارق صاحبها لأنه يعيش فى أسرار الحق ويرقى فى مدارج الجمال الروحى والسمو النفسى والصعود إلى أعلا، وصدق الله العظيم: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** ﴾ [**محمد**: ٢] . . وقوله سبحانه: ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا** ﴾ [**طه**: ١١٢] . . وقوله سبحانه: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [**النحل**: ٩٧] . . لهذا يتبيّن أن الذى حصر نفسه فى أفق المادة قد خسر خسارة كبيرة لا تعوض ولا يستطيع الإنسان أن يشترى سعادته بالمال لأنه عوّل على أفق المادة فقط . . أما أفق الروح فى الكيان البشرى فهو الأفق الذى أراد الله سبحانه أن يُعمرّه بالسر الذى نفخه فيه وهو أهم أفاقنا شأناً وأجلها قدراً وأعلاها منزلة . . وبهذا الأفق كانت مشيئة الله العظيم لهذه الأرض أن تحيا بالحق . . وأن يقوم البشر بهذا الحق وتدعيم قيم الخير والعدل والإحسان لنستنزل بذلك بركات الله ونفتح به خزائن السماء بما نحمل من مقومات التقوى التى تؤهلنا لأن نحيا مع

الأفق الأعلى ونعيش على الأرض نؤدى واجبنا ونجاهد فى سبيل تدعيم قيم الحق والخير والجمال حتى يُخيل لمن يرانا أننا حكام دولة السماء بالعدل والحب كما أن للأرض حكاماً يتحكمون فيها وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦] . . وشعار الذى يعيش مع الأفق الأعلى قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]

لهذا ننبِّه أنفسنا إلى الحكمة من خلق آدم وذريته أنهم خُلقوا لحكمة عالية ولأمر عظيم هو ما حدَّده الحق سبحانه فى قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] . . ولما كان الطين وحده لا يكفى ليتولى هذه المهمة كانت النفخة الإلهية فى الإنسان التى رفعت قدره وأعلت شأنه فكان هذا الإنسان المكون من مادة وروح.

« فى الملأ الأعلى »

من الأمور المؤكدة أن دواعى البشرية فى كل فرد حقيقة قائمة لا شك فيها ولكن للإنسان سلطاناً على إرادته يوجهها حيث شاء . . والإنسان قد هداه الله النجدين . . فإذا تعهد حظَّه الروحى بالرعاية والتزكية والسمو والترقى وجد سروراً فى نفسه وأماناً فى قلبه وثقة تدفع به دائماً إلى التقدم والسمو . . وصدق الله العظيم: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] . . والإنسان الذى يترقى يكتسب معارفه العلوية بالتفكير فى أفق الدلالات التى أمام عينيه . . ففى العقل خاصيَّة روحية تُبصر ما لله من دلائل القدرة وبديع الصنع فيكون حصيلة ذلك علم يُفاض على صاحب هذا التفكير يجعله قوى الصلة بالواحد الأحد فيحيا بوجدان يحب الإيمان ويكره الكفر ويعرف الإنسان غايته ويحدد هدفه ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ [العلق: ٨] . . إن الخير كل الخير هو حظ الإنسان من معرفته بالله . . لهذا . . عندما خلق الله آدم وصوّره فى

أحسن صورة ونفخ فيه من روحه ودبّت فيه الحياة وكانت لحظة فريدة هى ميلاد أول إنسان أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم وهذه أول صلة لآدم بالملائكة . . وهذا السجود ليس سجود عبادة . . لأن سجود العبادة لا يكون إلاّ لله . . لذلك لم يكن فيه وضع جباه الملائكة على الأرض كما نفعل نحن فى سجودنا لله . . وإنما كان سجود تحية وتكريم والإقرار بالفضل لله الخالق . . ونحن نقرأ فى القرآن نلحظ أن الكون كله يسجد لله فقد جاء على لسان سيدنا يوسف: ﴿ **إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** ﴾ [**يوسف**: ٤] . . ونقرأ كذلك قول الله: ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [**النحل**:٤٩]

ونقرأ كذلك قول الله: ﴿ **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** ﴾ [**الرحمن**: ٦]، فللسجود إذاً هيئات كثيرة تتنوع بأنواع الخلائق. . لهذا كان من معانى السجود فى اللغة التطامن والتواضع وخفض الرأس . . لهذا كان سجود الملائكة من باب المودة والتقدير لهذا المخلوق العجيب، وذلك من باب الكرامة من الله عز وجل لآدم عليه السلام تحية له حيث تطورت حياته وبلغ التطور غايته بظهور هذه السلالة الناضجة من ثمرات الحياة وبزوغ ميلاد أول مواليد النوع الإنسانى، وقد بلغ الكتاب آجله وسرت الحياة فى الطين وتوالدت الأحياء ببزوغ نجم النوع البشرى حيث تهيأ لقبول النفخة الإلهية التى هى منحة السماء للأرض فى يوم ميلادها لمولودها الأول الذى يدبر أمرها حيث يكون خليفة الله عليها «إن آدم عليه السلام عندما صوّره الله كان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم فزعاً إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوِّت الجسد كما يُصوِّت الفخار تكون له صلصلة، ويقول إبليس لأمر ما خُلقت»[تفسير القرطبى]. . ومن المؤكد أن آدم لم يجيء من الطين مباشرة وإنما كان ذلك بعد سلسلة طويلة من التطورات وبعد عمليات معقدة من التصفية استمرت ملايين السنين حتى انتهت بظهور الإنسان على تلك الصورة التى علا بها جميع أبناء سلالته وكان أهلاً لتلقى النفخة الإلهية يوم مولده وكأنها التاج الذى تُوِّج به ملكاً على العالم الأرضى كله

وصدق الله العظيم: ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٣، ١٤] . . إن الحق سبحانه وتعالى عندما دبّت الحياة فى آدم أمر الملائكة أن تسجد له وهذا الأمر الإلهى الصادر للملائكة واجب التنفيذ ولا مُعقِّب ولكن عندما دبَّت الحياة فى آدم وقبل السجود كان هناك سلام من آدم على الملائكة . . فقد ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال:« لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح وعطس فقال. . الحمد لله . . فحمد الله بإذنه . . فقال له ربه: رحمك الله يا آدم. . اذهب إلى أولئك الملائكة . . إلى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم. . فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله . . ثم رجع إلى ربه فقال. . إن هذه تحيتك وتحية بنيك من بعدك» [رواه الترمذى] . . لقد افتتح آدم عليه السلام وجوده بهذا . . عطس. . ونحن لا نحاول أن نعرف نوع هذا العطاس ولا نتكلف فى الحديث عنه. . لأن شئون الملأ الأعلى غير شئوننا . . المهم الذى يجب علينا أن نعرفه . . أن الحق سبحانه وتعالى أطلع رسوله على بعض الشئون التى دارت فى الملأ الأعلى. . والرسول ﷺ يقرب المعنى إلى أفهامنا . . فإذا كان آدم قد عطس وحمد الله . . لأنه رأى نعمة أوجبت عليه أن يفتتح أول عهده فى هذا الوجود بحمد الله سبحانه وقد شمَّته الله تبارك وتعالى . . وليس هذا التشميت بالصورة التى تكون بيننا فلله المثل الأعلا.

« تَعَجُّلُ آدم »

أكرم الله آدم الذى خلقه من طين . . ونفخ فيه من روحه . . وعندما سرت النفخة فى جسد آدم عليه السلام دخل الروح فى رأسه فعطس فقالت له الملائكة: قل الحمد لله . . فقال: الحمد لله . . فقال له الله سبحانه وتعالى: رحمك ربك. . فلما دخل الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما وصل إلى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن يبلغ الروح رجليه عجلان إلى الثمار من الجنة فذلك حين يقول الحق: ﴿ **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ [**الأنبياء**: ٣٧] [1].

(١) تفسير القرطبى، جـ١، ص ١٩٣.

وقيل . . لما قال الله لآدم عندما عطس يرحمك ربك . . وضع آدم يده على رأسه . . وقال: أوّاه . . فإنى قد أصبت ذنباً . . فقال الله له: وما أدراك؟ . . فقال آدم: لأن الرحمة للمذنبين . . فصارت فى ذريته . . وضع اليد على الرأس والتأوّه عند المصيبة[1] . . المهم . أن نشاطاً بدأ يدب فى جسد آدم تماماً كما يحدث للإنسان السليم المعافى كلما عطس ويرشد الحديث إلى صفاء الخاطر الذى أعقبه دفقة من الحيوية . . لأن عطس آدم دليل على أن ظلمة الركود قد ذهبت وأعقبها الشعور ببهجة الحياة وجمال ما أُفيض عليه من نعم الله سبحانه . . ولقد بدأ آدم عليه السلام يواجه هذا العالم فى الملأ الأعلى بخصائص بشرية . . فيسمع ويطيع ويتحرك . . وخصائص روحية يتجلى فيها الحمد والشكر والسلام . . وعلى هذا فإن استعدادنا الفطرى لمعرفة الله والإيمان به لم يتغير منذ عهد آدم ولن يتغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

« لباس آدم فى الجنة »

فى البداية وآدم فى المــلأ الأعلى كان لباسه هو وحــواء نوراً على كل منهما فلا يبصر أحدهما سوءة صاحبه . . فلما أكلا من الشجرة نُزع عنهما ذلك النور . . وقيل . . كان لباس آدم وزوجه فى الجنة من الياقوت . . فلما حدثت الذّلة منهما تقلّص ذلك اللباس عنهما وانحسر فصار أظفاراً[2].

(وقيل . . بأن ذلك اللباس كان غطاءً على الجسد من جنس الأظافر فُنزَع عنهما وبقيت الأظافر فى اليدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعاً . . ولذلك قالوا . . بأن النظر للأظافر حال الضحك يقطعه . .)[3] لأن الإنسان يتذكر الذنب الأول الذى بسببه خرج من الجنة.

---

(١) قصص الأنبياء، للنيسابورى، ص٢٤.

(٢) فتح القدير، للشوكانى، جـ٢، ص١٩٦.

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين ، جـ٢، ص٦٧.

" حـــواء "

تحدث الحق سبحانه عن خلق آدم وأنه مكون من جسد وروح وبيّن الحق سبحانه وتعالى أن الإنسان الذى خلق من التراب صار بعد ذلك بشراً يملأ الأرض، وفى القرآن الكريم ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ** ﴾ [**الروم**: ٢٠] فالتراب إذاً هو أول هذه الأطوار فى خلق الإنسان . . وانتشار البشر فى الأرض هو آخرها . . ولقد مكث سيدنا آدم وحيداً فى الجنة بعد أن أسكنه الله فيها دون رفيق أو أنيس من بنى جنسه . . فدخلت الوحشة إلى نفسه لأنه لم يجد فيها من يجالسه أو من يؤانسه . . وبعد فترة ألقى الله عليه النوم فنام فأخذ ضلعاً من أضلاع شقِّه الأيسر وخلق منه حواء لتكون زوجة له فيأنس بها وتأنس به . . قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ [**الأعراف**: ١٨٩] و﴿ **مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ هى نفس آدم عليه السلام ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ أى حواء قد خلقها من جسده . . و ﴿ **لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ يعنى ليطمئن بها ويميل إليها خاصة وأنها بعضاً منه كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه[١].

(وأصبحت السيدة حواء زوجة لسيدنا آدم بعد أن خُلقت من جسده . . ولتكون سكنا له فيألفها قلبه وتهدأ بها نفسه . . وقد أسماها الله (حواء) لأنها خُلقت من شىء حى . . هو آدم عليه السلام)[٢].

وقد قيل (بأنها سُمِّيت (حواء) لأنها أم لكل حى من البشر)[٣].

وقيل (سُمِّيت (إمرأة) لأنها أُخذت من المرء أى من آدم عليه السلام)[٤].

وكانت طريقة خلق السيدة حواء . . نوعاً من الأنواع الأربعة التى خلق الله بها البشر جميعاً . . وذلك دليل على كمال قدرة الله سبحانه . . فقد خلق

---

(١) تفسير النسفى، جـ٢، ص٨٩.

(٢) تفسير القرطبى، جـ١، ص ٢٠٧.

(٣) فتح القدير للشوكانى، جـ١، ص ٧٠.

(٤) تفسير القرطبى، جـ١، ص٢٠٧.

الله آدم عليه السلام من غير ذكر ولا أنثى . . وخلق السيدة حواء من ذكر بغير أنثى . . وخلق المسيح عليه السلام من أنثى بلا ذكر . . وخلق الله بقية الخلق من ذكر وأنثى بالتزاوج وهذا ما عليه سُنَّة التكاثر فى الخلق فى الحياة الدنيا ليبُثّ الله عز وجل من ذرياتهما رجالاً كثيراً ونساءً فيعمروا الأرض[1] . . وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١] . .

خرجت السيدة حواء من ضلع آدم عليه السلام من غير ألم له أو معاناة منه . . ودون أن يشعر بذلك . . وقيل . . بأنه لو أحَسَّ آدم بأى ألم أو مشقة لما عطف رجل على امرأة قط . . ولكن الله شمل جميع الخلق بعظيم رحمته فانتشرت المودة والرحمة بين الذكر والأنثى وأصبحت المحبة والشفقة هما أوثق رباط بين الزوجين فإذا تخلف هذا الشعور أو ذلك الإحساس عند أحدهما أو كليهما فلن تستقيم لهم الحياة هنيئة ولن يسكن بينهما حال أبداً . . لهذا قال الحق سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١][2].

(لما قام سيدنا آدم من نومه وجد حواء بجواره تتسم بالبهاء وحسن الهيئة مالت إليها نفسه وتحركت نحوها مشاعره وأراد أن يأنس بها ويسكن إليها إذ طالت به الوحدة . . واشتدت بنفسه الوحشة فمدّ يده إليها . . فقالت له الملائكة تمهل يا آدم حتى تؤدى مهرها . . قال . . وما مهرها؟ قالوا . . أن تصلى على محمد ﷺ ثلاث مرات . قال . . ومَنْ محمد؟ قالوا . . آخر الأنبياء والمرسلين من ولدك . . فلما فعل . . أمره بِخِطْبَةِ النكاح فخطبها وشهدت الملائكة لهما . .)[3].

---

(١) حاشية الصاوى على الجلالين، جـ٣، ص٣٤.

(٢) فتح القدير للشوكانى، جـ١، ص٢٠٧.

(٣) قصص الأنبياء، للنيسابورى، ص٢٥.

وورد . . (أنه ليس المقصود من طلب المهر من آدم عليه السلام هو حقيقة المهر، وإنما هو لإظهار قدر محمد ﷺ لآدم من أول لحظة)[1].

(ولم يكن خلق السيدة حواء من آدم عليه السلام تفرعاً عن الأصل فتنتسب إليه مثل تفرع الولد عن أبيه فينتسب إليه . . لكنها نبتت من ضلعه كما تنبت النخلة من النواة . . فكانت من آدم بمثابة الفسيلة التى نبتت من النخلة . . فلا يحكم عليها بأنها بنت آدم، ولا يُقال لها أخت أولاده . . بل هى أمهم ولا غير ذلك)[2].

آنَسَتْ السيدة حواء زوجها آدم عليهما السلام وأَنِسَتْ به . . وقد أمرهما الله عز وجل بسكنى الجنة وأن يأكلا من كل أشجارها إلاّ شجرة معينة حددها لهما وجاء ذلك فى قول الله سبحانه: ﴿ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**الأعراف**: ١٩].

(ونلحظ أن الأمر الإلهى فى هذه الآية الكريمة بالسُّكنى فى الجنة لسيدنا آدم عليه السلام بمفرده ﴿ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ** ﴾ ذلك لأن الله خلقها ليسكن هو إليها فإن سكن هو الجنة فكانت هى تابعة له بالضرورة فى هذا السكن . . إذ لا يتحقق له السكن فى سكناه إلاّ معها أما فى الأكل من ثمار الجنة والنهى عن شجرة معينة فيها فقد جاء بقوله: ﴿ **فَكُلا** .... **وَلا تَقْرَبَا** ﴾ ذلك لأنهما مشتركان معاً فى الخطاب وأن كلا منهما خاضع لتنفيذ الأمر الإلهى واجتناب نهيه إذ من الممكن أن يحدث الأكل من أحدهما دون الآخر)[3].

وقد أشار المفسر فى نفس الموضع . . إن قيل . . كيف يأمر الله سبحانه وتعالى آدم بسكنى الجنة بقوله: ﴿ **اسْكُنْ** ﴾ وهو موجود فيها أصلاً!!؟

فنقول . . بأن المقصود من هذا الأمر هو الاستمرار فى السكن والمداومة عليه . .

---

(١) حاشية الصاوى على الجلالين، جـ١، ص٢٣.

(٢) حاشية الصاوى على الجلالين، جـ١، ص ٢٠٠.

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين، جـ٢، ص٦٦.

« مظاهر التكريم لآدم »

تتجلى مظاهرالتكريم لآدم عليه السلام بأن الحق سبحانه وتعالى أخبر الملائكة بأنه سبحانه: ﴿ جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠]. . وهذا القول من الله للملائكة. . تعظيم لشأن المجعول . . حيث بَشَّرَ الله بوجوده سُكّان ملكوته ولقَّبه بالخليفة عنه قبل خلقه لإظهار مكانته وفضله . . وإذا كانت الملائكة قد تعجبت من هذا الخلق الجديد الذى سيخلق من تراب الأرض وهم يعلمون بأنه لا يخلق من تراب الأرض إلاّ من كانت صفاته الإفساد وسفك الدماء لأن مظاهر التراب. . مادة مظلمة ثقيلة . . وعناصره ومكوناته يجعل المخلوق منه يركن إلى الأرض وتغلب عليه قوة غرائزه التى تسيطر على أفعاله. . وقد حكمت الملائكة كذلك على وصف الإنسان بالفساد وسفك الدماء لعلمها بأن الإنسان تحكمه ثلاث قوى نفسية هى . . القوة الشهوية . . والقوة الغضبية. . والقوة العقلية. . بعد إعلان هذا الخبر إلى الملائكة فى الملأ الأعلى بدأت قصة الخلق كما بيّنا . . وبعد أن أتم الله خلق آدم عليه السلام علّمه أسماء جميع الأشياء التى خُلقت من أجله ليستفيد منها ويستخدمها فى تأدية مهمة الخلافة فى الأرض. . كانت الملائكة تعلم أشكال الأشياء ولا تعلم مسمّياتها . . لذلك أقام الحق سبحانه مواجهة علنية بين آدم وبين الملائكة . . وقد وجَّه الله سبحانه سؤالاً إلى الملائكة فقال: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ ﴾ فكان رد الملائكة: ﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ ثم وجّه السؤال إلى آدم وقال: ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ فسمّى لهم كل شىء باسمه وكان كلامه أمام الملائكة بكل اللغات وبكافة اللهجات . . التى ستكون عليها ألسنة الخلق من ذريته من بعده . . وقد كان الأمر يتطلب تلك المواجهة . . لأمرين:

١ - لأن الملائكة ستكون فى خدمة آدم عليه السلام وذريته من بعده . . فكان لابد من إظهار قدره وحتى لا تظن الملائكة أنه أقل منهم درجة وأدنى عنهم منزلة . . فأراد الحق سبحانه أن يظهر لهم منزلة آدم ومكانته عنده ويعلن الله الملائكة بأنه كرّم آدم على سائر المخلوقات لما اختصه به من علم ومعرفة وأنه منحه العقل وبهذا سوف يحمل الأمانة التى عرضت على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها. .

٢ - كانت هذه المواجهة مطلوبة وضرورية لأنها بمثابة تمهيد للأمر الإلهى الذى سيصدر إلى الملائكة بالسجود لآدم وحتى لا يظنون أنهم سيسجدون لمن هو دونهم منزلة أو أقل عنهم مكانة . . لذلك . . عندما صدر الأمر الإلهى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام . . سجدوا جميعاً من فورهم سجود تعظيم وتكريم . . إلاّ إبليس الذى سوف نتعرض له فيما بعد . . لهذا كان سجود الملائكة لآدم بعد عرض المسميات على الملائكة وإنباء آدم لهم بالأسماء لهذا أمرهم الله بالسجود له لأنه صار شيخهم ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير(١).

« أطوار أربعة فى خلق آدم »

قارئ القرآن الكريم يظهر أمام عينيه أن خلق آدم عليه السلام مرَّ فى أطوار أربعة:

١ - الطور الأول «التراب» وإلى هذا أشار الحق سبحانه ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [**غافر**:٦٧]. . والنصوص كثيرة فى القرآن الكريم تُبيّن أن التراب هو الطور الأول من خلق الإنسان . . إلاّ أنه من المؤكد . . أن التراب وحده لايصلح لتشكيل هيئة آدم وتصوير خلقته بالصورة التى أرادها الله . . لأن حبيبات التراب غير متماسكة لا تثبت على حال ولا تستقر فى تكوين جسد الإنسان . . إذاً لابد من إضافة الماء إليه حتى تتجمع ذرّاته وتتماسك مع بعضها . . وليس ذلك لعجز فى القدرة الإلهية لأن الحق سبحانه يخلق من التراب بشراً سوياً حيث يقول له كن فيكون . . ولكن تنفيذاً للمشيئة الربّانية التى جعلت من الماء أساس الحياة فى هذا الكون فكان إضافة الماء إلى التراب . . وقد جاءت النصوص فى القرآن تبين ذلك فالحق سبحانه يقول:

(١) يراجع فى ذلك قصص الأنبياء للنيسابورى، ص٢٢، وحاشية الصاوى على الجلالين، جـ١، ص٢٢، والقرطبى ج١، ص ١٩٢، ص١٩٣.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [**الفرقان**:٥٤] . . وهناك آيات كثيرة تؤكد إلى أن خلق الإنسان وجميع الدواب كان من الماء . . وهذا الماء . . إما أن يكون المراد منه جنس الماء وإما أن يقصد به النطفة، وهى نوع من الماء أيضاً [تفسير القرطبى].

وعلى هذا يتبيّن لنا من النصوص القرآنية أن الطور الأول لخلق الإنسان التراب والماء وهما واحد فى أصل خلق كل شىء لأنهما اختلطا ببعضهما ولما كان الماء خليطاً من الماء العذب والملح والحلو والمر . . كذلك التراب فهو خليط من السهولة الليِّنة والجبال الصلبة بألوانها المختلفة . . أحمرها وأبيضها وأسودها . . كذلك الرمال الناعمة . . من هنا نتج عن هذا الخليط اختلاف أخلاق البشر وألسنتهم وفقاً لاختلاف نوع الماء . . كما اختلفت ألوانهم وتنوعت أجسامهم تبعاً لاختلاف ألوان التراب، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [**الروم**: ٢٢] . . لهذا يتبين لنا ان اختلاف الطبائع والأخلاق والألوان فى الجنس البشرى مرجع ذلك إلى الماء والتراب لأن ذلك يسرى فى الذرية من الآباء والأمهات وهو ما نسميه توارث الصفات.

٢ - الطور الثانى فى خلق الإنسان كما يتحدث القرآن الكريم فيقرر أمام أعيننا أن بداية خلق الإنسان كانت من الطين على إطلاقه . . والطين ناتج عن اختلاط التراب بالماء بالنسب المتوافقة وبالمقادير المحددة وحتى لا يطغى عنصر على غيره لأنه عند اختلاط التراب بالماء فى البداية . . يكون شديد الطراوة كثير الليونة ليس له قوام بذاته فيصعب تشكيله فى صورة معينة أوتجميعه فى هيئة ثابتة لا تتغير . . وهذا ما يسمّى بالطين اللاذب الذى جاء فى قول الله تعالى عند ردِّه على الكفار الذين كذبوا النبى محمداً ﷺ فجاء الرد عليهم ليوبخهم . . ويقطع عليهم أسلوب عنادهم فكان الرد فى إعجاز بلاغى فى قوله سبحانه: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ ﴾ [**الصافات**: ١١] . . والحق سبحانه وتعالى يشير إلى أنه سبحانه خلق الإنسان من هذا الطين المائع (اللاذب) وهذا دليل على ضعف مادة خَلْقِكَ أيها الإنسان . . فلم تتكبر وتعاند وتخرج على منطوق فطرتك

وأنت أيها الإنسان تأمل في أصل خلقتك واسمع معى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢] . . إن الله سبحانه وتعالى الذى خلقك من الطين لكنك صرت على هذه الصورة البديعة التى صورك الله عليها والشكل الحسن الجميل الذى منحه الله إياك فتبارك الله أحسن الخالقين . . إن الطين نتج عن اختلاط الماء بالتراب ومزج عناصر كل منها فى بعضها البعض . . لكننا نؤمن أن القدرة الإلهية قادرة تماماً على إيجاد أى شىء من أى شىء لأن الأمر الإلهى لا يتخلف ولا يعترضه معترض . . وإذا كانت البداية من الطين فإن النهاية الموت . . ويسمى بأجل الدنيا ومرحلة البرزخ تبدأ بالقبر وتنتهى بقيام القيامة والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك: ١، ٢]

٣ - إذا كان الطور الأول لخلق الإنسان هو التراب والماء . . والطور الثانى هو الطين . . اللاذب . . فيأتى الطور الثالث . . (الحمأ المسنون) وهو ناتج عن التغيرات الجوهرية التى حدثت فى شكل الطين اللاذب وتكوينه بسبب تعرضه للعوامل الجوية المختلفة . . إذ مكث هذا الطين فى العراء مدة زمنية قال عنها بعض العلماء بأنها أربعون سنة . . ونحن نعلم بأن اليوم عند الله كألف سنة مما نعُد وليس هناك من يستطيع أن يحدد اليوم عند الله لأنه ليس كأيامنا، وإلى هذا أشار الحق سبحانه وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] . . وإلى هذا الحمأ المسنون أشار الحق سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٦] . . والحمأ يعنى الطين الأسود المتغير المتعفن الذى تغيرت صفاته بسبب تعاقب الأزمان عليه فصار أسود اللون متخمراً بفعل الرطوبة التى ظلّت عالقة به ولم تتبخر طوال مدة وجوده فى العراء . . أما (المسنون) فتعنى الطين المصبوب أو المصور لأنه مأخوذ من سنَة الوجه . . أى صورته)[1] . . ثم بعد ذلك تم تصوير جسد آدم من الحمأ المسنون فى

(١) فتح القدير للشوكانى، جـ٣، ص ١٣٠.

ذلك الطور لأنه أصلح الأطوار لتشكيل الإنسان وتصويره فى الصورة التى جعله الله عليها لأنه فى هذه الحالة تماسك الطين وذهبت الليونة.

٤ - الطور الرابع من أطوار خلق آدم عليه السلام (الصلصال) وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨]. . ويعتبر هذا الإعلان الثالث من الله عز وجل للملائكة عن هذا الخلق الجديد . . ذلك لأن تعاقب الأيام والأحوال الجوية المتغيرة على هذا الخلق الجديد . . فقد جفَّ معظم ما كان به من ماء وأصبحت أجزاؤه صلبة متماسكة لهذا كان يظهر منه جلجلة عالية إذا لطمته رياح وذلك بسبب صلابة جسده وفراغ جوفه فكان يحدث منه صلصلة مُدَوِّية ولذلك سمِّى الطين فى هذا الطور بالصلصال . . ولهذا قال إبليس عندما أُمِرَ بالسجود ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣].

هذه هى الأطوار التى مرّت بخلق آدم وقد كان فى مقدور الحق سبحانه وتعالى أن يخلق الإنسان بكلمة (كن) لكنه سبحانه جعل هذه الأطوار ليرشدنا إلى التأنى والتمهل وعدم العجلة لأن العجلة من الشيطان . . والحق أن القرآن الكريم يعرض علينا قصة خلق آدم عرضاً محكماً . . يقف العلم بكل أنواعه ومستويات عقول المفكرين . . يقفون أمام قدرة الله خاشعين مستسلمين ولن يجد العلم أو العلماء أى ثغرة للطعن فى هذه الأطوار وصدق الله العظيم ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣، ١٤] . . وقد أمسك القرآن الكريم بقضية خلق آدم من جميع أطرافها . . وجاء بها على الوضع الذى يلتقى مع الحقائق العلمية فى أصدق وجوهها . . إن العلماء مهما بذلوا وتفننوا فلن يجدوا أى مغمز فى هذه القضية أو فى أى قضية ذكرها القرآن لأنه تنزيل من عند الواحد الأحد ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] . . علماً بأن القرآن الكريم ليس كتاب علم وإنما هو كتاب الكون كله . . لذلك من أراد

أن يدلى بحجته بين يدى كتب الله فسيجد نفسه . . أنه كمن يحمل الماء إلى البحر . . أو يرسل الضوء إلى الشمس . . أو ينفخ فى الشمس ليطفئها .

إن العلم الحديث الآن يقول . . إن الحياة ظهرت على هذه الأرض أول ما ظهرت على شواطئ البحار . . حين تكون الطين . . فالزبد . . فالحمأ المسنون . . فالطحالب فالنبات . . فالحيوان . . فالإنسان . . والعلم الحديث يرى أن هذه الأطوار قد سارت عبر ملايين السنين حتى أثمرت شجرتها الأولى وكان أكرم ثمرة فيها هى الإنسان . . هكذا يقرر العلم الحديث فى نظرية النشوء والارتقاء . . والحياة وتطورها . . والقول بانتماء الإنسان فى أصل نشأته إلى شجرة الحياة العامة النابتة فى الأرض لا يعارض نصّاً من نصوص القرآن بل إنه يلتقى مع القرآن فى يُسر ووضوح . . لإن الإنسان ابن الأرض وصدق الله العظيم : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴾ [**طه** : ٥٥] . . وإلى هذا أشار (البيضاوى . . بقوله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ **مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ أى من طين تغيّر واسود من طول مجاورة الماء) [تفسير البيضاوى] . . وتعال معى أيها القارئ ننظر مثلاً فى نظرية داروين التى قامت على تجارب علمية فيها قليل أو كثير من الخطأ فى الاستنتاج . . لكن الذى ينبغى منا أننا نناقش هذه القضية بعقل واسع وفهم عميق وتقدير للجهد الذى بذله هذا العالم أيّاً كان مذهبه فنحن أُمرنا أن نحترم الذين يعبدون غير الله . . ونناقش قضاياهم بعقل متزن وسعة أفق بقول الله تعالى : ﴿ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [**الأنعام** : ١٠٨] . . إن صد العقل عن البحث والتنقيب أمر مرفوض لأن ذلك ازدراء للعقل وامتهاناً له وتعطيلاً للوظيفة التى خلق لها .

وخروجاً على دعوة القرآن التى دعا إليها فى قوله سبحانه : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [**الكهف** : ٢٩] . . ويقول سبحانه : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [**البقرة** : ٢٥٦] . . ويقول الله لحبيبه

ومصطفاه ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٤].

إن داروين يقرر فى حديثه عن أصل مذهبه (إن المشابهة وأسباباً أخرى تدعونا ضرورة إلى الاعتقاد بأن الأحياء وأصلها واحد وإلاّ فإن أصلا جوهرياً بين العالمين . . عالم النبات وعالم الحيوان . . ثم يقول إنى أرى فيما يظهر لى أن الأحياء عاشت على هذه الأرض من صورة واحدة أوّلية نفخ الخالق فيها نسمة الحياة)[1]. إن المسلم لا يهاب أى نظرية تقال لأنه يناقشها بروح المنطق ويفندها بعلمه لذلك فنحن لا نضيق بأى نظرية لأن معنا كتاب الله عز وجل وهو يعرض أمامنا مشاهد الكون ويكشف لنا بلمحات مضيئة وإشارات مشرقة عن مظاهر الوجود . . مما يجد فيه العلم الحديث مستنداً لمقولاته ومجازاً لمقرراته لهذا فإننا نعرض قضية خلق آدم كما جاءت فى القرآن بأدلّة واضحة وبراهين ساطعة . . وليقل العلم ما شاء من نظريات فإن مصير هذه النظريات التضارب وعدم الاستقرار واختلاف الناس حولها . . أما ما جاء فى القرآن فهو الحق الذى نؤمن به وندعُ الناس إليه وليس عندنا خلاف فى الأصول أما فى الفروع فكل له عقله وتفكيره . . لهذا نتفق فى الأصول ونعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه حول الفروع وإذا كان أى إنسان يخاف من نظرية (داروين) على معتقده وما ذهب إليه من نظريات . . فإن المسلم لا يخاف . . ومثل داروين . . مثل (سالمان رشدى) . . مثل (صاحب وليمة البحر) . . فهؤلاء وأمثالهم نظرياتهم لا دليل عليها وكلامهم تافه وأفكارهم مرفوضة لأن ما ذهبوا إليه من نظريات غير ثابتة لأنهم يخالفون ما استقر فى ذاكرة التاريخ وما قال به العلماء الأفذاذ حتى بعض المنكرين للقرآن شهدوا بصدقه وآمنوا بنظرياته لأنهم عرفوا من منطق الحقائق أن هذا هو الصدق الذى لا ريب فيه . . ومن المعلوم والمؤكد

---

(١) انظر الكتاب الأول، الجزء الأول، من مذهب النشوء والارتقاء، للمرحوم اسماعيل مظهر، ص٤٧.

أن الإسلام يحترم العقل المنظم المنضبط على النظريات العلمية الثابتة التى لاخلل فيها ولا اضطراب . . والعقل المنظم له حق البحث والنظر فى هذا الكون ولنا أن نحترم صاحب العقل الذى يبحث بأمانة ويستند فى بحثه إلى سلطان الحجة والبرهان ولا يميل إلى الهوى والكذب والبهتان . . لهذا فالمسلم لا يضيق بنظرية داروين لأن معنا القرآن الكريم الذى أعيت آياته داروين ثم هى آيات صادقة تشرح لنا أسرار الخلق وتدلنا على عظمة الخالق.

« الطور الخامس »

زاد بعض العلماء الطور الخامس فى خلق الإنسان لأن المفسرين لما ذكروا . . أن الحق سبحانه وتعالى لما ترك الطين حتى صار حمأ مسنون صَوّره كما تُصوّر الأوانى ثم أيْبَسه فصار صلصالاً فى غاية الصلابة ثم زادوا الطور الخامس وهو (نفخ الروح فيه) . . وخلق الإنسان بهذه الصورة لا يزرى بالإنسان أو يحط من قدره لأنه من هذا الطين تتخلق أكرم الجواهر وأنفس المعادن . . ويتبين لنا أن تمام خلق آدم واستوائه بعد ذلك أتمَّ الله عليه النعمة بتمام الخلقة مع إضافة الروح من الله سبحانه وفى هذا دليل على شرف الروح وعظمتها إذ لا يليق بها أن تُنفخ فى جسد ناقص غير سوى أو فى صورة ليست كاملة أو فى هيئة غير تامة فكان ذلك تشريفاً لآدم عليه السلام ومن بعده أكبر تشريف للبشرية جمعاء[1] (وبهذه الآية الكريمة أيضاً تستكمل التشريفات الأربع التى شرّف الله بها سيدنا آدم عليه السلام على سائر الخلق) . . وهى كالآتى:

١ - أولها أن الله سبحانه وتعالى قد خلقه بيده . . قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص: ٧٥] و﴿ **بِيَدَيَّ** ﴾ دليل على كمال الاعتناء.

٢ - ثانيا النفخ فيه من روح الله وهو ما ورد فى قوله تعالى: ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾ [ص: ٧٢].

(١) أنوار التنزيل للبيضاوى، جـ٢، ص٣١٥.

٣ – وثالثها فقد علّمه الله الأسماء كلها دون الملائكة، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١].

٤ – أما رابع هذه التشريفات فهو صدور الأمر من الله للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ [البقرة: ٣٤]. . وهذا تمام الشرف وكمال المنزلة(١).

« السجود لآدم »

أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم سجود تحية وتعظيم وتوقير . . لأن الله سبحانه وتعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، ولهذا جاء النص القرآنى ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص: ٧١ – ٧٤] . . ولا تهمنا معرفة كيفية السجود الحاصل من الملائكة لآدم عليه السلام . . كما لا يضرنا الجهل به . . وإنما الذى يهمنا هو . . تنفيذ أمر الله لأن أمره واجب النفاذ . . ثم إن الملائكة عندما سمعوا الأمر الإلهى سجدوا كلهم طواعية وامتثلوا لأمر الله فوراً فصار سجودهم سجوداً جامعاً لكل أنواع المعانى لأنه سجود طاعة وامتثال لأمر الله ثم هو سجود للإقرار بعظمة الله وطاعة أمره . . وفى نفس الوقت سجود تحية لآدم . . لذلك أخبرنا الحق بقوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]. . وإظهار لفظ الملائكة ولفظ آدم هنا دون الإتيان بضمير بهما كما فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم ﴾ لتكون القصة المعطوفة معنونة بمثل عنوان القصة المعطوف عليها إشارة إلى جدارة المعطوفة بأن تكون قصة مقصودة غير مندمجة مع القصة التى قبلها(٢) وحقيقة السجود طأطأة الجسد . . أو . . إيقاعه

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير، جـ١، ص١٥.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، جـ١، ص٤٢١.

على الأرض . . بقصد التعظيم لشيء مشاهد بالعيان كالسجود للملك والسيد . . قال تعالى: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [**يوسف**: ١٠٠] . . وقد عرف السجود منذ أقدم عصور التاريخ فقد وجد على بعض الآثار . . صورة (حمورابى) ملك كلدية راكعاً أمام الشمس كما وجدت على الآثار المصرية صورة أسرى الحرب سُجّداً لفرعون. . وعلى هذا يتبين أن السجود الذى كان لآدم من الملائكة تمثيل لحالة فيهم يعلمها الله حسب أمره تدل على تعظيم واحترام. .

« لماذا امتنع إبليس عن السجود »

تدل آيات القرآن الكريم على أن الحق سبحانه وتعالى عندما قال للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، وهنا يدور فى الذهن أسئلة . . هل كان إبليس مع الملائكة. . الإجابة نعم . . لأن إبليس من فصيلة الجن حسبما جاء النص القرآنى فى هذا عند قول الحق سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾ [**الكهف**: ٥٠]. . فإبليس إذاً من الجن . . والجن خلقهم الله تعالى من نار السموم . . قال تعالى: ﴿ **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ** ﴾ [**الحجر**:٢٧]. . (وسوف نتكلم عن ذلك تفصيلاً فى فصل الجن) . . أما الذى يعنينا هنا فهو أن نعلم أن الملائكة استجابت على الفور وسجدت أما إبليس فشذَّ لأنه حسد آدم وحقد عليه واستكبر على أمر ربه وخرج على التوجيه الإلهى لهذا كان مصيره ما سوف نُبيِّنه إنشاء الله . . فإبليس امتنع عن السجود لتكبره على أمر الله وعدم طاعته وحقده لآدم وحسده. .

« آدم فى الجنة »

يكاد يُجمع المفسرون على أن الجنة التى كان فيها آدم قبل المعصية هى جنة واقعة وراء الحس أى أنها من تلك الجنات السماوية التى وُعِد المتقون بها فى

الآخرة.. وقد أعانهم على هذا الفهم ما قاله ربنا لآدم: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ** ﴾ [**طه**: ١١٨، ١١٩] ..

لكن يظهر بوضوح وجلاء أن آدم مخلوق من الأرض وأنها مُستقره وسكناه لهذا فإننا نرى أن الجنة التى سكنها آدم هى جنة أرضية أقيمت فى أى مكان وما جاء من قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ** ﴾ فهذا الوصف ممكن أن يتحقق فى كثير من جنات الأرض .. لأن من يسكن أى بستان أو حديقة يجد مطالب الحياة .. خاصة وأن آدم فى هذا الطور من حياته لم يكن قد تَعرّف على ما فيه من إرادة .. فمطالبه والحال كذلك.. لا تعدو مطالب الرجل البدائى .. ثم إن الحق سبحانه وتعالى ذكر بعض الحدائق بأنها جنة، فقال سبحانه: ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾ [**البقرة**: ٢٦٦].. ويقول سبحانه: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا** ﴾ [**الكهف**: ٣٢، ٣٣].. ولهذا جاء تفسير أبو مسلم الأصفهانى وفيه يقول عن جنة آدم: « هى جنة من جنات الدنيا فى الأرض .. ثم هو يُجيب عن إشكال يستشكل به المعترضون على هذا القول، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا** ﴾ من إنّ هذا الهبوط يعنى نزولاً من السماء إلى الأرض .. لكنه هو يُجيب على هذا الإشكال بقوله: لا يقتضى كون الهبوط من السماء إلى الأرض فقد قال الله تعالى ﴿ **اهْبِطُوا مِصْرًا** ﴾ »[1].

ويقول محمد إقبال (طبقاً لمفهومنا للقرآن فإن الإنسان ليس غريباً عن هذه الأرض. إذ يقول الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا** ﴾ [**نوح**: ١٧].. فالجنة التى ورد ذكرها فى القصة لا يمكن أن يقصد بها الجنة التى جعلها الله مُقاماً خالدا للمتقين ..).

---

(١) من تفسير أبى مسلم الأصفهانى نقلا عن مجمع التبيان فى علوم القرآن للطبرى، جـ١، ص١٦٧.

ولهذا قيل بأنها جنة بأرض فلسطين . . وقيل بأنها كانت بين فارس وكرمان . . خلقها الله تعالى امتحاناً لآدم عليه السلام . . وحمل الإهباط على النقل منها إلى أرض بالهند)[1].

ونحن نميل ونرجح ذلك لعدة أسباب أهمها:

١ – إن إبليس طُرد من رحمة الله ولذلك فهو لن يدخل جنة الخلد . . وهذا أمر معروف بين جميع العلماء . . وإبليس تحايل ودخل إلى جنة آدم ووسوس له فيها . . فلو كانت جنة الخلد ما دخلها إبليس أبداً . . لأنها محرمة عليه.

٢ – جاء فى تفسير البيضاوى الجزء الأول أن الجنة التى سكنها آدم هى بستان فى أرض فسلطين . . أو بين فارس وكارمان . .

٣ – أن لفظ الجنة المقترن فى كلامنا بلام التعريف يدل على عين ما دل عليه الطريق الآخر الذى عرف به آدم مراد الله تعالى: « أى قلنا له اسكن البقعة التى تسمونها أنتم اليوم بالجنة» . . والجنة فى عرفنا قطعة من الأرض فيها الأشجار المثمرة والمياه وهى أحسن مقر للإنسان إذا لفحه حر الشمس . . فيأكل من ثمر الجنة إذا جاع ويشرب من المياه ويروق الإنسان منظر ذلك كله . . فالجنة تجمع بين ما تطمح إليه طبيعة الإنسان من كل ملذات المأكل والمشرب والراحة النفسية . . وتعريف الجنة تعريف العهد . . فهى جنة معهودة لآدم يشاهدها . . ولقد سبق أن قلنا بأن قول الله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ . . السكن مؤشر إلى أنه سيخرج منها كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ لهذا فإن المؤكد أن آدم سيخرج من الجنة . . وجنة الخلد من دخلها لا يخرج منها أبداً . .

٤ – الجنة لا تظهر فيها سوءة أحد لكن آدم عندما أكل من الشجرة هو وحواء تكشّفت سوءاتهما . و(السوءة) هى كل ما يسوء صاحبه إذا رآه الغير منه . .

---

(١) تفسير أبو السعود، جـ١ ، ص١٥٧ .

يقول الحق سبحانه: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢] . . ولما كانت الجنة دار سعادة وهناء (جنة الخلد) فليس فيها ما يسيء للإنسان أو يكدر عيشه . . أو ينغص حياته . . لهذا حكمنا بأن جنة آدم هى حديقة بفلسطين واستنبطنا من ذلك من أقوال العلماء.

أما من قال بأنها جنة الخلد فهو رأى قال به بعض من العلماء والاختلاف فى تحديد الجنة ليس له تأثير على العقيدة ولا يضر بصحة اليقين لأن الكلام فى تحديد الجنة هو استنباط من أقوال العلماء واستلهام من أفكارهم حيث لم يرد نص فى كتاب الله ولا فى سُنّة رسوله يؤكد على شىء من ذلك . .

« سر ابتلاء آدم »

وجّه الله سبحانه وتعالى آدم أن يسكن الجنة وأن يتمتع بكل ما فيها لكنه نهاه عن شجرة معينة وقال له بصريح العبارة: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩] . . لكن الشيطان اللعين تحايل ودخل الجنة . . ووسوس لآدم لأنه حاقد عليه حاسد له قد أضمر فى نفسه الشر عليه والوعيد له لذلك كان يُجهز نفسه للانتقام من آدم والثأر منه فكان إبليس يبحث عن الوسائل والحيل التى تمكنه من الدخول إلى الجنة لإغراء آدم وإغوائه لهذا استعمل أقوى أسلحته . . وأدهى حيله وكانت الوسوسة فى مكر ودهاء . . والوسوسة تعنى الحديث الخفى الذى يلقيه الشيطان فى قلب الإنسان على سبيل التكرار بوسائله المتنوعة حتى يقنعه بفعله . . لذلك اختار إبليس فكرة يوسوس بها لآدم هى فكرة الخلود وعدم الموت فكانت الوسوسة بالترغيب فى الخلود هى أول وسيلة من وسائل الشيطان فى إغراء آدم . . كما أنه وسوس إليه أنه مُنع من الأكل من هذه الشجرة حتى لا يكون ملكاً من الملائكة . . والملائكة لا يموتون، وقد أوضح الحق سبحانه وتعالى وسوسة الشيطان اللعين فى قوله لآدم

وحواء: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] . . ومن المعلوم أن الله فضّل الملائكة على جميع الخلق لذلك فهم لا يموتون . . لكن إبليس وجد فى آدم وحواء قوة لا تُقهر . . ونفساً لا تلين وعقلاً واعياً لتنفيذ أمر الله وقلباً عاكفاً على طاعة الله . . لذلك أخذ إبليس يُدير الأمر فى رأسه ويخطط بعقله الجهنمى . . فحلف لآدم وزوجه وأقسم بالأيمانات المغلّظة أنه مُحب لهما ناصح بدقة . . أمين عليهما، وفى هذا يقول الحق سبحانه: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] . . وخدع آدم وزوجه بهذا القسم . . لأنهما ما ظنَّا أن أحد يقسم بالله وهو كاذب . . لذلك إذا كان إبليس هو أول من عصى الله فإنه كذلك أول من حلف بالله كذباً . . واندفع آدم إلى الشجرة مع زوجته يأكلان لأن إبليس اللعين . . كما يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٢] . . و(التدلى يعنى النزول من الأعلى إلى الأسفل) . . و (الغرور) هو تصوير الباطل بصورة الحق فوقع لهما التدلى بغرور من قسم الشيطان . . لهذا يقول الحق سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦] . . وتحقق للشيطان ما كان يسعى إليه . . لذلك أكل آدم وزوجه من الشجرة . . والمؤمن دائماً يُخدع بمن يحلف له بالله . . لهذا يقول ابن عمر – رضى الله عنهما– « من خدعنا بالله انخدعنا له» . . الحق سبحانه وتعالى يذكر لنا أن آدم عليه السلام مع زوجه عندما أقسم لهما إبليس بالله نسىَ آدم العهد . . والنسيان أمر وارد على كل إنسان، ولهذا من رحمة الله سبحانه لا يؤاخذ الناس على فعل أى شيء حالة النسيان ، وكان من الدعاء الذى ألهمنا الله به قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . . ومن هنا يقول الحق عن آدم عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] . . لكن آدم عليه السلام هو وحواء عندما أكلا من الشجرة بدت لهما سوءاتهما ولما استاءا من رؤية العورة أخذا من أوراق الشجر ليسترا أنفسهما . . لهذا يقول الحق سبحانه: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا

عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] . . كانت ذلة سيدنا آدم بسبب وسوسة الشيطان وإغرائه . . وبعد انكشاف الأمر . . وثبوت كذب إبليس عليه اللعنة . . ندم آدم عليه السلام وطلب هو وزوجته العفو عنهما والمغفرة لهما والتسامح . . لذلك قالا فى ضراعة وتوسل كما يقول الحق سبحانه عنهما: ﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [**الأعراف**: ٢٣] . . ورغم أن خطأ آدم مع زوجته . . نوع من خطأ التشريع الذى يقع فيه الأنبياء غالباً . . لأنه لو لم يقم إبليس من وراء آدم بالوسوسة والإغراء . . لسار إليها آدم من تلقاء نفسه وأكل منها . . ولكن ذلك لايكون إلاّ بعد ذلك بزمن متراخٍ من الوقت . . هكذا الإنسان تجده دائماً يتحدى كل سلطان يُقيد إرادته أو يحدّ من نوازعه . . لهذا كان امتحان آدم . . ابتلاء لعزيمته أمام الإغراء وحب الاستطلاع الذى هو غريزة قوية متمكنة فى طفولة الإنسانية التى كانت مندسة فى كيان آدم أول تباشير النوع البشرى فى هذا الوجود . . لهذا فإن آدم كانت فيْه رغبة صادقة فى مداناة هذه الشجرة والتعرف عليها وعلى ما يكمن فيها استجابة لغريزة حب الاستطلاع التى ألهبها هذا النهى وأيقظها فى كيانه . . وزكىّ ذلك قسم الشيطان وإغراؤه الأمر الذى عجّل بخطوات آدم إلى الشجرة والأكل منها . . وعندما انتهى آدم إلى الشجرة وذاق من ثمارها . . دار صراع عنيف بينه وبين نفسه . . وأدرك أنه جنى جناية غليظة . . وأنه سيلقى جزاء ما اقترفه . . ثم يتنبه إلى وجوده فيرى أن له إرادة يستطيع بها أن يتقدم أو يتأخر بوحى من ذاته التى تشارك فى نسج حياتها . . وفى صنع قدرها . . ثم يتنبه إلى أنه مكشوف العورة ولم يكن قد رأى ذلك من قبل . . ثم عرف أنه عُريان كذلك فاتجه إلى الشجرة يقطف من ورقه . . لهذا كان أول فعل لآدم تتمثل فيه حرية الاختيار . . وهى معصية الله تبارك وتعالى . . لذلك أسرع بالتوبة والندم ومعه زوجته فى كل هذه الحالات ترافقه فى خطاه، والعلماء يقولون: « أن مخالفة الله إذا كانت عمداً فتكون ذنباً . . وإن كانت عن نسيان فتكون ذلّة»، وهذا ما كان من آدم عليه السلام . . لأن الدوافع النفسية عنده غير مرتكزة على القصد أو الإصرار لارتكاب الخطأ أو قائمة على النيّة فى عمل تلك الخطيئة . . بل كان قصده امتثال

الأمر الإلهى. . ونيته اجتناب المنهى عنه لأنه فى علم الله نبى معصوم عن كل أمر يخالف شرع الله قبل النبوة وبعدها . . لكن آدم خُدِع بقسم إبليس اللعين . . علاوة على نسيانه العهد . . والنسيان عارض مستحدث لذلك اعترف آدم بذنبه وأقر بخطئه وأظهر الندم على فعله ولم يصر على ما وقع منه من خطأ وأسرع بالاعتذار إلى ربه وطلب آدم بتذلل العفو من الله والمغفرة له، لهذا قال الحق سبحانه: ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ٣٧] . . ويقول أيضاً: ﴿ **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٢] . . أى أن آدم عليه السلام رجع إلى الله وندم فقبل الله توبته وتجاوز عن ذلته وهداه إلى حُسن التوبة والمداومة عليها والتمسك بالأسباب التى تقربه من ربه. .

« الخروج من الجنة »

من الأمور المقررة أن الحق سبحانه وتعالى يثيب الطائع . . ويعاقب العاصى فلما عصى آدم ربه أمره الحق سبحانه أن يهبط إلى الأرض ومعه زوجته . . كذلك إبليس عليه اللعنة . . لكن المؤكد لا يستوى هبوط آدم وحواء مع هبوط إبليس الذى سوف يأتى الحديث عنه بعد ذلك . . وآدم عليه السلام لم يصدر إليه الأمر الإلهى بالهبوط إلاّ بعد أن تدارك الأمر هو وزوجته وبادرا بالتوبة والندم وأسرعا إلى الاستغفار ثم تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . . وقد قيل . .

١ - هبط آدم عليه السلام من الجنة إلى أرض الهند وكان لباسه الذى اتخذه من ورق الجنة وعلى رأسه إكليل منه ومعه عصا من شجرها فلما يبس الورق الذى عليه وتطاير بأرض الهند نبت منه جميع أنواع شجر الطيب وهذا أصل كل شجر طيب بالهند. . وأن آدم هبط بـ (سرنديب) فى الهند على جبل يقال له (بوذ) وكان معه حال هبوطه التابوت المقدس . .

٢ - كما أن حواء هبطت بـ (جدة) من أرض الحجاز. علما بأن قارات العالم لم تكن قد عرفت وهذه المعلومات من باب تقريب الأمور إلى الأذهان

٣ - أوحى الله إلى آدم عليه السلام بأن لى حرماً بأرض مكة وأمره بزيارته وقيّض له مَلَكاً يرشده فمشى إليه . . فكان كل موضع قدم على الأرض لآدم صار عمراناً . . وما تعدّاه أصبح مفازة خالية.

٤ - كانت السيدة حواء قد ذهبت من جدة فى طلبه أيضاً فلما وصل آدم إلى جبل خارج مكة وقف عليه . . فرأى حواء مقبلة عليه . . فالتقيا على هذا الجبل . . فسُمِّى بجبل عرفه لأنهما تعارفا عليه وسُمِّى اليوم عرفة وقال الله لآدم تَمنَّى يا آدم وكان ذلك بعد نزولهما من عرفات فسُمِّى المكان الذى أوحى الله بهذا فيه (منى) فقال آدم المغفرة والرحمة يا رب، وبعد أن أتّما زيارة البيت والطواف به عادا سوياً إلى الهند ليقيما فيها[1].

واستقر آدم على الأرض تحقيقا لمشيئة الله سبحانه وتعالى وقد اختصه الله بالشقاء فى طلب المعيشة يسعى ويتعب ويكد ويكدح بخلاف حواء التى جعلها الله لتكون راعية للبيت ومهيمنة على شئون الأسرة ومنجبة للأولاد لتستمر الحياة فى مسيرتها وعطائها، وإذا كان الله سبحانه قد ابتلى آدم بالسعى على المعاش ويصيبه بسبب ذلك التعب والشقاء فالحق سبحانه كذلك ابتلى السيدة حواء بأشياء منها:

(١) الحيض . . فقد ورد أن حواء لما أكلت من الشجرة سالت رطوبتها فقيل لها . . كما أدميت الشجرة يصيبك الدم كل شهر[2].

(٢) ثقل الحمل . . فالحمل له ثقله وإن كان أوله يسر وسرور إلاّ أن آخره تعب وإرهاق . . فإن الجنين فى بطنها كلما كبر زاد ضعفها . .

(٣) آلام الوضع . . فالمرأة تقاسى عند الوضع مقاساة شديدة من كرب وآلام إلى غير ذلك يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا**

---

(١) يراجع فى ذلك قصص الأنبياء للنيسابورى، ص٢٨، وما بعدها، وفتح القدير للشوكانى، جـ١، ص٢٦٧.

(٢) القرطبى، جـ١، ص٢١٤.

عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [لقمان: ١٤] . . ويقول سبحانه فى آية أخرى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥] . . فالمرأة تقاسى بسبب الحمل مشقة وتعبا . . من وحم . . وغثيان . . وثقل . . ثم تضع المولود بمشقة وكرب . .

٤ – لم يجعل الله من النساء نبياً أو رسولاً.

٥ – إن المرأة حُرِمت من الجهاد كما أنه لم تنعقد بهن جمعة وذلك بسبب ما ينتابهن من النسيان . . وما ذكرنا . .

« سُكنى الأرض »

من المؤكد لنا ومن فهمنا لآيات القرآن الكريم أن الحكمة الإلهية اقتضت خلق آدم ليكون على الأرض يتعايش عليها ويشمِّر عن ساعد الجد ليعمل بهمة ونشاط . . ويعبد ربه . . وبهذا يقيم ميزان الاعتدال بين متطلبات الجسد . . الذى هو من التراب . . وبين الروح التى هى من عالم الطهر والصفاء والنقاء والكمال المطلق . . لأنها من الله القائل: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ وقد جاء فى القرآن عدة دلائل تفيد ذلك . . منها:

١ – ان الحق سبحانه وتعالى أخبر الملائكة . . قبل أن يخلق آدم . . بأنه سبحانه وتعالى . . جاعل فى الأرض خليفة . . يُشير إلى ذلك قوله سبحانه:
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] . . وهذا ما يُشير إلى أن الله قد أخرج آدم من الجنة قبل أن يدخلها[1].

٢ – يفهم من قول الله سبحانه: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] . . أنه فى قوله سبحانه ﴿ اسْكُنْ ﴾ مؤشر إلى أنه عليه السلام

---

(١) يراجع فى ذلك: قصص الأنبياء للنيسابورى، ص٢٨.

سيخرج منها وتنبيه على أنه لن يمكث فيها لأن السكنى لا تكون ملكاً دائماً وإنما تكون إلى مدة ثم تنقطع . . فدخوله عليه السلام الجنة مع زوجته . . كان دخول سُكنى . . لا دخول مكث وإقامة(١).

٣ - إبليس امتنع عن السجود واستكبر على الأمر الإلهى فطُرد من رحمة الله ولم يكلف إلى الهبوط إلى الأرض مباشرة فور عصيانه . . فإذا كان قد طُرد من الجنة فإنه ظل فى السماء الدنيا لفترة من الزمن . . ولعل الحكمة فى ذلك تمكُّنه من الوسوسة لآدم وإغرائه بالأكل من الشجرة المنهى عنها فتكون ذلّة آدم . . لأن إبليس لو هبط إلى الأرض فور المعصية لما تمكن من إغراء آدم والوسوسة له . . وكما خرج آدم من الجنة وهبط منها(٢) . . والحق سبحانه وتعالى أخبر آدم وحواء . . وإبليس اللعين عند الأمر لهم بالهبوط إلى الأرض بقوله سبحانه: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٢٤ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤، ٢٥] . . و﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ تعنى القبور أو الاستقرار فوق الأرض وتحتها وهذا دليل على أنها أنشئت من أجل استقرار الحياة عليها ومؤشر على أن آدم عليه السلام خُلق للعيش فيها مدة الحياة الدنيا وليس فى الجنة كقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥] ثم كما يقول المفسر هذه بشارة لآدم عليه السلام ليعلم أنه غير باق فى الأرض وأنه منتقل إلى الجنة التى وعد بالرجوع إليها . . وهذا يدل على البعث والحساب(٣).

(١) القرطبى، جـ١، ص٢١٥.

(٢) بتصرف من مختصر ابن كثير، جـ٢، ص١٢.

(٣) القرطبى، جـ١، ص٢١٩، وما بعدها.

« الحكمة الإلهية فى وجود آدم على الأرض »

من المؤكد أن الجنة دار ثواب للطائعين . . والنار كذلك دار عذاب للعاصين . . لهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يسكن آدم الأرض . . وأن تنتشر ذريته . . ثم يكون هناك تكليف يأتى للإنسانية من الله سبحانه بواسطة الأنبياء والمرسلين وأن كل نبى معه كتاب من الله يحدد خطة السير فى هذه الحياة . . ويترتب على ذلك معرفة الطائع من العاصى حتى يكون للطائع ثواب وللعاصى عقاب . . علماً بأن الحق سبحانه منح كل شخص حريته . . ومع ذلك أودع فيه العقل ليكون بمثابة كشاف . . يكشف له عن دلائل القدرة الإلهية فى هذا الكون . . مع بيان العدو الأول لنا . . وأسلوبه الذى يتخذه ليضل الناس، فالحق سبحانه قد بيّن ووضّح وأنذر وقال لنا بصريح العبارة: ﴿**مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [**الإسراء**: ١٥] . . ثم يقول لنا مُحذِّراً من عدونا الأول: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [**فاطر**: ٦] . . ثم أنه كان موجوداً فى صلب آدم من لا يليق بالولاية من الله ومن لايصلح لحظيرة القدس الإلهية ومن لا يستحق الخلود فى الجنة فأخرجه الله من الجنة إلى الأرض ليكون البيان للناس جميعاً . . ولتستكمل الإنسانية مسيرتها ثم تكون النهاية بعد مرحلة القبول وغيرها ﴿**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ**﴾ [**النجم**: ٤٢] . . وهكذا تتجلى إرادة الله ومشيئته وهو سبحانه يفعل ما يريد ولا يُسأل عما يفعل.

ومن المعلوم أن الناس على الأرض ينقسمون إلى قسمين . . مَهْدِىّ وضال . . فأما من اهتدى فمآله إلى الجنة . . يعود إليها كما بدأ خلقه فى صلب آدم . . وأما من سلك طريق الغواية والضلال والكفر والإلحاد فمآله إلى النار وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴿٢٩﴾ **فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ**

اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ من دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [**الأعراف**: ٢٩، ٣٠] ، وهكذا كانت صفات البشر[١]. فالحكمة إذا لمعرفة الطائع من العاصى. مع ترك الحرية لكل شخص يختار ما يشاء بإرادته. .

« الخلافة »

إن الحق سبحانه وتعالى عندما أخبر ملائكته أنه سيخلق آدم حدّد الحق سبحانه وتعالى للملائكة أن آدم هذا سيكون خليفة فى الأرض . . فقال سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [**البقرة**: ٣٠] . . فما هى الخلافة؟

عندما نقرأ فى كتب اللغة نستخلص إلى أن: (الخليفة فى اللغة من يخلف غيره فى أمر من الأمور)، وبالرجوع إلى أقوال العلماء السابقين يتبين لنا أن هناك اختلافاً فى أرائهم لكن النتيجة واحدة.

فالحسن البصرى يرى أن آدم عليه السلام ليس هو الخليفة وإنما هم أولاده لأنهم يخلفون أباهم ويخلف بعضهم بعضاً، وقد قال ذلك الطبرى أيضاً. .

والقرطبى يقول، والمعنِىُّ بالخليفة آدم عليه السلام . . ونسب هذا الرأى لابن مسعود وابن عباس.

والزمخشرى يقول أن الخليفة : آدم: واستغنى بذكره عن ذكر بنيه وإن كانوا هم المقصودون بدليل قول الملائكة عندما أخبرها الله بهذا الخلق فقد قالت: ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ فالملائكة أرادوا جنس بنى آدم لأن وصف الخلافة ينسحب على النوع بأثره . . فكلامهم عن الإفساد وسفك الدماء متوجه إلى

---

(١) بتصرف من:
١- قصص الأنبياء للنيسابورى ، ص٢٨.
٢ - فتح القدير للشوكانى، جـ٢، ص١٩٩.
٣ - الكشاف للزمخشرى، جـ٢، ص٦٢.

من يفعل ذلك من ذريته . . ولأن الخلافة تخص آدم وأبناءه فعناصر تكوين آدم هى عناصر تكوين الأبناء . . والقرآن الكريم أشار إلى اجتماع آدم وبنيه على خصائص واحدة، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ** ﴾ [**الأعراف**: ١١] . . فلو لم يكن اجتماع آدم مع بنيه على الخصائص فإن المقام كان يقتضى أن يقال: «ولقد خلقنا آدم ثم صورناه» وكما أشارت هذه الآية إلى خصوصيات الامتياز التى أُهِّل بها للخلافة تؤيدها آية ثانية وهى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [**الإسراء**: ٧٠] .

فالتكريم يرجع إلى خصائص الروح التى تهب لصاحبها من الكمالات ما يكون به أهلاً للتكرمة. . ومن المؤكد أن خلقنا وتصويرنا جاء بعد خلق آدم وتصويره وإسجاد الملائكة له . . إذاً فخلق آدم هو خلق لنا وتصويره تصوير لنا. . فإذاً تكون الخلافة له ولبنيه. .

« الخلافة عن من؟ »

الحق سبحانه وتعالى اختار آدم وذريته ليكونوا خلفاء على الأرض . . وهذه الخلافة تكون عن من؟ . . هناك آراء للعلماء نسترشد بها لتوضيح الصورة وكلها تدور حول . . هل الخلافة عن الله؟ . . أم عن الملائكة؟ . . أم عن الجن؟. . تكلم العلماء فى كل هذا وتشعبت الآراء. .

١ - الذين قالوا بأن الخلافة عن الله فهذا ما يطمئن إليه القلب من آراء العلماء لأن الله سبحانه قال: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ وهذا إعلام للملائكة ثم أمر الملائكة بالسجود له . . وقبل ذلك نفخ فيه من روحه فصارت خصائص الروح قوام وجوده وجماع مواهبه (وليس لله تعالى صورة حسِّية وإنما هى صفات)، وإلى هذا أشار حديث رسول الله ﷺ « أن الله خلق آدم على صورته» [رواه البخارى]، أى خلقه على صفته حيث أعطاه من كل صفة من

صفات جماله وجلاله شيئاً . . وهذا الرأى ذهب إليه الزمخشرى فى بعض أقواله وكذلك أبو السعود فى تفسيره . . كما ذهب إلى ذلك الفخر الرازى فى بعض أقواله . .

٢ - وهناك من ذهب إلى أن الخلافة عن الملائكة فإن بعض الآراء تشير إلى أن بعض الملائكة كانوا يسكنون الأرض وإلى هذا ذهب القرطبى فى بعض أقواله فى تفسيره . .

٣ - الخلافة عن الجن وإلى هذا ذهب رأى الطبرى ورأى للقرطبى ورأى للفخر الرازى وعلّلوا ذلك . . بأن أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا فأخرجهم الله منها إلى قمم الجبال وجزائر البحور ثم خلق الله آدم فأسكنه إياها بعد خلقه . . ومن هنا كان تعبير الملائكة فى ردهم ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ مما يرشد إلى أن عندهم معلومات عمن سكنوا الأرض من قبل وأفسدوا فيها . . ولعلنا نستأنس هنا بهذا الرأى وتكون الخلافة عن الله لإصلاح ما أفسده هؤلاء فإن الأرض قد هيّأها الله لتكون سكنى لمن يعمرها باستخراج كنوزها وإصلاح شأنها وعدم الإفساد فيها . . وإلى هذا أشار الحق سبحانه فى قوله لقوم ثمود ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ [**الأعراف**: ٧٤] . . ويقول أيضاً لأهل مدين على لسان شعيب: ﴿ **قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [**الأعراف**: ٨٥] . .

والذى استنتجناه من قول العلماء ليس هناك عليه دليل من كتاب الله وسُنَّةَ رسوله . . لكن عندما نقول بأن الخلافة عن الله فهذا ما يقوم عليه الدليل مما نفهمه من آيات الله بدليل دعوة الملائكة للاحتفاء بهذا الخليفة لأنه خليفة عن عظيم أما إذا كان خليفة عن ملائكة أو جن فلن تكون هذه الحفاوة . . والمعلوم أن الخلافة عن

الله إنما تتمثل بين شيء عظيم جداً هو (ارتباط الروح بالجسد) لأننا لو قلنا بأن الخلافة ستكون للعبادة فقط . . فإن الملائكة يعبدون الله سبحانه فليس هناك داع لخلق غيرهم. . وإن قلنا للتمرد الذى قد يظهر فإن الجن أعتى تمردا . . أما الإنسان بروحه وجسده فقد جمع بين طهر الملائكة وشيطنة إبليس . . فالإنسان إذاً بإمكانه أن يعيش على طهارة ونقاء يجمع بين خصائص الروح وخصائص الجسد ثم هذا الإنسان عليه أن يستبعد من ذهنه أن فى قدرته أن يُسخر قوانين الطبيعة وفق إرادته ويهيمن عليها وفق مشيئته ويخضع جبروتها لإرادته . . فهذا شيء لن يكون فالطبيعة مسخرة بأمر الخالق منسقة بحكمته بحيث تكون ملائمة لمصلحة الإنسان وتعايشه عليها مطوّعة لمقاصده فهو لم يسخر الليل الذى ينتفع به لأن فيه يسكن بدنه وعقله كذلك لم يسخر النهار حيث سطعت الشمس فانتفع بضوئها وحرارتها. . ولم يسخر الهواء حين رآه يميل بالأشجار ويدفع الأشياء فهو لن يستطيع أن يسخر أى شيء فى الوجود . . فالحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [**إبراهيم**: ٣٢ – ٣٤] . . إذاً الطبيعة مسخرة بأمر الخالق وكل عمل الإنسان فيها أن يكتشفها ليسهل عليه الانتفاع بها لأن سنن الله سبحانه وتعالى تقوم له فى عالم الطبيعة بما يريد وليس مما يقبله العقل أو الواقع أن يكون عمل الإنسان تكرار عمل قوانين الطبيعة . . فالطبيعة لم توهب موهبة الإرادة الإنسانية التى تجعل لها الاختيار فيما تشاء أما الطبيعة فإنها مسخرة بأمر الإرادة الإلهية ولا تستطيع الانفلات من ذلك . . لهذا نجد أن قول الحق يوضح لنا ذلك: ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس: ٤٠] . . فإذا كانت قوانين الطبيعة مسخرة بأمر الواحد فإن الإنسان الذى هو خليفة الله له إرادته تنبع من نفسه حيث منحه الله الحرية وهو يختار لنفسه ما يشاء بعد أن بيّن الله سبحانه له طريق الخير من طريق الشر . . لأنه لو كان أمرنا فى إمضاء أحكام الله موكولاً إلى

سُنّة الله فى الكون لانسقنا إلى تحقيق ما هو مطلوب منا دون تدبر أو اختيار وتولت سنن الكون سياقنا إلى ذلك . . لكن الأمر المشاهد أن الإنسان يستعمل عقله وفكره وإرادته ويفعل ما يشاء وقد تولى الحق سبحانه رسم منهج الخير ودعا إليه ولهذا أودع الله العقل فى الإنسان ليكون ميزان الاعتدال ثم بعث الله الرسل ليكونوا هداة راشدين وأنزل الكتب ليستقيم الناس على أمر الله حيث بيّن وفصّل ووضح معالم الطريق . . ومن هنا تكون الخلافة عن الله هى الإعلان فى الملأ الأعلى لما أريد لهذا الإنسان من كرامة عظمى لأنه مُهيّأ لأن يتقدم فى كشف قوانين الطبيعة فيحرث الأرض ويُقلّبها ويزرعها ومن زرْعها يأكل ويصنع . . وفى سبيل ذلك يتقدم ويتطور ثم يُقيم السدود ليحتجز المياه لينتفَع بها ومن خلال ذلك تتسع دائرة انتفاعه فيخترع ويكتشف ويعمِّر ويطوى المسافة بين السماء والأرض يبحث فى الفضاء ويسخر الريح لتحمله والسفن فى الماء لتنقله لأن الإنسان مزوّد بمواهب وملكات ليطوِّع الكون لإرادته وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ [**الرحمن**: ٣٣] . . والإنسان فى مسيرته لابد من الاستشراف إلى الآفاق العليا فيستعمل خصائصه الروحية التى تربطه بالملأ الأعلى لأن حلول الروح فى البشر تتطلَّب أن يكون لعقل الإنسان خاصيِّة يدرك بها أن الكون خلق الله فالإنسان إذاً له يد ورجل وعين وجوارح . . له كذلك قلب وعقل وروح وفكر لأنه من روح يستطيع أن يحقق فى مجتمعه ما يشاء من مناهج الحق والخير والرحمة والبر والعدل والمساواة والصدق والفضيلة والأمانة والعفة . . إن الإنسان كما هو بشر من طين هو كذلك روح من الله وهذه الروح علوية تتضمن من الخصائص ما يجعله يحيا على الأرض متصلا بالسماء فكما أنه من طين ففيه نفخة علوية تجعله يُحلِّق فى الكون بلا أجنحة وينتقل بين السموات فى أقل من لمح البصر ومن هنا كان هذا التكريم للإنسان الذى خلقه الله على صورته ومنحه من الخصائص والملكات والمواهب ما لو عُنىَ به ووجهه إلى تحقق مهمته لاستطاع أن يحقق وجوداً معنوياً ذا خصائص ربّانية فيكون مكتمل المعانى فتؤدى صفاته التى هو عليها ما يشاء لأن مشيئته تكون

من إملاء تلك الصفات عليه فلا يشاء إلاّ ما يشاء الله وهنا تكون الخلافة قد أدّت عملاً ومقصداً على أتم ما يريد الله فى تنفيذ مشيئته فيكون قوامه أى مادته التى يقوم بها بناؤه هى العلم بالله وهذا العلم يقتضيه أن يتمسك بالحقائق التى أمر الله بها من العلم والحكمة والعدل والحق والود والبر والرحمة والإحسان وهذه الحقائق أسما ما يتواصى به الحكماء والعقلاء عند تخطيط أصول الحضارات ورفع كيان الأمم وهذه الحقائق أسمى ركائز خلافة الإنسان فى الأرض. . ولهذا كان حُب الحق والتمسك به يتحول فى ضمير الإنسان من حب العرض الأدنى إلى العَرَض الأعلى وهذا يُبيّن ما لحقائق الإيمان وقيمه من نفاسة وبهجة والإيمان فى قلب صاحبه دافع بهمته إلى العلو حتى يصل إلى عرش الله العظيم وبهذا يُقال له ولأمثاله: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [**يونس**:٥٨] . .إن حُب الإيمان وزينته يجعل النفس تبصر الحق فى أقوال الناس وأفعالهم وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله«اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» [رواه الترمذى] . . إذاً فالإنسان الذى تهيأ للخير جمع بين الدين والدنيا . . والإنسان بطبيعته يميل إلى طينته ويتشبث بالأرض التى نشأ منها . . والحق سبحانه وتعالى من رحمته يعلم ضعف الإنسان فإذا أحبَّ الدنيا وزينتها وأقام لها معياراً وأحاط نفسه بشرف النسب ووفرة الثراء وشارات الجاه والمنصب وبدأ يحتقر عباد الله . . هنا يقول له العليم الحكيم . . إن المال لا ينفع ولا يدوم لأن الموت آت لا ريب فيه والعاقل من استعد للقاء الله الذى لا مفر منه فهــو القائل لنا مـذكــراً: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [**آل عمران**: ١٤] . . ثم يذكرنا بأن المال فتنة فلا نُخدع به ولا نغتر ولا نسخره فى الأعمال التى نهانا الله عنها، فيقول لنا سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [**التغابن**: ١٥] . . وهو لا ينهاك عن جمع المال ولا كثرة الأولاد وإنما يُبيّن لك ألاّ تغتر بهذا ولا يشغلك جمع المال عن الواجبات التى فرضها الله عليك ولا تُلهيك أولادك عن طاعة الله بل عليك أن تعيش فى

الواقع فإن انشغلت بجمع المال فقم بزيارة المقابر وتذكر من فيها واسألهم عن أحوالهم فإنهم لـو نطقوا لقالوا لك (أقم ميزان الاعتدال فى نفسك) فلا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ثم يقول لك فى القرآن ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [**التكاثر**: ١-٤] وهذه المقابر لابد للإنسان أن يصل إليها مهما طال عمره لأن الموت للإنسان بالمرصاد فالله تعالى يقول: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [**الجمعة**: ٨] .. ومن هنا يتبيّن أن الإيمان زينة فى قلوب أهله وهى زينة تتعلق فيها الهمة بمعقولات ماديّة ومعنوية أما زينة الحياة الدنيا فهى زينة تتعلق فيها الهمة بأمور حسِّية ومن هنا كان أصحابها موتى لأنهم قطعوا أنفسهم عن مصدر الحياة.

« التعايش على الأرض »

وهى التى خلق منها الإنسان وإليها عاد ليستكمل حياته ثم .. هناك أجل محدود لكل إنسان فإذا جاء هذا الأجل وهو (الموت) ذهبت روحه إلى البرزخ أما الجسد فيبقى بلا حركة ومن هنا يوارى فى التراب لأنه يعود إلى حالته الأولى (الحمأ المسنون) فتظهر رائحته الكريهة ويتغير منظره الأمر الذى يجعل أقرب الناس يفر منه.. لهذا .. لابد لنا أن نأخذ العبرة من الموت وأن نعلم أنه مصير كل كائن حى.. ومن هنا فإن الموت فكرة وعبرة يذكرنا دائماً بعظمة الروح التى كان بها الجسد الطينى يحيا ويتنفس ويتحرك ويمشى ويفكر ويعقل .. فإذا سُلبت منه الروح، وهذا أمر مؤكد آت لا ريب فيه .. فتصبح الجثة هامدة وصدق الله العظيم: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ [**القصص**:٨٨] .. وقوله سبحانه: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [**الرحمن**: ٢٦، ٢٧] .. وبعد فقد الروح يؤخذ الناس الجثة للصلاة عليها .. والصلاة على الميت .. صلاة بلا ركوع أو سجود حتى لا يظن أحد أن السجود أو الركوع للإنسان الميت .. وإنما تؤدى صلاة الجنازة بالوقوف فقط وتكون الجثة حائلة بين الناس وبين القبلة .. إذاً.. فصلاة الجنازة توسلٌ من الأحياء لصاحب الأمر والتدبير أن يرحم هذا

الفقيد . . ولهذا . . استحب العلماء أن يؤم المصلين على للميت أقرب الناس إليه . . وأعرفهم به . . فإن دعاءه يكون مقبولا . . لأنه بمثابة شاهد على الميت يقول لربه . . ما دعوت له إلاّ لما أعرفه عنه من سيرة طيبة . . وعمل حسن . . فإن كان الميت غير ذلك فكأن الداعى يقول . . أنا أتوسل إليك يارب ومعى هذا الجمع من المؤمنين أن تسامح بفضلك هذا الميت . . الذى ترك دنياه وكان فيها ناسياً ذكرك . . فتجاوز عنه برحمتك يا أرحم الراحمين . .

إن آدم هبط إلى الأرض ليعمرها ويصلحها ثم يكون نسله من بعده . . هذا النسل يحافظ على نظافة البيئة . . وعلى النظام العام . . ولا يحاول أن يغير خلق الله الذى أتقن صنعة كل شىء . . وكل إنسان فى سعيه يدرك أن له ساعة محددة سوف يترك الدنيا بكل ما فيها . . وسوف يرحل إلى الله الذى يحاسبه على كل شىء عمله فى حياته . . حتى الكلام الذى تكلم به الإنسان فى الدنيا سوف يحاسب عليه لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا عبثا فهو القائل سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [**الأنبياء**: ١٦، ١٧] . . ويقول سبحانه: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [**الأعراف**: ٢٤] . . ويقول سبحانه: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [**الأنبياء**: ٣٥] تلك رحلة الحياة أيها الإنسان ثم يكون العودة إلى الذى خلقك بيده ونفخ فيك من روحه ثم أسكنك أرضه . . وأظلّك بسمائه . . ثم أنعم عليك برزقه حيث تكفل لك بالرزق فى حياتك وأكدّ على ذلك عندما أعلمك بذلك فى قوله سبحانه: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾ [**هود**: ٦] . . ثم بعد رحلة الحياة . . أماتك فأقبرك . . وليست هذه هى النهاية ولكنها بداية لمرحلة آتية عندما تأتى مشيئة الله ويحيا الناس من قبورهم بإذن ربهم ويومها تتغير معالم الكون ويساق الناس إلى أرض المحشر ويحاسب كل فرد على ما قدمت يداه ثم تكون النهاية العودة إلى الجنة لمن عمل صالحاً . . والنار لمن اتخذ الشيطان وليّا وتنكب فى سيره وانحرف عن هدى الله وتعاليم رسله . . ويومها حياة خلود ليس فيها ما يكدر الصفو للصالحين . . أما أهل النار فيستغيثون ويكونون كما قال القرآن عنهم: ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ**

أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٨٠] . . والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٨: ٥١] . . ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] . . وفى أهل الجنة يقول الحق سبحانه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧] . . ويقول سبحانه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] . . ويقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤] . . ويقول سبحانه: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤] . . ويقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٨ - ٢٤]

إن العاقل من دان لنفسه وعمل لما بعد الموت لأن الحياة الدنيا قصيرة . . سعادتها لا تدوم . . ونعيمها مقطوع ولذتها منغصة . . أما الحياة الآخرة فهى سعادة مع سرور وفرحة دائمة . . ونعيم دائم لا يزول . .

" المؤانسة "

ما كان الحق سبحانه وتعالى وقد خلق الإنسان ليعمر الأرض ويسكنها أن يتركه وحده فى هذا الكون الفسيح ومن حوله جبال وأشجار وأنهار ومحيطات والإنسان بلاشك يشعر بالوحشة والرهبة والخوف الذى يستولى عليه . . ثم لا يغيب عن بالنا أن العالم من حولنا فيه صنوف الطير المتعددة والبهائم المستأنسة وغير المستأنسة . .

والوحوش المفترسة وغير المفترسة . . فهل يا ترى يستطيع الإنسان أن يعيش فى هذا الجو بلا مؤنس يؤنسه أم لابد لنا من أصدقاء مؤنسين فى هذا الكون الغامض الذى يحيط بنا . . إذاً كانت مقتضى الحكمة الإلهية أن يكون فى هذا الكون صديق مؤنس . . وعدو مزعج . . وعشير صالح . . أو طالح . . وقرين نافع أو ضار . . فقد أوجد الله لنا ذلك ونبهنا إليه وترك لنا حرية اختيار الصديق الذى نميل إليه . . وأن يكون معناً يتصل بنا ونتصل به . . وقد أوجد الله هذين النوعين، وهما:

١ - الملائكة.

٢ - الجن.

فلينظر الإنسان أى صديق يختار من هذين النوعين ويختلط بكيانه. . وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن الإنسان صُمِّمَ من أول لحظة وله نوافذ تطل على العالم. . وله من سبحات فكره وملكاته الروحية ما يصله بالملأ الأعلى ويقوم فيه مقام النوافذ الحسِّية . . وقد تُرِك له الاختيار فى مصاحبة من يشاء ويأنس إليه. . وعلى الإنسان أن يفتح نوافذه . . يبصر ويسمع ويشم . . فى عالم الحس. . ثم يسبح بفكره ويسمو بروحه ليطل على ما وراء الطبيعة ثم يستخلص من كل أفق نسيمه وضوءه وكل مقومات الصحة والحياة . . وعلى الإنسان أن يعرف قدر نفسه وأن يتأكد أن الله الذى خلقه جعل له فى هذا الكون الخفى أعواناً وصدق رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن . . قالوا. وإيّاك يارسول الله . . قال وإيَّاى إلاّ أن الله قد أعاننى عليه فأسلم»[صحيح مسلم] . . وإذا كان الرسول ﷺ أخبرنا بذلك فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأن كل واحد منا له وحوله معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله . . فيقول لنا ربنا: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [**الرعد**: ١١] والرسول ﷺ يقول: «إن معكم من لا يفارقكم إلاّ عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم»[١] . . إذاً نريد أن يستقر فى الأذهان أن هذا الكون فيه غيرنا وقد خلقهم بقدرته وإرادته ووفق مشيئته . . وقد وهبك الله نوافذ تطل بها على هذا

(١) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص ٥٠٣.

الأفق وتتعرف على من معك فى هذا الكون وتصادق من تشاء وأنت حُرٌّ فى الاختيار . . لكن عليك أن تعلم مع ذلك . . أن الله زوّدك بالمعارف . . ووضّح لك كل صنف من المخلوقات ونبهك إلى من تصاحب ومن لا تصاحب ثم قال لك بصريح العبارة: ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥]، والرسول ﷺ يقول موضحا: «فى القلب لمتان . . لمة من الملك . . إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله . . ولمة من العدو الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم. . ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. . إن الإنسان يسُرّه أن يكون له فى هذا الكون أصدقاء . . ومن المؤكد أن الأصدقاء يختلفون فى طبائعهم . . منهم من يبذل الود والنصيحة . . ويقوى على فعل الخير والطاعات . . ومنهم من يقود إلى الشر ويدفع إلى الجريمة ويزيِّنها ويهئ الظروف لارتكاب المعاصى . . والإنسان العاقل هو الذى يختار رفيق حياته وصديق عمره الذى يُزيِّنُ له الخير ويرغِّبه فى فعله ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلا، بالصديق الصالح بأنه مثل الذى يبيع المسك فهو إما أن تشترى منه وإما أن تشم منه ريحاً طيباً . . وضرب لنا مثلاً بصديق الشر الذى يحث على الخيانة والرذيلة فمثل هذا كنافخ الكير وهو إما أن تشم منه دخاناً يضر بصحتك ويذهب بنضارة وجهك ويجلب المرض . . وإما أن يتطاير منه شرر يحرق ثيابك ويهدد كيانك. . وهكذا . . لذلك علينا نحن أن نقف لنوضح أصدقاءنا فى هذا الكون المحيط بنا ونتعرف على خصائص كل فريق لنعيش على بيِّنة من الأمر . .



الفصل الثانى

الملائكة

الفصل الثانى

"الملائكة"

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨]

وروى الإمام أحمد عن أبى ذر قال.. قال رسول الله ﷺ: «إنّى أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أطَّت السماء وحقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل».

صدق رسول الله ﷺ

الملائكة هم أول الأصدقاء لنا فى هذا الكون خلقهم الله من نور.. وطبيعتهم أنهم لايأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة وهم على حال واحدة لا يطرأ عليها تحوُّل ولا تبدُّل.. أى ليس لهم طفولة.. وشيخوخة وما بين ذلك من صبا وشباب.. وليس لهم مع الزمن زيادة فى علم أو معرفة عن طريق الكسب الذاتى.. وإنما يجئ علمهم ومعرفتهم بما يتلقونه من الله تلقائياً ومباشراً.. وقد جاء فى قولهم أمام ربهم ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ وإذا كانت الملائكة على نمط واحد من الصفاء والبهاء فإرادتهم لا تتغير بل هم مستسلمون لله الواحد القهار فى طاعة دائمة ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وهم وإن شرفوا قدراً وعلوا منزلة ليسوا أهلا للخلافة على الأرض.. لأن منصب الخليفة يقتضى استقلالاً فى تصريف شئون ما أوكل إليه وتفكيراً وتخطيطاً وتقديراً للأمور ثم إرادة تمضى لتنفيذ ما انعقد عليه الرأى شأنه فى هذا شأن الوكيل الذى يتولى من الأصل التصرف فيما وُكِّلَ فيه وعلى هذا تكون الملائكة خلقها الله لأمور معينة يعلمها هو سبحانه ويطلب منهم تنفيذها وهم يفعلون ما يؤمرون لأنهم عباد مكرمون.

«مسكنهم»

السماوات فهى مستقر الملائكة وفى كل سماء عدد لا يُحصى من الملائكة لايعلم عددهم إلاّ الله ففى حديث رسول الله ﷺ : « ما فى السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلاّ وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً ما عبدناك حق عبادتك إلاّ أنّا لا نُشرك بك شيئاً» ومع أن مسكنهم السماء فهم ينزلون إلى الأرض بأمر ربهم لأن هناك بعض الملائكة لهم تكليفات فينزلون إلى الأرض لتنفيذ ما كلفوا به ثم يصعدون إلى السماء.

«عبادتهم»

من الثابت المؤكد أن الملائكة عندما خلقهم الله وهم فى عبادة دائمة . . فمنهم الراكع أبداً . . ومنهم الساجد أبداً . . ومنهم المسبح . . ومنهم المكبر . . ومنهم المهلل . . ومنهم حملة العرش والحافون به من حوله . . ومنهم أمناء الوحى والسيّاحون فى الجهات . . والموكلون بالأرواح والأرزاق والأمطار . . ومنهم الحفظة على الإنسان ليحفظوه بأمر الله ويدفعوا عنه كل مكروه وإذا جاء القدر تخلوا عنه . . وما دام هذا تكليف من الله لهم فهم فى عبادة لأن الاستجابة لأمر الله وتنفيذ هذا الأمر عبادة عظيمة لها ثوابها وأجرها . . وإذا كان الملائكة كذلك فعلينا أن نستعرض القرآن لنتعرف على الآيات القرآنية التى تشير إلى منزلتهم ومكانتهم عند الله . . يقول الله تعالى:

١ - ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٢٦-٢٩].

٢ - ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

٣ - ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥].

٤ - ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦].

٥ - ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]

٦ - ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

٧ - ﴿ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

٨ - ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١].

٩ - ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

١٠ - ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١].

١١ - ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١].

١٢ - ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢].

١٣ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

١٤ - ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١].

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة والتى يجدها قارئ القرآن شاهدة ومبيِّنة وموضِّحة بأن هذا الكون العظيم فيه ملائكة الله المكرمين.

«نزولهم إلى الأرض»

الملائكة أجسام نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولهذا فهم لا يستطيعون العيش على الأرض لأن مسكنهم السماء . . لكنهم يكلفون من الله بالنزول إلى الأرض وهم ينفذون أوامر الله وينزلون ويتشكلون فى صورة بنى آدم . . وتكون صورتهم جميلة وهيأتهم حسنة وقد قص القرآن علينا بعض القصص من نزول الملائكة من ذلك:

١ – جاءوا إلى سيدنا إبراهيم (أبو الأنبياء) فى صورة ضيوف ولما دخلوا عليه جاءهم بالطعام لكنهم لم يأكلوا فخاف إبراهيم منهم لكنهم بادروه بقولهم لا تخف إنّا رُسل ربك. ثم ألقوا إليه البشرى بأنه سيولد له غلام من زوجته التى كانت قد أقبلت وسمعت الكلام فصكت وجهها حياءً وقالت أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشيء عجيب . . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، ونقرأ هذا فى قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ[1] وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٢٤–٣٠].

٢ – جاءت الملائكة فى صورة بشر إلى سيدنا لوط – عليه السلام – وجاءوا وهم على هيئة رجال حسان الوجوه إلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ

(١) ضربت بيدها على وجهها تعجباً من الخبر.

رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ[1] وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود : ٧٧-٨١] . .

إلى غير ذلك من الآيات التى جاءت فى سياق قصة لوط فى موضع آخر، وهنا وفى قصة إبراهيم كانوا يأتون على هيئة ضيوف . .

٣ - السيدة مريم أم المسيح - عليهما السلام - كانت عابدة ناسكة . . عالمة متبتلة وكانت تدعو ربها بصدق وإخلاص . . كانت يتيمة فقيرة . . ويقوم على كفالتها وتدبير أمرها ورعاية شأنها زوج خالتها النبى العظيم (زكريا عليه السلام) وكان يتفقد أحوالها ويدخل عليها فى محراب تعبدها ومكان خلوتها (المحراب) يسألها أى طلب تكون لها رغبة فيه . . وكان زكريا يُفاجأ بكثرة الطعام عندها ومن الطعام الموجود عندها أصناف غير متوفرة فى السوق المحلى وليس هذا أوان نضجها وبيعها فى الأسواق العالمية . . فيسأل زكريا مريم . . من أين جاء لك هذا، ومن الذى أحضره إليك؟ فتقول: مريم فى خشوع وخضوع لم يدخل علىَّ فى محراب تعبدى أحد إلاّ أنت . . فيكون الذى جاء إلىّ بهذا ورزقنى إيّاه هو الله رب العالمين . . وهو قادر وعظيم . . عرف زكريا أن المكان الذى تجلس فيه مريم مكان مبارك ولا شك أن الله يستجيب الدعاء فى مثل هذا المكان . . وكان زكريا لم ينجب ولداً وقد كَبُرَ سنُّه وابيض شعره . . وضعف جسمه . . ووهن عظمه، لكنه كان يتطلع إلى الولد ليرثه من بعده ويرث مواريث الخير لينشرها من بعده ويقوم على رعاية الإناث . . ويرعى شأنهن وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ

(١) خاف عليهم من الإساءة إليهم من قومه وهم فى ضيافته، ولا يستطيع حمايتهم.

زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [**مريم**: ٢ - ٦] . . زكريا عليه السلام وهو فى المكان المبارك (محراب تعبد السيدة مريم) رفع يديه إلى السماء وقال فى ذل وخشوع وخضوع لمالك الملك الواحد الأحد ودعا ربه قائلاً: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ [**آل عمران** : ٣٨] . . ولما كان المكان طاهرا ونظيفاً فإن فيه ملائكة الله لأنها تحب الأماكن الطاهرة النظيفة فأعلنت الملائكة عن وجودها ونادت وقالت كما يقول القرآن ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [**آل عمران** : ٣٩] . . وقد استجاب الله الدعاء وبشّرت الملائكة وكل ذلك تم فى لحظات اتسمت بسمو الروح وصفاء النفس واتصال صادق بالملأ كله طُهرٌ ونقاء والله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين الذين يأخذون زينتهم عند كل مسجد . . زينة النفس وزينة الملبس وزينة المكان لأن من طَهَّرَ جسمه طَهّرَه الله فهو سبحانه النظيف يحب النظافة.

ونعود إلى مريم -عليها السلام- فقد كانت تخاطبها الملائكة فتأنس إليهم وتستجيب لتوجيهاتهم لأنهم يأمرونها بالخير ويوجهونها إلى عبادة الله الواحد حسبما جاء فى قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [**آل عمران**: ٤٢ ، ٤٣] . . لهذا كانت مريم عابدة تقية ورعة . . وفى أحد الأيام وهى فى مكان تعبدها فوجئت بمن يقف أمامها فى هيئة بشر فخافت مريم منه لأن الأبواب مغلقة ولم يستأذن عليها أحد لذلك أصابها فزع ورعب فقالت كما يحكى القرآن:

﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾ [**مريم**: ١٨] . . لكن الملك ردّ عليها بأنه لم يقصد بها شرّا وأخبرها قائلاً: ﴿ **إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا**

زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٩] وتعجبت مريم كيف ألد وأنا فتاة عذراء لم يمسسنى بشر وأنا حصَّنت نفسى بالله وعشت طاهرة عفيفة وأسرتى معروفة بالطهر والفضيلة والعفة والأمانة وأنا لست بَغّياً لأننى من أصل كريم . . فرد عليها الملك المتمثل فى صورة بشر قائلاً: أنت كذلك وأنا ملك موكل بأمر الله لذلك قال لها: ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٢١] . . ونقرأ هذه القصة بتمامها فى سورة آل عمران من الآية ٣٣ إلى الآية ٥١ وفى سورة مريم من الآية رقم ٢ إلى الآية ٣٦ . . إلى غير ذلك من الآيات التى تُبيّن لنا نزول الملائكة إلى الأرض بأمر ربهم لأنهم كما يقولون: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ٦٤].

٤ - سيدنا محمد رسول الله ﷺ كانت تأتيه الملائكة على هيئة رجال خاصة سيدنا جبريل -عليه السلام- فقد كان يأتى فى صورة شاب جميل الوجه حسن الطلعة . . وقد كان يأتى فى أشكال متعددة وصور مختلفة . . فقد كان يأتى على هيئة صورة (دحية بن خليفة الكلبى) وتارة فى صورة اعرابى فقد حَدّثَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد . . حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه . . وقال . . يا محمد . . أخبرنى عن الإسلام . . فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله . . وأن محمداً رسول الله . . وتقيم الصلاة . . وتؤتى الزكاة . . وتصوم رمضان . . وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . . قال . . صدقت . . فعجبنا له يسأله ويصدقه . . قال . . فأخبرنى عن الإيمان . . قال . . أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . وتؤمن بالقدر خيره وشره . . قال . . صدقت . . قال . . فاخبرنى عن الإحسان . . قال . . أن تعبد الله كأنك تراه . . فإن لم تكن تراه فإنه يراك . . قال . . فاخبرنى عن الساعة . . قال . . ما المسئول عنها بأعلم من السائل . . قال . . فأخبرنى عن أماراتها . . قال . . أن تلد الأمة ربتها وأنى ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون

فى البنيان ثم انطلق . . فلبثت مليّاً . . ثم قال . . يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت . . الله ورسوله أعلم . . قال . . فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» [رواه النسائى ومسلم] .

٥ - فى غزوة بدر كان عدد المسلمين الثلث من عدد المشركين . . كما أن سلاح المسلمين قليلا وكان ضعيفاً . . وكانت غزوة بدر أول وقعة حربية فى الإسلام فلو أن المسلمين هُزموا فيها لقضى على الإسلام فى مهده ولم تقم له قائمة . . ولما كان الإسلام هو دين الله الخالد فلا بد من نصره والذى ينصر هو الله لقوله سبحانه : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [**الأنفال** : ١٠] . . ولهذا كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم بدر وهو يشير إلى الصحابة : «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد»[1] . . لهذا نزلت الملائكة لتزيد من عدد المسلمين وتقويهم وكان ذلك بأمر الله فهو القائل : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [**الأنفال** : ١٢] . .

وقد نزلت الملائكة استجابة لدعاء النبى ﷺ واستجابة لاستغاثته ويتضح لنا ذلك من قول الله سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [**الأنفال** : ٩] . . لأن الله سبحانه وتعالى ما كان ليذر المؤمنين على ما هم فيه من ضعف لأنه سبحانه مولى الذين آمنوا وهم خير الناصرين لذلك ذكَّر المسلمين بذلك فقال : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [**آل عمران** : ١٢٣ - ١٢٦] . . ونزول الملائكة على المسلمين فى الحروب أمرٌ ثبت فى كثير من الحالات . فالله سبحانه وتعالى هو القائل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [**غافر** : ٥١] .

---

(١) الروض الأنف للسهيلى، جـ٣، ص٣٨.

٦ – أولياء الله . . الولى . . هو من تولى الله بالطاعة . . فتولاه الله بالرعاية وصدق الله العظيم: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ [**البقرة**: ٢٥٧] وأولياء الله الذين تولاهم برعايته لا خوف عليهم من ظالم فهم فى حماية الله ورعايته وصدق الله العظيم: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [**يونس**: ٦٢-٦٤] . . والله تعالى يدافع عنهم فى كل المواطن بأن يأمر مَلكاً ينزل فى صورة رجل أو يلهم بعض الناس للدفاع عن هذا الولى وقد يكون من أعدائه . . فإن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾ [**الحج**: ٣٨] . . والولى يُفرِّج الله كربه . . ويؤنس نفسه ويفتح له دائماً الأبواب المغلقة ويفرِّج عنه كل أزمة ويرزقه الرضا ويُرَضِّيه به وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ** ﴾ [**الطلاق**: ٢ – ٣] . . والولى التقى النقى الورع الذى يأخذ فى الأسباب ويبذل جهده ولا يتواكل ولايتكاسل . . فهو قوى فى إيمانه قوى فى جسده نظيف الملبس طيب الرائحة عفيف النفس يعمل كل عمل فى حياته بنيِّة العبادة لله بمعنى إن كان تاجراً . . تعامل بالأمانة والصدق ويعتقد فى قرارة نفسه أنه وهو يتعامل مع الناس الله رقيب عليه . . لذلك يبيع الأجود ولا يستغل الناس . . كلمته واحدة عنده وفاء . . ومع هذا فقد يكون الولى طالب علم فى الزراعة أو الكيمياء أو أى علم من علوم الحياة . . فيكون فى نيِّته وهو يتعلم أنه سيسخر علمه لخدمة الناس . . وسوف يجتهد ليجدد فى هذا العلم ويضيف إليه ويبتكر نظريات مستحدثة ليخدم أمته وينهض بوطنه وفى يقينه دائماً أن الله مُطّلع عليه إلى غير ذلك من كل شىء فى الحياة . . لأن أولياء الله يعملون لدنياهم كأنهم

يعيشون أبداً . . ويعملون لآخرتهم كأنهم يموتون غداً وشعارهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧] . . ويقبلون على الدنيا يتمتعون بخيراتها ويلبسون أجمل ما أنتجته المصانع لأنهم يقرأون قول الله: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦] . . وقوله سبحانه: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] . . كذلك أولياء الله يأكلون ما لذّ وطاب فهم قد اتعبوا أبدانهم فى جمع المال من حلال فحق لهم أن يتمتعوا بلا إسراف ولا تبذير وإنما شأنهم الاعتدال وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣١، ٣٢] أولياء الله العاملون المجدّون تتنزل عليهم الملائكة حسبما جاء فى قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١] . .

ويتبين لنا مما قدمناه أن الملائكة وإن كان مسكنهم السماء بصفة دائمة وعالمهم عالم الطهر والصفاء والطهارة والنقاء فهم ينزلون إلى الأرض بأمر ربهم لتنفيذ ما يريده الله . . ونقرأ قول الله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] . . وذلك فى ليلة القدر حيث تنزل الملائكة إلى الأرض لتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى . .

«أعمالهم فى الأرض»

الملائكة عندما تنزل إلى الأرض تنزل بتكليفات محددة فمنهم . .

١ - من تكون مهمته حفظ الإنسان يدافعون عنه ويحمونه من الأشياء الضارة ويحافظون عليه حتى إذا جاء القدر تخلوا عنه لأن الله لا راد لحكمه وإلى هذا أشار الحق سبحانه فى شأن الملائكة الموكلين بحفظ بنى آدم: ﴿ **سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ** ﴾ [**الرعد**: ١٠] قال ابن عباس هم الملائكة يحفظون الإنسان من أمر الله . . ثم قال . . ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله تخلوا عنه . . وقال مجاهد «ما من عبد إلاّ وملك موكل بحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام وليس شىء يريده إلاّ قال وراءك إلاّ شىء يأذن الله به فيصيبه . . فما من آدمى إلاّ ومعه ملك يزود عنه حتى يسلمه للذى قُدِّر له»[1].

٢ - ومن الملائكة من هو مكلف بكتابة أعمال العباد وحفظها وقد ثبت أن كل إنسان معه ملكان واحد عن اليمين يكتب الحسنات وواحد على الشمال يكتب السيئات قال الله مُبِّيناً لنا هذا الأمر: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾** ﴾ [**ق**: ١٧، ١٨] . . وقوله سبحانه: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾[**الأنفطار**: ١٠-١٢] . . فهذان الملكان لكل إنسان يسجلان عليه عمله، ولهذا ورد أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله ينهاكم عن التعرِّى فاستحيوا من الله والذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلاّ عند إحدى ثلاث حالات . . الغائط . . الجنابة . . الغسل . . فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجذم حائط أو بعيره»[2] . . ومعنى إكرام الكاتبين أن يستحى

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، جـ١، ص٦٥.

(٢) تفسير الرازى عند هذه الآية.

الإنسان منهم فلا يملى عليهم الأعمال القبيحة التى يكتبونها فإن الله خلقهم كراماً فى خُلقهم وأخلاقهم.

٣ - بعض الملائكة موكلون بالمساجد لأنها أفضل الأماكن فى الأرض وأطهرها فهى محل الصلاة وأماكن الذكر وملتقى الصالحين ففى الحديث عن رسول اللهﷺ : «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه» [رواه مسلم] . . وقال أيضاً: «ما اجتمع قوم يذكرون الله إلاّ حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» [رواه مسلم].

وفى حديث آخر: « إن لله ملائكة سيَّاحين فى الأرض فضلاً عن كتاب الناس فإذا وجدوا أقواماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله أى شىء تركتم عبادى يصنعون؟ فيقولون. . تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك . . فيقول. . وهل رأونى . . فيقولون . . لا. . فيقول. . كيف لو رأونى؟ . . فيقولون. . لو رأوك لكانوا أشد تحميداً وتمجيداً وذكرى. . قال. . فيقول: فأى شىء يطلبون؟ فيقولون. . يطلبون الجنة. . فيقول. . وهل رأوها؟ فيقولون . . لا . . فيقول. . وكيف لو رأوْها؟ فيقولون. . لو رأوْها لكانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً . . قال فيقول. . من أى شىء يتعوذون؟ فيقولون . . من النار. . فيقول. . وهل رأوْها؟ فيقولون. . لا . . فيقول. . فكيف لو رأوْها؟ فيقولون. . لو رأوْها كانوا أشد منها هرباً وأشد منها خوفاً. . قال. . فيقول. . أشهدكم أنى قد غفرت لهم . . قال. . فيقولون. . إن فيهم فلاناً الخطّاء لم يردهم إنما جاء لحاجة . . فيقول. . هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[رواه أحمد]. هذه هى

الملائكة التى تكون مع الإنسان وهو لا يراها إلاّ إذا كان عند الإنسان شفافية وقد قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يسمعون الذكر»[رواه البخارى] . . وقال رسول الله ﷺ فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] قال . . «تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار »[رواه الترمذى] . . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الملائكة يتعاقبون . . ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم . . فيقول . . كيف تركتم عبادى؟ فيقولون . . تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[رواه البخارى] .

٤ – ومن الملائكة من هو موكل بلعن من يغضب المسلم ويؤذيه . . خاصة إذا كان الرجل متزوجاً وطلب زوجته إلى الفراش فأبت ورفضت فإن الملائكة تلعنها لأنها برفضها هذا قد تدفعه إلى ارتكاب فاحشة أو التورط فى الزواج بأخرى ولا يستطيع العدل بين الاثنتين وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تُصبح» .

[رواه البخارى]

٥ – هناك ملائكة خُصصوا للتأمين على تأمين الإمام الذى يصلى بالناس صلاة الجماعة لأنه بعد أن يقرأ الفاتحة يقول آمين فإذا أمَّن المأمون ووافقوا إمامهم ووافق تأمينهم تأمين الملائكة غفر الله لهم جميعاً، فقد قال رسول الله ﷺ : « إذا أمَّنَ الإمام فأمِّنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»[رواه البخارى ومسلم] .

وفى حديث آخر قال رسول الله ﷺ : « إذا قال الإمام آمين فإن الملائكة تقول فى السماء آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»[رواه البخارى] . . ويقول الرسول ﷺ : « إذا قال الإمام سمع الله لمن

حمده فقولوا . . اللهم ربنا ولك الحمد . . فإن من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»[رواه البخارى ومسلم].

٦ - بعض الملائكة سيَّاحون فى الأرض لينقلوا إلى رسول الله ﷺ اسم من يصلى عليه ويسلم وهذا من فضل الله سبحانه على نبيِّه العظيم ففى الحديث: «إن لله ملائكة سيَّاحين فى الأرض ليبلغونى عن أمتى السلام»[رواه البخارى ومسلم] . .

٧ - كل إنسان له قرين من الجن وقرين من الملائكة فالقرين من الملائكة يأمر بالخير وقرين الشيطان يأمر بالشر وقد ثبت ذلك فى القرآن الكريم فى قول الله تعالى: ﴿ **قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)** ﴾ [ق: ٢٣ - ٢٩] . . وفى الحديث عن رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلاَّ وقد وُكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . . قالوا وإيَّاك يا رسول الله؟ قال . . وإيَّاى . . ولكن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بخير»[رواه مسلم] . .

٨ - بعض الملائكة يدخلون بيوت المسلمين ويعرفون أهل البيت من كثرة ترددهم على البيت لأنه بيت نظيف فيه العلاقة الطيبة بين جميع الأفراد ولأن سكان البيت ليس فى قلوبهم حقد ولا حسد على الناس ولأنهم يحبون للناس ما يحبون لأنفسهم . . والبيت ليس فيه صور عارية ولا مبتذلة ولا كلب عقور . . لذلك تدخل الملائكة هذا البيت تؤنس من فيه وتطرد الشياطين. ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: « إن ملائكة الله يعرفون بنى آدم (وأحسبه قال) ويعرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسمَّوه وقالوا . . أفلح الليلة فلان . . نجا الليلة فلان . . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسمَّوه وقالوا . . هلك فلان الليلة»[رواه البزار]، وفى حديث آخر «لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب . . وفى رواية ولا تمثال»[رواه البخارى ومسلم].

والمقصود بالجنب هو الذى لا يغتسل وبالتالى لا يُصلى أياماً كثيرة وليال طوال وهو لا يذكر الله فى بيته لأنه على جنابة من زنا وفحش وإجرام، وفى حديث آخر قال رسول الله ﷺ: « لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب أو جرس»[فى الصحيحين] . . والمقصود بالكلب العقور الذى يخيف الناس . .

٩ - هناك ملائكة يساعدون طلاب العلم والباحثين عن الحقيقة خاصة العلوم النافعة للإنسانية فى كل المجالات على أن يكونوا على بيِّنة بمعرفة الحلال والحرام . . ففى الحديث عن رسول الله ﷺ :«وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع» [رواه أحمد] . . فمعنى وضع الجناح التسهيل والتيسير له ليعبر أى أزمة تعترض مسيرته فى حياته .

إن الله سبحانه عندما خلق الملائكة وأسكنهم السماء ومن لحظتها وهم مكلفون بأمر الله . . ولذلك زعم قوم من المشركين وقالوا . . بأن الملائكة (إناث) خلقهم الله ليلهوا معهم ويلعب . . كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً . . وقد قالوا ذلك افتراءً لأنهم ليسوا على علم بالملأ الأعلى . . وليس عندهم كتاب من عند الله جاءهم على يد رسول كريم يخبرهم بذلك . . ولهذا سألهم الله سبحانه فقال لهم ﴿ **أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ** ﴾ [**الطور**: ٣٩] . . ولهذا كان المشركون يقولون عن الله سبحانه: ﴿ **وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا** ﴾ [**الإسراء**: ٤٠] . . وفى وأدهم للبنات فى زعمهم أنها تنضم إلى الملائكة ولذلك عاب الله عليهم هذا المسلك فقال لهم كما جاء فى القرآن الكريم ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ** ﴾ [**النحل**: ٦٢] . . ورد عليهم القرآن بعد كل هذا فقال سبحانه: ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ** ﴾ [**الزخرف**:١٩-٢١] إن المشركين كذبوا على الله وكذبوا على أنفسهم بعد أن خدعوها لهذا قال الحق سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [**الأنعام**: ٢١] . . ويقول أيضاً: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ**

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٤] . . إن الإنسان الجاحد بالله المنحرف فى تفكيره يتفوَّه بهذه الكلمات التى لا تليق فى حق الله سبحانه . . فهو سبحانه له الكمال المطلق ليس كمثله شىء يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء لأنه سبحانه عليم خبير وحكيم مُدبِّر ولطيف قادر . . قد قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨] . .

وإذا كانت المرأة خُلقت ضعيفة من أول أمرها لأنها خُلقت من ضلع آدم وقد وجَّه الله الوصية للرجال أن يصونوا حرمة النساء ويحافظوا عليهن . . وأن يقوم الرجال على شأن رعاية المرأة وتدبير أمرها لأنها ضعيفة . . فليس معنى هذا أنه سبحانه اتخذ الملائكة إناثاً . . فالملائكة خُلقت من نور . . أما المرأة فقد خُلقت من آدم الذى خُلق من طين . . والمرأة بسبب ضعفها تُنَشَّأ فى الزينة والعطف والإحسان إليها ولهذا قال الله: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨] . .

« أعمالهم فى السماء »

الملائكة عليهم السلام هيَّأهم الله لأعمال عظيمة وجعل مسكنهم السماء لذلك أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى عن أعمالهم فى السماء . . وأنّ كل ملك له مقام مُعيَّن لا يتخطّاه وإلى ذلك أشار الحق سبحانه على لسان الملائكة وحسب منازلهم ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦] . . وجاء فى بعض الأحاديث قال رسول ﷺ: « ألاَ تُصفّوُن كما تُصَفُّ الملائكة عند ربها قالوا وكيف يُصفُّون عند ربهم؟ قال يكملون الصف الأول ويتراصّون فى الصف »[1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير، جـ١، ص٥٧.

ويقول الرسول ﷺ: « فُضلنا على الناس بثلاث . . جُعلت لنا الأرض مسجداً وتربتها لنا طهوراً وجُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة» وقد أخذ ذلك من قوله الله تعالى عن يوم القيامة ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [**الفجر**:٢٢] . . أى أنهم يقفون صفوفاً بين يدى ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** ﴾ [**النبأ**:٣٨] . . وما يعلم جنود ربك إلاّ هو وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله: «البيت المعمور فى السماء يقال له (الضراح) وهو على مثل البيت الحرام بخياله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط فإن له فى السماء حُرمة على قدر حرمة مكة»[رواه الطبرانى] . . قال قتادة ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « هل تدرون ما البيت المعمور؟ . . قالوا . . الله ورسوله أعلم . . قال مسجد فى السماء بحيال الكعبة لو خَرَّ لخرَّ عليها يُصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم» . . هذا العدد من باب التقريب إلى أذهاننا وإلاّ فإنه من المؤكد أنَّ فى كل سماء بيتاً يعمره ملائكته بالعبادة ويغدون إليه . . فما يعلم جنود ربك إلاّ هو . . ومن المؤكد أن هناك حملة العرش ففى قول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [**غافر**: ٧] . .

وكان النبى ﷺ إذا قام يُصلى من الليل يقول« اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم» [صحيح مسلم] . . فالذين ذكروا فى هذا الحديث هم:

١ - جبريل: وهو أمين الله على الوحى ينزل بالوحى على الأنبياء بأمر ربه ومن صفته كما قال عنه القرآن ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى** ﴾ [**النجم**: ٥ - ٨] . . وعلّمه شديد القوى صفة لجبريل لأنه كان من قوته أنه رفع بجناحه سبع مدن . . وهم مدن قوم

لوط . . وكان عدد سكانها ما يقرب من أربعمائة ألف نسمة وغيرهم من الدواب والحيوانات ومن المعلوم أن هذه المدن كان بها عمارات وبيوت لها أعمدة فى الأرض رفعها جبريل بطرف من جناحه حتى بلغ بها عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها . . فهذا هو شديد القوى . . وفى قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾ [**الحاقة**:٤٠] . . فهو جبريل عليه السلام فهو رسول من الله كريم يتميز بقدرة عظيمة له قوة وبأس شديد عند ذى العرش مكين أى له مكانة عالية ومنزلة رفيعة مطاع فى الملأ الأعلى يتصف بالأمانة والدقة . ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه فيتلقى الوحى من الله وينزل به على الأنبياء وقد كان يظهر لهم فى صور متعددة وقد رآه سيدنا محمد ﷺ على صفته التى خلقه الله عليها مرتين وله ستمائة جناح أمّا غير ذلك فكان يأتيه فى صورة حسنة إمّا ظاهراً أمام الناس وإمّا مختفياً لا يراه أحد . . هذا . . واليهود لعنهم الله وغضب عليهم بسبب كفرهم وتعنتهم ومعاداتهم للنبى ﷺ أعلنوا عداءهم لجبريل -عليه السلام- لأنه فى زعمهم . . نقل الرسالة من بنى إسرائيل إلى العرب وأعلنوا أنهم يصادقون ميكائيل ويحبونه ويبغضون جبريل ويعادونه وفى هذا نزل قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [**البقرة**:٩٧] . . وقد روى أن - عبدالله بن سلام- سمع بمقدم رسول الله ﷺ وهو فى أرض يحترف . . وهو رجل من علماء اليهود وزعمائهم فأتى النبى ﷺ فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلاّ نبى . . ما أول أشراط الساعة؟ . . وما أول طعام أهل الجنة؟ . . وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ . .

فقال النبى ﷺ . . أخبرنى بهذا جبرائيل آنفاً . . قال عبدالله بن سلام . . جبريل؟ . . قال النبى ﷺ نعم . . قال عبدالله . . ذاك عدو اليهود من الملائكة . . فقرأ النبى الآية ﴿ **مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ** ﴾ ثم قال النبى ﷺ أماّ أول أشراط الساعة . . فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب . . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة . . فزيادة كبد الحوت . . وإذا سبق ماء الرجل ماء

المرأة نزع الولد. . وإذا سبق ماء المرأة نزعت. . قال عبدالله . . أشهد ألاّ إله إلا الله وأنك رسول الله. . ثم قال. . يا رسول الله . . إن اليهود قوم بُهت . . وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتوننى[١] . . فجاءت اليهود . . فقال لهم رسول اللهﷺ . . أى رجل عبدالله بن سلام فيكم؟ . . قالوا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. . قال . . أرأيتم إن أسلم؟ . . قالوا أعاذه الله من ذلك. . فخرج عبدالله فقال. . أشهد ألاّ إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله. . فقالوا. . هو شرنا وابن شرنا وانتقصوه. . فقال عبدالله بن سلام. . هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله . . وكان سبب هذه العداوة من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عمر بن الخطاب فى أمر النبى ﷺ قال عمر. . كنت أشهد اليهود يوم مدارسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن. . ومن القرآن كيف يصدق التوراة. . فبينما أنا عندهم ذات يوم . . قالوا. . يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك . . قال عمر. . ولم ذلك؟ . . قالوا. . لأنك تغشانا وتأتينا. . فقلت . . إنى أتيكم فأعجب من القرآن كيف يصدق التوراة. . ومن التوراة كيف تصدق القرآن. . ومرّ رسول الله ﷺ . . فقالوا. . يابن الخطاب ذاك صاحبكم فألحق به. . قال. . فقلت لهم عند ذلك ناشدتكم بالله الذى لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه. . هل تعلمون أنه رسول الله؟ قال . . فسكتوا. . فقال لهم عالمهم وكبيرهم . . إنه قد غلّظ عليكم فأجيبوه. . قالوا فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت. . قال. . أما إذا ناشدتنا بما ناشدتنا فإناً نَعلم أنه رسول الله (قال لهم عمر) ويحكم إذاً هلكتم. . قالوا إنا لم نهلك. . قلت كيف ذلك وأنتم تعلمون أنه رسول الله ولا تتبعونه ولا تصدقونه!!! قالوا. . إنّ لنا عدواً من الملائكة وسِلْماً من الملائكة وأنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة . . . قلت. . ومن عدوكم ومن سلمكم؟ . . قالوا. . عدوّنا جبريل وسِلْمنا ميكائيل. . قالوا. . إن جبريل ملك الفظاظة والغلظة والإعصار والتشديد والعذاب ونحو هذا. . وإن ميكائيل ملك الرحمة والرأفة والتخفيف وله

---

(١) أى يكذبوننى.

هذا. . قال. . قلت وما منزلتهما من ربهما عز وجل؟. . قالوا. . أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. . قال. . فقلت فوالذى لا إله إلاّ هو إنهما. . والذى بينهما لعدو لمن عاداهما وسلماً لما سالمهما وما ينبغى لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل وما ينبغى لميكائيل أن يسالم عدو جبريل. . قال. . ثم قمت فاتبعت النبى ﷺ فلحقته وهو خارج من خوخة لبنى فلان. . فقال. . يا ابن الخطاب. . ألاَ أقرؤك آيات نزلن قبل. . فقرأ على ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ حتى قرأ الآيات. . قلت. . بأبى أنت وأمى يا رسول الله. . والذى بعثك بالحق لقد جئت أنا أريد أن أخبرك وأنا اسمع اللطيف الخبير قد سبقنى إليك بالخبر[1]. . فاليهود إذاً يزعمون أن جبريل عدو لهم . . وأن ميكائيل ولى لهم وهم يعلمون تماماً بأن جبريل مكلف وأنه ينزل بالوحى على من اختاره الله نبياً . . فهو رسول من الله. . لهذا غضب الله لجبريل على من عاداه وقال فى الحديث القدسى: « من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالحرب»، لهذا أظهر الله اسم جبريل وميكائيل لإعلام اليهود أن من عادى واحداً منهم فقد عادى الله ومن يعادى الله كان الله عدوه، ومن كان كذلك فقد خسر الدنيا والآخرة.

٢ - **ميكائيل عليه السلام . .** فموكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه ومن أشراف الملائكة المقربين . . وإذا كان جبريل موكل بحمل الوحى. . فإن ميكائيل موكل بنزول المطر الذى بسببه تنبت الأرض فيكون الرزق للعباد وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به، وهو الذى يتلقى من ربه . . وأعوانه يُصرِّفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله. . فما من قطرة تنزل من السماء إلاّ ومعها ملك يقررها فى موضعها من الأرض.

٣ - **وإسرافيل عليه السلام . .** موكل بالنفخ فى الصور. . ومن صفة إسرافيل عليه السلام أنه أحد حملة العرش. . وهو الذى ينفخ فى الصور بأمر ربه . . نفخات ثلاثة. . الأولى نفخة الفزع وإليها أشار الحق سبحانه ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

(١)مختصر تفسير ابن كثير، جـ١، ص٩٣.

فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨]. . النفخة الثانية نفخة الصعق . . النفخة الثالثة نفخة البعث. . والصور قرن ينفخ فيه. . كل دارة منه كما بين السماء والأرض وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث فإذا نفخ تخرج الأرواح تتوهج فيقول الرب جل جلاله «وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى البدن الذى كانت تعمره فى الدنيا فتدخل على الأجساد فى قبورها فتدب فيها كما يدب السم فى اللديغ فتحيا الأجساد وتنشق الأجداث فيخرجون منها سراعاً إلى مقام الحشر»، ولهذا قال رسول الله ﷺ :«كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له. . قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ . . قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» [رواه الترمذى]. هذه هى الملائكة المصرح بها فى حديث الرسول ﷺ ، وهناك.

٤ – **ملك الموت . .** لم يصرح باسمه فى القرآن كما لم يرد اسمه صريحاً فى الأحاديث. . ولكن جاء اسمه مصرحاً به فى بعض الآثار بأن اسمه (عزرائيل) وقد صرح الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بأنه هو الذى يقبض أرواح الناس حسبما قال الحق: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة:١١]. . وملك الموت له أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها توجه إلى مكانها فى البرزخ. . وإلى أعوان ملك الموت أشار الحق سبحانه: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام:٦١، ٦٢] . . والأرض كلها بين يدى ملك الموت مثل الطست . . وفى هذا الطست جميع البشر يتناول من جاء أجله ونزل الأمر من الإله العظيم بقبض روحه. . فالموت ليس له كبير ولا يحول دون الموت غنى أو فقر فالميعاد محدد بالدقيقة، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤] . . يقول ابن عباس:«إنّ ملائكة يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمناً أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الأرواح. . وإن كان كافراً فبالنقيض من ذلك عياذاً بالله

تعالى من ذلك» . . وقد ورد أن رسول الله ﷺ نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبى ﷺ يا ملك الموت ارفق بصاحبى فإنه مؤمن . . فقال ملك الموت . . يا محمد . . طب نفساً وقر عيناً فإنى بكل مؤمن رفيق . . وأعلم أن ما فى الأرض بيت مدر[1] ولا شعر . . فى بر ولا بحر إلاّ وأنا أتفحصهم كل يوم خمس مرات . . حتى إنى أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم . . والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها . . وهذا الحديث مرسل لكننا سقناه ليتبين لنا أن ملك الموت مأمور وليس له من الأمر شىء، وأن الأجل محدود . .

٥ - **من الملائكة اثنان موكلان بسؤال الميت فى قبره** عن ربه ودينه، ويطلق عليهما (فتانا القبر) وقد ورد اسمهما فى بعض الآثار بأنهما (منكر ونكير) وإليهما الإشارة يقول الله سبحانه: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [**إبراهيم**:٢٧] . .

٦ - **خازن الجنة . .** وهو ملك يقال له (رضوان) وقد جاء مصرحاً به فى بعض الأحاديث وهو بلا شك من الملائكة المقربين وتحته جند من الملائكة لتهيئة الجنة للمؤمنين وإعداد الكرامة لهم وتهيئة الضيافة لساكنى الجنة بحيث يكون فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

٧ - **من الملائكة ملك اسمه (مالك). .** وهو خازن النار وجاء مصرحاً به فى القرآن الكريم وذلك عندما يشتد العذاب على الفسقة والكفرة والفجار ينادون على مالك وهو كرئيس لخزنة جهنم حسبما قال الحق سبحانه: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ** ﴾ [**غافر**:٤٩] . . وقد صرح الحق سبحانه باسم مالك فى قوله: ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾ [**الزخرف**:٧٧-٧٨] . . والنار عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون لله أمراً ويفعلون ما يأمرون، وقد قال

---

(١) مدر : بيت من طين.

الله تعالى وهو يذكر رقما ولم يُبيّن حدّه فيقول سبحانه عن النار وأنها مقر الجاحدين الذين تمردوا على الأنبياء فقال سبحانه عن شخص مجرم ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا.. ﴾ [**المدثر**:٢٦ - ٣١] .. هذه بعض أصناف الملائكة نذكر أنفسنا بها ونستيقن بأن الملائكة لا أحد يعرف عددهم إلاّ الذى خلقهم لأن كل سماء فيها الكثير منهم وحملة العرش ومن يحف به ونحن نؤمن بأنه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ والعالم ملئ بمخلوقات نعلمها أو لا نعلمها لكننا نؤمن ونصدق بما أخبرنا به القرآن لأنه ليس فى الكون من هو أصدق من الله حديثاً.

"مزيد من أعمال الملائكة فى السماء"

الملائكة خلقهم الله من نور ومسكنهم السماء .. وعددهم لا يعلمه إلاّ من خلقهم .. فمن الملائكة من ذكرهم الله سبحانه وحدد أعمالهم منهم:

١ - حملة العرش .. فقد ذكرهم الحق بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [**غافر**:٧] .. ويقول سبحانه: ﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [**الزمر**:٧٥] ..

٢ - منهم من يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) ﴾ [**غافر**: ٧، ٨] ..

ويقول الحق سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [**الأحزاب**:٤٣] .. إن الصلاة من الله رحمة

والصلاة من الملائكة دعاء واستغفار فمن فضل الله علينا أن هيّأ لنا من الملائكة من يستغفر لنا.

٣ - الصلاة على النبى ﷺ وإلى هذا أشار الحق سبحانه بقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [**الأحزاب**:٥٦] . .

إلى غير ذلك أمور كثيرة لا نستطيع أن نقوم بحصرهـا وإنما يكفى أن نـعلم (أن الملائكة تنفذ أوامر الله فى تدبير هذا الكون) وكل ملك له رسالة خاصة مكلف بها. . وكل واحد منهم لا يعصى الله أبداً. . لأنهم عباد مكرمون وعندما يتنزلون إلى الأرض تراهم الدِّيكة لذا قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم أصوات الدِّيكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت مَلَكاً»[رواه البخارى]. . والملائكة تتأذى مما يتأذى منه البشر. . فإذا رأى الإنسان إنساناً قذراً تعلوه الوساخة ورائحته كريهة فهذا الإنسان يتأذى من منظره الناس . . كذلك الملائكة تتأذى ففى الحديث: «من أكل من الثوم والبصل والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[رواه مسلم].

كذلك هناك ملائكة تدعو بالخير لمن ينفق أمواله فى سبيل الله . . والخير هنا الزيادة والبركة فالرسول ﷺ يقول: « ما من يوم يُصبح فيه العباد إلاّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعطِ منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعطِ ممسكاً تلفا»[رواه مسلم] . . هناك ملائكة كذلك تلعن كل إنسان يدخل الرعب أو الفزع أو الهلع إلى أى إنسان ففى حديث: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى وإن كان لأخيه وأمه»[رواه البخارى].

كذلك كان هناك ملائكة تلعن المرأة العاصية لزوجها التى تمنع نفسها عن زوجها بلا عذر شرعى ففى الحديث: « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح»[رواه البخارى].

يتضح لنا مما سبق أن الملائكة مكلفون بأعمال كثيرة . . فهى تسوق الخير إلى أهل الخير وتؤنس المسلم فى حياته وقبره وتحافظ عليه فى يقظته ونومه إلاّ إذا نزل أمر الله، وصدق الله العظيم: ﴿ **فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا** ﴾ [**الذاريات**: ٤] . .

وعلينا أن نؤمن بأنه ما من شىء يجرى فى هذا الكون. . من سحاب يحمل الماء ويجرى به لينزل الماء على أرض معينة فى وقت محدد وهذا من فضل الله والملائكة هى المنفذة تسوق هذا السحاب حيث يشاء الله، وصدق الله العظيم: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [**الشورى**:٢٨] . . وقوله سبحانه: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [**الأعراف**:٥٧] . . لهذا نحن نؤمن بأن الملائكة لها دور إيجابى فى هذا المجتمع وصدق الله العظيم: ﴿ **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا** ﴾ [**النازعات**:٥]

"الأُنس بالملائكة"

الكون من حول الناس فسيح وهو ملئ بأشياء نراها وأشياء لا نراها. . ففى القرآن الكريم: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ . . وقوله سبحانه: ﴿ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [**الفتح**:٤] . .

إذاً لابد للإنسان أن يصطلح مع هذا الكون. . والصلح الحقيقى يكون عن طريق المجانسة . . والحق سبحانه وتعالى جعل الملائكة تتشكل فى صورة بنى آدم لتعين الإنسان فى حياته وتساعده على قضاء مصالحه وحل مشاكله. . ولكى تصاحبنا الملائكة ونصاحبها فلابد لنا أن نتمسك بهدى الله سبحانه فهو القائل: ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [**البقرة**:٣٨] . . ويقول سبحانه: ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ** ﴾ [**طه**:١٢٣] . . فالمسلم الحقيقى الذى يعيش على مائدة الله يحافظ على صلواته ويؤدى زكاته إن كان عنده نصاب ويصوم شهر رمضان ويحج إلى بيت الله

إن استطاع . . ومع العبادة الحقة والتدين الصحيح . . والاعتدال فى حياته يكون الشخص عنده همة ونشاط . . يؤدى عمله بقوة . . ويتقن صنعته ويبتكر فى أسلوب الأداء . . ولا يتهرب من المسئولية . . لأنه لا يعرف الكسل ولا التراخى فعنده صحوة إرادة . . ويقظة ضمير . . يتوكل على الله بصدق . . ويعمل بجد ويخلص ويصدق فى الحديث ويعرف بين الناس بالحفاظ على الأمانة والوفاء بالوعد والانضباط على القيم الأخلاقية ويتعايش مع الناس بالحب والوفاء والمروءة والتعاون . . مثل هذا تصافحه الملائكة على فراشه وتحرسه من بين يديه ومن خلفه وتدافع عنه وتكون معه إن اعترضته مشكلة ساعدته الملائكة . . أو نزلت به ضائقة دلّوه على أماكن الخير وأرشدوه كيف يتخلص وصدق الله العظيم: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [**الرعد**:١١] . . والإنسان منا لن يجد له نصيراً غير الله سبحانه . . ثم إن الملائكة تنفذ أمر الله فى هذا الإنسان بالحفظ والصيانة . . أو بالهلاك والتدمير . .

"لهذا"

فنحن أمرنا أن نؤمن بأن لله ملائكة، وهذا الإيمان هو (الركن الثانى من أركان الإيمان)، وإلى هذا تُشير الآية الكريمة: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾ [**البقرة**:٢٨٥] . . ويتحقق هذا الإيمان فى قلب الإنسان بأن يعتقد أن الملائكة من المخلوقات الكريمة خلقهم الله من نور قبل آدم . . والجن . . وأسكنهم سماواته وأنهم لا يأكلون ولايشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون وهـم: ﴿ **لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ وأن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع . . يزيد الله فيهم ما يشاء بقدرته ومشيئته . . وهم سفراء الله إلى رسله يحملون الوحى . . وهم لا يتصفون بذكورة ولا بأنوثة . . وهم يقومون بتنفيذ أوامر الله فى هذا الكون كله عُلْوِيِّه وسُفْله . . وإذا قضى الله أمراً فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها . . لأنهم: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم**

مّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [الأنبياء :٢٠] . . وينفذون أمر الله بلا تردد أو مناقشة لأنهم يخضعون لله خضوعاً مطلقاً ويخافون منه خوفاً عظيما، يقول الحق سبحانه: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد:١٣] . . وهم: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠] . . ويقول سبحانه: ﴿ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت:٣٨] . . أى لا يملون ولا يتعبون . . لهذا من أحسن عملاً صحبته الملائكة وآنسته وقد سبق الإشارة إلى ذلك لهذا يجب الإيمان بالملائكة ولا نذكرهم إلاّ بالخير ولا نصفهم بذكورة أو أنوثة . .

إذا كان الإيمان بالملائكة هو الركن الثانى من أركان العقيدة الإسلامية فإن من أنكرهم أو شَكَّ فيهم . . أو تطاول عليهم بألفاظ لا تليق كما يصدر من بعض الجهلة فهو كافر، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١٣٦] ، ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٧، ٩٨] . . وقد ورد ذكر جبريل وميكال بالتصريح لأن اليهود زعموا بأن (جبريل وميكال) تآمرا على نقل الرسالة من بنى إسرائيل إلى العرب . . وهذا إفك وضلال مبين لأن كتبهم المقدسة أشارت إلى العرب الذين سيكون منهم خاتم الأنبياء سيد ولد آدم النبى العظيم محمد عليه الصلاة والسلام لكن اليهود جحدوا واستكبروا عن الاعتراف بالحق واتخذوا جبريل عدوا لهم . . لهذا نُبيّن بأن من ينكر الملائكة . . فقد أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة والملائكة هم أشرف المخلوقات وهم البداية فى المخلوقات فى هذا الكون بعد خلق السماوات والأرض وهم منزهون عن كل خطأ لأنهم مستغرقون فى عبادة الإله العظيم . .

من هنا نقول لكل إنسان كن صالحا لتصاحبك الملائكة وكن قوى العقيدة لتراهم فى خدمتك بأمر ربهم الذى أطعته وصدق الله العظيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦] . .

نسأل الله أن يقوى إيماننا ويرضى عنا ويودنا بوده ويجعل لنا من ملائكته حفظة لنسعد فى الدنيا بطاعته ونفوز فى الآخرة برضاه وفضله.

"السجود لآدم"

عندما اكتمل آدم وعطس وسلّم على الملائكة وأخبرهم بأسماء الأشياء أمر الله الملائكة أن تسجد له بعد أن رأت فطرته العجيبة . . وقد ذهب أكثر المتكلمين (إلى أن الملائكة أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة . . مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم . . وذهب الحكماء إلى أنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة . . والملائكة منقسمون قسمين . . قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله: ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾ [**الأنبياء**:٢٠] وهم العلّيون المقربون . . وقسم يُدبر الأمر من السماء إلى الأرض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات أمرا . . ونُقِلَ فى شرح كثرتهم قول الرسول ﷺ :« أطّت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلاّ وفيه ملك ساجد أو راكع . .» كما رُوى أن بنى آدم عُشر الجن . . وهما عُشْر حيوانات البر والكل عُشْر الطيور . . والكل عُشْر حيوانات البحار . . وهؤلاء كلهم عُشْر ملائكة السماء الدنيا . . وكل هؤلاء عُشْر ملائكة السماء الثانية . . وهكذا إلى السماء السابعة . . ثم كل أولئك فى مقابلة ملائكة الكرسى نزر قليل . . ثم جميع هؤلاء عُشر ملائكة سُرادق واحد من سُرداقات العرش التى عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسُمْكه إذا قوبلت به السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدرٌ محسوس وما منه من مقدار شبر إلاّ وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء فى مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة فى البحر . . ثم ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يُحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كيفيات عباداتهم إلاّ بارئهم العليم الخبير على ما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ . .

وروى أنه عليه الصلاة والسلام حين عُرِج به إلى السماء رأى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض . . فسأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام: إلى أين يذهبون؟ فقال جبريل لا أدرى إلاّ أنى أراهم منذ خُلقت ولا أرى واحداً منهم قد رأيته قبل ذلك . . ثم سألا واحد منهم منذ كم خُلقت؟ . . فقال . . لا أدرى غير أن الله عز وجل يخلق فى كل أربعمائة ألف سنة كوكباً . . وقد خلق من خلقنى أربعمائة ألف كوكب . . فسبحانه من إله ما أعظم قدره وما أوسع حكمته[1] . . واختلف فى الملائكة الذين قيل لهم ما قيل . . فقيل . . هم ملائكة الأرض . .

«منَ مِن هؤلاء سجد لآدم»

وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما . . أنهم المختارون مع إبليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم إلاّ قليلاً . . وأخرجوهم من الأرض وألحقوهم بجزائر البحار وأعالى الجبال وسكنوا الأرض وخفّف الله عنهم العبادة وأعطى إبليس مُلْك الأرض ومُلْك السماء الدنيا وخزانة الجنة . . فكان يعبد الله تعالى تارة فى الأرض وتارة فى السماء وأخرى فى الجنة فأخذه العجب فكان من أمره ما كان . . وقال بعض الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم إنهم كل الملائكة لعموم اللفظ»[2].

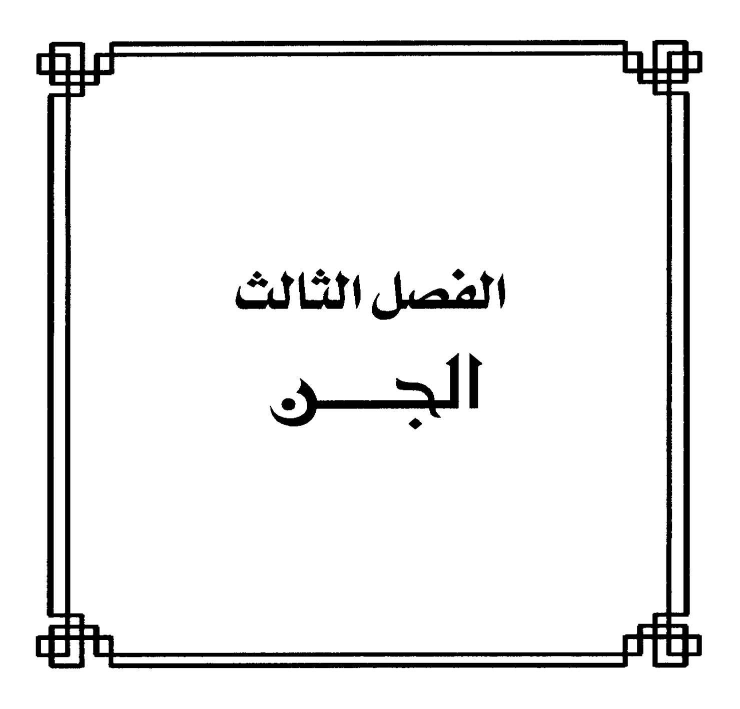
نقلنا هذا الكلام الذى خلاصته أن الله أصدر الأمر إلى الملائكة . . وهل هم ملائكة السماء الأولى فقط؟ . . أم هم كل الملائكة . . وأيّا كان فإن أمر الله للملائكة الذين أمرهم الله سجدوا لآدم على الفور وبلا تردد . . إلاّ إبليس . . وسوف يأتى الحديث عنه .

---

(١) كل هذه الأخبار لا يُراد ظاهرها فى العدد وإنما يُراد منها بيان عظمة الخالق ودلائل قدرته فى مُلكه . . وأن الكون الذى يحيط بنا لا نستطيع أن نعلم ما فيه إلاّ إذا أخبرنا بذلك العليم الحكيم . . فسبحان من له الملك والملكوت وهو على كل شىء قدير .

(٢) تفسير أبى السعود، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض، جـ١، ص١٣٩، وما بعدها .

وعلى هذا تكون الملائكة لهم بالإنس صلة.. المحبة.. الاحترام.. التعاون على فعل الخير.. إلى غير ذلك من كل الأعمال التى تحقق للإنسان السعادة وتجلب له الخير وتدخل عليه السرور والبهجة والأنس والاطمئنان .. ولما كانت القاعدة الإنسانية تقول: «جزاء الإحسان إحسان»، ونقول أيضاً: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه» لذلك يجدر بنا أن نحترم مقام الملائكة ونُقدِّر سُمو مكانتهم.. وعُلو منزلتهم ونؤمن بوجودهم ولا نقول فيهم إلاّ خيراً لأن بعض الناس الجهلاء يقولون على بعض الناس «ده بياكل رز مع الملائكة» ويقصدون بهذا الإنسان .. الإنسان الجاهل الكسول الخامل.. وهذا وصف لا يليق بنا أن نُردده على ألسنتنا ولا نتكلم به لأننا أمُرنا أن نؤمن بوجود الملائكة وأنهم خلقوا من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون .. لذلك ونحن نؤمن بهذا لا نقول فيهم إلاّ خيراً وحتى لا نكفر والعياذ بالله..



الفصل الثالث

الجـــن

الفصل الثالث
« عالم الجـــن »

قال تعالى: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧]

وروى أحمد ومسلم - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال:

« خُلقت الملائكة من نور. . وخُلق الجان من مارج من نار. . وخُلق الإنسان مما وصف لكم. . » صدق رسول الله ﷺ

من الأمور التى كثُر فيها الكلام . . هذا العالم الغيبى . . ولقد ذهب الناس مذاهب شتى فى هذا العالم . . ما بين مصدق بهذا العالم أو مكذب به. . وبين مشكك فيه أو مرتاب. . المهم أن الحديث عن هذا العالم مشوب بالحذر . . لأنك عندما تقرأ عن هذا العالم ترى أن بعض المغالين تجاوز حد الخيال فى الحديث الذى أصبح أسطورة لأن ما يحكيه الحاكى لا يخضع للنظريـة الحسِّية . . أو المرئيـة. . أو التجريبية. . لأن أى إنسان لم يعش تجربة مع الجن لذلك تجد فى الحديث عن الجن أموراً متداخلة فيها خلط كثير واضطراب. . لهذا أنكرت طائفة من الناس وجود الجن إنكاراً كُلِّياً بل إن بعض العلماء الذين يُعتدُّ برأيهم فى هذا العصر أنكروا وجود الجن وقالوا عن هذا العالم إنه عبارة عن الجراثيم والميكروبات والفيروسات التى تضر بالإنسان وتؤذيه هى هذه الجراثيم ويقولون بأنها الجن. . وزعم بعض المشركين أن المراد بالجن أرواح الكواكب. . والنجوم اللوامع. . وبعض الفلاسفة يزعمون أن المراد بالجن نوازع الشر فى النفس الإنسانية وقواها الخبيثة. . وبالتالى تكون الملائكة نوازع الخير فى النفس الإنسانية. .

يقول ابن تيمية رحمة الله فى فتاواه. . «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى وجود الجن ولا فى أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مُقرون بهم كإقرار

المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك كما يوجد فى المسلمين من ينكر ذلك . . ثم يقول . . وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً من الدين بالضرورة ومعلوماً بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة بل ومأمورون ومنهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة . . فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواترا تعرفه العامة والخاصة لم تنكرهم طائفة المنتسبين إلى الرسل الكرام . . ثم يقول . . جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب . . وكذلك عامة مشركى العرب . . ثم يقول وغير ذلك كثير . . فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن . . وإذا كنا لا نرى الجن فإن بعض الأحياء يرونهم (كالحمار والكلب) ففى مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسنن أبى داود رضي الله عنه بإسناد صحيح عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبى ﷺ أنه قال: « إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله من الشيطان فإنهم يرون ما لاترون» ولقد ثبت لدى بعض العلماء وتحقق من قدرة بعض الأحياء على رؤية ما لا نراه (نحن البشر) فالنحل مثلاً يرى الأشعة فوق البنفسجية ولهذا فإنه يرى الشمس حال الغيم . . والبومة ترى الفأر فى ظلمة الليل الحالك [1] . .

إن الذين ينكرون عالم الجن لم يقرأوا القرآن ولم يفهموه لأن غاية ما عندهم من علم هو علم مادى مؤسس على فكر البشر لهذا فهم لا علم لهم بوجود هذا الكائن . . وعدم علم أمثالهم ليس دليلاً على عدم وجودهم . . لأن الكون من حولنا ملئ بالمخلوقات التى لا نعرفها ولا نعرف عنها أى شىء . . فهل معنى هذا أنها غير موجودة ويكفى فى الرد على من ينكر وجود هذا العالم ما قاله ربنا جل جلاله: ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ** ﴾ [يونس: ٣٩] . . لهذا نحن نؤمن بعالم الجن . . وهنا يكون السؤال.

(١) يراجع فتاوى ابن تيمية الأجزاء ٤، ١٩، ٢٤.

"أين مسكنهم ؟"

الجن يسكنون الأرض التى نعيش فوقها . . ولكن يكثر تواجدهم فى الصحراء وعلى شواطئ البحار وفى الأماكن الخربة . . ومواضع النجاسات . . كالمذابل والمقابر . . حيث يأوى إلى هذه الأماكن الجن وأولاده . . وتبيت الشياطين فى البيوت التى يسكنها الناس والتى لا يذكر سكانها (الله) ولا يقرءون القرآن لأن البيت الذى يقرأ فيه القرآن لا تأوى إليه الشياطين أولاد الجان . . والجان دائماً يحب الأماكن الذى يستطيع فيها أن ينشر فساده ويكثر من غوايات الناس حيث يكثر احتكاك الناس بعضهم ببعض بالبيع والشراء وكل يريد أن يروج سلعته فيقسم بالأيمانات المغلّظة بل كثيراً ما يحلف بالطلاق وهو كاذب وهذه بضاعة الشيطان التى يروجها، وأفضل أماكنه الأسواق . . لهذا وصىَّ رسول الله ﷺ أحد الصحابة فقال له : « لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته »[رواه مسلم] . . ومع ذلك فإن الشياطين تنتشر عند حلول الظلام . . لذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن نكفَّ صبياننا فى هذه الفترة عن اللعب والجرى[1] . . لذلك نلحظ أن النور والأضواء إذا عمَّ المكان كان آمناً ومناسباً للعب .

"هل الجن تتناسل؟"

نعم . . الجن يتوالد كما يتوالد بنو آدم . . وقد استدل على توالدهم بقول الله تعالى : ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ** ﴾ [**الرحمن** : ٥٦] . . فما دام هناك طمث من الجان لبعضهم وفيهم الذكر والأنثى . . فهناك الإنجاب والتوالد .

---

(١) جاء هذا المعنى فى حديث متفق عليه .

"أصناف الجن"

الجن أجناس وأصناف متعددة . . فيهم من هو كالريح وهذا الصنف لا يأكل ولا يشرب ولا يتوالد . . ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون بعد أن يتناكحوا وهم يموتون كذلك . . ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: « الجن ثلاثة أصناف فصنف يطير فى الهواء وصنف حيَّات وكلاب وصنف يحلِّون ويظعنون»[رواه الطبرانى والحاكم] . . ولهذا كان العرب إذا ذكروا الجن خالصا قالوا(جِنِّى) . . فإذا أرادوا أن يعبروا عن الذى يسكن مع الناس قالوا: (عُمَّار) ومفرده عامر . . فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا عنه (أرواح) فإن كان من النوع الخبيث والذى يتعرض للناس بالأذى قالوا عنه (شيطان) فإذا زاد أمره على ذلك وقَوِىَ قالوا عنه: (عفريت) كما أن العرب لهم تعبيرات عن الغول وهو فى نظرهم له أنياب طويلة وهو يغتال الناس وإن كان التاريخ لم يحفظ لنا قصة من هذا النوع، وكذلك هناك المارد وهو الذى تمرد على كل شىء.

"لماذا سُمُّوا بالجن؟"

الجن عالم غير مرئى للبشر حسب أصل خلقته وهو حقيقة واقعة غير منظورة بدليل قول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف:٢٧] لذلك سُمُّوا جناً . . لأن مادة (الجيم) و (النون) تعنى الخفاء والحجب وعدم الرؤيا ولذلك سُمِّى الطفل فى بطن أمه جنيناً لاحتجابه . . وأطلقوا على من فقد عقله (مجنون) لاحتجاب عقله، كذلك أطلقوا على الظلام الشديد (جُنَّ الليل) أى بسبب الظلمة حجبت الرؤيا لذلك سُمِّىَ الجن (جنًّا) لاجتنانهم أى استتارهم واختفائهم عن النظر . . بعد هذا يجدر بنا أن نجلس على مائدة القرآن أولا لنستخرج من بين آياته ما يتعلق بهذا الموضوع، وليس بعد كلام الله كلام.

"الآيات القرآنية"

القرآن الكريم كتاب الله المُنزَّل من علياء السماء والله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شىء . . فإذا قال فقوله الحق ووحيه إلى أنبيائه صدق . . وقد قال سبحانه وهو يؤكد على حقيقة أن الذى يخلق شيئاً هو أعلم به وعندما يتحدث عنه فحديث صدق ليس فيه خلل ولا اضطراب لهذا قال الله سبحانه: ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [**الملك** : ١٤] . . ولما كان القرآن كلام الله وقد تحدث عن هذا العالم غير المرئى لنا، وهذه الآيات واضحة الدلالة على وجود هذا العالم وما على العقلاء إلاّ أن يقولوا . . سمعنا . . وصدّقنا . . وهذا هو الحق الذى نؤمن به، والآيات هى :

١ - ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾ [**الكهف** : ٥٠]

٢ - ﴿ **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ** ﴾ [**الحجر** : ٢٧] .

٣ - ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ** ﴾ [**الأعراف** : ١٧٩] .

٤ - ﴿ **وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** ﴾ [**الرحمن** : ١٥] .

٥ - ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ** ﴾ [**الأنعام** : ١٣٠] .

٦ - ﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾ [**النمل** : ١٧] .

٧ - ﴿ **قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ** ﴾ [**النمل** : ٣٩]

٨ - ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ : ١٢] .

٩ - ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤]

١٠- ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف :٢٩، ٣٠]

١١- ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٣٩] .

١٢- ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن : ٣٣] .

١٣- (سورة الجن بأكملها وهى تقع فى المصحف بين سورة نوح وسورة المزمل، وهى سورة مكية عدد آياتها ٢٨ وهى تتحدث عن الجن وتشرح لنا الكثير من أحوالهم وعلاقتهم بالناس وتبين لنا أن منهم المؤمن ومنهم الكافر وتشرح لنا بوضوح على لسان أحدهم أحاديث مفصلة عن هذا العالم الغيبى الذى يقول عنه الحق فى هذه السورة ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن : ٢٦ - ٢٨] وهذه السورة يجب أن تقرأ بأكملها لنقول للذين ينكرون. . هل عندكم من علم فتخرجوه لنا بعد هذه الأدلة الدامغة والحجج القوية الباهرة، وكلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ . . ونقول لعقلاء الإنسانية تعالوا إلى كلمة سواء. . نوضح الأمور بعد أن نستهدى بهدى الله الذى جاءنا

على لسان رسول عظيم . . هو أعظم شخصية عرفها التاريخ بالصدق والفطانة والأمانة وحرصه على نجاة الإنسانية ورقيّها وإسعادها . . لأنه هوالذى أرسله الله رحمة للعالمين وقال له فى محكم التنزيل ﴿ **إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [**الأنبياء**: ١٠٦ - ١٠٧] . . وقال هو عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة»، وقال عنه أعداؤه: «إنه الصادق الأمين» . . فلايليق بعقلاء الإنسانية أن يتنكروا لهذا الدين ولا يلفقوا له الأباطيل وينكروا الحقائق التى قامت عليها الأدلة وشهد بصدقها الواقع .

«حقيقة الجن»

الجن عالم غير مرئى للبشر حسب أصل خلقته . . لكنه حقيقة قائمة قال عنه الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [**الأعراف**: ٢٧] وما دام الجن يرانا ونحن لا نراه إذاً فهم من الكائنات الحية التى تساكننا فى هذه الأرض ويروننا ونحن لا نراهم لأن من حكمة الله سبحانه وتعالى ولطفه بنا أن خبَّأ شكلهم عنّا . . لأن الله مسخهم . . فأصبح منظرهم مخيفاً ولقد ضرب الله مثلاً بقبح منظرهم على شجرة الزقوم فقال عنها: ﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ** ﴾ [**الدخان**: ٤٣-٤٦] . . ويقول مبيّناً منظر الشيطان الكالح عند ذكر شجرة الزقوم ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾ [**الصافات**: ٦٤-٦٥] . . قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما خلق الله الجان من مارج من نار هو طرف اللهب ومن خالصه وأحسنه . . لهذا كان طبعهم الشر لأن المارج من النار هو اللهب الصافى من الدخان وهذا اللهب هو الذى يعلو النار مع لطف خفيف، وهذا اللهب حار ويابس مجاور لجواهر السموات وله قوة التأثير والفعل . . وعلى هذا يكون الجن من عالم الأثير غير قابل لرؤية البشر وله السيطرة على مادته التى لا تعوقه عن النفاذ فى شىء . . والجان هو أبو الجن خلقه الله من نار قبل خلق آدم . . وقد

أخفاهم الله عن أعين البشر حتى لا يصاب الإنسان بالذعر والفزع والخوف والاضطراب لأن أشكالهم مختلفة ومناظرهم عجيبة وهم من الكثرة كثير . . ولقد تطورت الحياة بالجن بمجرد أن هيَّأه الله بإحلال الروح فيه فأصبح كائنا حياً شفَّافاً لا تحجبه المادة ولا أثر للنار فيه كآدم عليه السلام فإنه بمجرد حلول الروح فيه تحول جسماً ولحماً ودماً وعظماً . . وعلى هذا فإن الحق سبحانه وتعالى خلق هذا العالم وخلق فيه ما شاء لكنه سبحانه أخبرنا عن ثلاثة أشياء من المخلوقات التى خلقها سبحانه، وهى:

١ - الملائكة . . خلقهم الله من نور . . ومسكنهم السماء.

٢ - الجان . . خلقهم الله من نار السموم . . ومسكنهم الأرض.

٣ - الإنسان . . خلقه الله من تراب . . . ومسكنهم الأرض.

ولاشك أنه لا يستطيع أحد أن يدعى علمه بحقيقة خلق الجن وإنما مصدر علمنا ما جاء فى القرآن الكريم والسُّنَّة الصحيحة وأى كلام يقال عن الجن بعيداً عن هذا فيحتمل الصدق والكذب لهذا وقع كثير من الناس فى بلبلة واضطراب وأوهام وشكوك وجعلهم فى حيرة لا يهتدون سبيلا عندما تخيلوا وتحدثوا عن هذا العالم بغير علم ولو أن هؤلاء رجعوا إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله لوجدوا فى ذلك راحة لأنفسهم وهدوءاً لأعصابهم واستقراراً فى حياتهم . . لكنهم تركوا الحق وليس بعد الحق إلاّ الضلال . . ذلك لأنهم أسسوا تصورهم على الوهم والخيال . .

والذى يجب علينا أن نعرفه عن حقيقة الجن . . أننا لا نراهم على حقيقتهم . . لأن عالم الجن غير مرئى للبشر فهم من عالم الأثير لهم وجود بلا ظل . . غير منظورين لنا . . وغير قابلين لرؤية البشر لقول الحق سبحانه: ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ** ﴾ [**الأعراف**: ٢٧] . . وهذا من حكمة الله ولطفه بعباده (البشر) لأنه لو كُشِفَ لنا عن حقيقتهم وسُلِّطَ نظر البشر المحدود على ذواتهم لما أمكن للإنسان أن يعيش على وجه الأرض من الخوف والرعب لأن منظرهم بشع . . وهم من الكثرة بحيث يشكل البشر بالنسبة لهم جزء من عشرة . . فقد

جاء فى الأثر (إن الله خلق الملائكة والجن والإنس. . عشرة أجزاء. . الملائكة تسعة أجزاء. . والجن والإنس جزء واحد. . وجعل من هذا الجزء الواحد عشرة أجزاء. . تسعة منهم الجن . . وجزء واحد الإنس).

والجان هو أبو الجن خلق قبل آدم من نار وأولاده خلقوا منه وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿ **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ من قَبْلُ من نَّارِ السَّمُومِ** ﴾ [**الحجر**: ٢٧] . . ويقول سبحانه فى آية أخرى: ﴿ **وَخَلَقَ الْجَانَّ من مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** ﴾ [**الرحمن**: ١٥] . . والمارج هو اللهب الصافى من النار وبمجرد حلول الروح فيه من أمر الله تعالى تحوّل إلى كائن حى شفاف لا تحجبه المادة ولا أثر للنار فيه، وعلى هذا فهو يمشى فى الهواء وعلى الماء ويتحرك هنا وهناك وعنده قدرة على التشكل كما يشاء بأى شكل يروقه وهو يدخل فى أى جسم مادى بدون عائق ويرشد إلى ذلك حديث رسول الله ﷺ: «أن صفية زوج النبى ﷺ جاءت تزوره وهو معتكف فقام معها مُوِّدعاً حتى بلغت باب المسجد فرآه رجلان من الأنصار فسلَّما عليه فقال لهما على رسلكما إنما هى صفية بنت حُيى . . فقالا سبحان الله يا رسول الله. . وكُبَر عليهما. . فقال النبى ﷺ . . إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإننى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً» [رواه البخارى].

إن حقيقة الجن لكونه مخلوقاً من اللهب الصافى وهو أخفُّ من الهواء بدرجة كبيرة لهذا فلا تمنعه الحواجز. . ولا الأبعاد المتناهية ويكون كالمادة الأثيرية التى تملأ الكون. . لهذا فهو يخترق الجسم البشرى ويسرى فيه كما يسرى الدم. . ويحدث هذا دون أن يشعر الإنسان بأى شىء على الإطلاق. . ولهذا أُمرَ الإنسان أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وأن يُحصِّنَ نفسه بالاستعانة بالله والاعتماد عليه ليُضيق على الشيطان مداخله . . وقد أرشدنا الله إلى ذلك بقوله: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [**فصلت**: ٣٦] . . وقوله سبحانه: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ** ﴾ **المؤمنون**: ٩٧، ٩٨] . . على أن يضع الإنسان المسلم فى ذهنه أن الشيطان بكيده أضعف من الضعف ولهذا قال لنا ربنا: ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [**النساء**: ٧٦].

وإذا كان الجن الذى خُلق من النار وذريته خُلقت منه بطريق التناسل وطَبْعُهم الشر لأنهم خُلقوا من اللهب فلا شك أنه قد يكون مختلطاً بدخان فى أول أمره وعندما سَرَت الروح فى جسم الجان الأول تحوّل إلى كائن حى لا أثر للنار فيه وقد أصبح جسماً شفافاً لا تحجبه المادة لذلك فهو يصعد إلى السماء الأولى ويطير فى الهواء ويجلس على الماء.

"الإيمان بوجوده"

لم يذكر القرآن الكريم فى أركان الإيمان بالجن لكن . . جاء ذكر الجن فى القرآن الكريم لذلك نحن نؤمن بوجوده ونعتقد اعتقاداً جازماً بأن ما جاء فى القرآن والسُّنَّة النبوية الصحيحة يُشكل جزءاً من عقيدتنا . . أما من أنكر وجود الجن على النحو الذى جاء فى القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الصحيحة. . فقد أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة، ولذا. . يكفر من أنكر وجود الجن حسبما جاء فى القرآن والسُّنَّة. .

"الجن .. إبليس"

ورد فى القرآن الكريم وفى أكثر من موضع ذكر الجن وأنه الأصل لإبليس حسبما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ﴾ [**الكهف**: ٥٠] . . ويلاحظ أنه لم يذكر فى معرض الحديث عن السجود لآدم. . الجن. . أو . . الشيطان. . وهذا ما يُشعر بأن (إبليس) على صفة خاصة غير صفة الشيطان والجن وإلاّ لَمَا التزم القرآن ذكر إبليس فى هذه الصور المتعددة لموقف واحد . . الأمر الذى لا يلتزمه القرآن إلاّ حيث لم يكن من التزامه بُد. . لهذا يظهر لنا أن إبليس وهو من فصيلة الجن فسق عن أمر ربه وهو وحده الذى خرج بكل وقاحة حيث تكبّر وأعلن العصيان . . ولم يأت ذكر للجن إلاّ فى معرض التنويه بأن إبليس منه. . ويلاحظ أن القرآن أكثر من ذكر الشيطان حيث تحدّث عنه فى أكثر من ستين موضعاً فى القرآن بلفظ

(الشيطان) . . وفى أكثر من عشر مواضع يتحدث القرآن بلفظ الجمع فيقول (الشياطين) ويتحدث القرآن عن الشيطان أو الشياطين فى مقام التحذير من الضلالة والغواية . . ذلك لأن العداوة بين الشيطان وآدم وذريته هى امتداد لتلك العدواة التى حملها إبليس لآدم حين امتنع عن السجود مع الملائكة . . لهذا يبدو بأن الشيطان وإبليس اسمان لذات واحدة فما عُرف إبليس إلاّ بالاستكبار والعدواة لآدم كذلك الشيطان يحمل هذه الصورة من العدواة وإلى هذا يُشير الحق سبحانه عن الشيطان وهو يوسوس لآدم ويغريه بالعصيان حتى يخرج من الجنة التى حُرِم منها هو وطُرِد لهذا يقول الحق سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠] . . وقال سبحانه مُبيِّناً ذلك أيضاً ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] . . ويظهر لنا بوضوح من قراءة القرآن أن الشيطان وإبليس اسمان لذات واحدة فما عُرِف إبليس إلاّ بهذا الوجه المنكر الملعون . . وما عُرِف الشيطان إلاّ فى هذه الصورة الكريهة المخيفة . . لهذا قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] . . ويقول لنا سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] . . ويقول سبحانه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] . . ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢] . .

إن هذه العدواة التى بين آدم عليه السلام وذريته وبين الشيطان اللعين هى امتداد لتلك العدواة التى حملها إبليس لآدم حيث امتنع عن السجود لآدم مع الملائكة . . فيلاحظ أن ذكر إبليس وحده يتردد فى مقام دعوة الملائكة للسجود لآدم وامتناعه هو عن السجود استكباراً لذاته وعُلواً على آدم الذى خُلق من طين وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] . . ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ [الإسراء:٦١] . . ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ٥٠] . . ويقول سبحانه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ [طه: ١١٦] . . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة والتى تُبيّن لنا أن إبليس هو الذى ورد ذكره فى هذا المجال. . أما عند الوسوسة لآدم وإغوائه وتزيين المعصية لذريته فإن الشيطان هو الذى يأتى ذكره. . فإبليس والشيطان يُذكران دائماً فى معرض التحذير منهما والتخويف من إغرائهما وإغوائهما لأن شأنهما العداوة للإنسان والنقمة عليه وندرك من مفهومنا. . أن إبليس من الجن بنص الآيات القرآنية وأن الله أخرجه من بين الجن حين أبى أن يسجد مع الملائكة لآدم استكباراً وخروجاً على الأمر الإلهى لذلك لعنه الله وطرده وجعل له اسم (إبليس) يتميز به عن الجن ويعرف به لأنه حلّت عليه اللعنة . . ومن لحظتها تحوّل إلى (شيطان مريد) و (شيطان رجيم) وإذا هو قوة شر منطلقة يتطاير منها شرر يصيب من يتعامل معه ويتبع خُطاه. . وأصبح الشيطان شياطين تتربص بذرية آدم حيث تأمر بالفحشاء وتُزيِّن لهم الإجرام وتدفعهم إلى سفك الدماء إلى غير ذلك من الأفعال التى تُوقع الإنسان فى المصائب وتدفع به إلى حبل المشنقة. .

"ما سرُّ العداوة"

كان إبليس مع الملائكة وكان يتعبّد مثلهم وكان اسمه (عزازيل) وهو إن كان يتعبد مع الملائكة إلاّ أن العبادة ليست متأصلة فى طبعه وإنما تشبَّه بهم . . ولما أراد الحق سبحانه خلق آدم وصوّر جثته كان إبليس يطوف حول جثة آدم ويريد أن يتعرف عليه . . وأن يعرف الغرض الذى من أجله تم تصوير هذه الجثة بهذه الشكل الحسن والجسم الرشيق والمنظر الجميل. . وكان إبليس وهو يطوف حول جثة آدم يراه أجوف فعرف أنه خلقٌ لا يتمالك . . فقال يخاطب الجثة: « لئن سُلِّطْت عليك

لأهلكنّك. . ولئن سُلِّطَ عليَّ لأعصينّه» وهذه العداوة من طرف واحد هو إبليس لأن آدم لم يكن يتكلم. . ولما كان إبليس من فصيلة الجن والجن مخلوق من النار فإن إبليس اغتر بنفسه وفكرَّ أن النار أفضل من الطين وبسبب هذا أصابه الغرور وتكبرّ فكان دائماً يطوف حول آدم وهو جثة هامدة ويتكبّر عليه خاصة وأنه كان يُقلِّدُ الملائكة وصار من أشرفهم وأولى الأجنحة الأربعة بل أصبح رئيس ملائكة السماء الدنيا . . فسِرُّ العدواة إذاً ما كان بنفس إبليس من الغرور والكبر والتعالى وهذه أمورٌ كلها تقود إلى الشر وبسبب ذلك يُدمِّرُ الإنسان ويَهْلِكُه . .

«عصيان أمر الله»

عندما اكتمل خَلْقُ آدم أمر الله الملائكة وإبليس معهم مأمور كذلك. . أن تسجد له خاصة وأن الله شَرّف آدم ونفخ فيه من روحه وعلّمه الأسماء كلها فأمر الله الملائكة أن تسجد لآدم فسجدوا كلهم على الفور بلا تردد إلاّ إبليس لم يسجد لأنه لم يكن من جنس الملائكة أصلاً. . فهو يخالفهم فى الأصل. . وليس من أصل نشأتهم فهو يغايرهم فى النشأة. . وهو لا يشاركهم أوصافهم فالملائكة مجبولون على السمع والطاعة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. . أما إبليس عليه اللعنة فقد تمرّد على السجود وسلك طريق الكفر والغى حيث ردَّ الأمر على ربه وقال فى تبجح ووقاحة: ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ فدلَّ بذلك على فساد عقيدته . . وأنه كان يظهر بخلاف ما يُبطن وأن قلبه ملئ بالحقد والحسد على آدم فأدى به ذلك إلى التكبر والاستعلاء ظنّاً منه أنه خير من آدم لأمور منها:

١ - أنه خُلِقَ قبله. .

٢ - أنه أقوى منه وأقدر عليه لكونه مخلوق من نار ليست كسائر النيران وإنما هى (نار السموم) وهى لا دخان لها شديدة الأثر على الإنسان عظيمة الوقع على

المخلوقات تتخلل الأجسام بسرعة فائقة لما فيها من لطف المسام وشدة الحرارة[1].

٣ - أن إبليس اللعين تطاول فى الحضرة الإلهية وزعم أنه أفضل من آدم وهذا هو السبب فى عدم سجوده وقال أمام الله عز وجل منعنى من السجود كونى أفضل من آدم بسبب خفّة النار التى أنا منها وعُلُوِّها على الطين ولأن النار جوهر مضىء، وقد قال العلماء بأن إبليس أخطأ فى هذا القياس من عدة أوجه أهمها:

أ - أن من جوهر الطين تكون الرّزانة والوقار والأناة والحلم والتأنى والتروّى.. أما من جوهر النار فتكون الخِفَّة والطيش والحدِّة والاضطراب والتسرع وعدم الاستقرار.

ب- أن النار سبب العذاب لأعداء الله.. وليس التراب.

جـ- أن الطين مُستغن عن النار أما النار فمحتاجة إلى مكان ومكانها التراب وهو أصل الطين.

د - أن النار مآلها إلى رماد وهو لا نفع فيه.. أما الطين فهو أساس الحياة لجميع المخلوقات.

لذلك أخطأ إبليس خطأ كبيراً رغم ما كان عليه من عبادة وعلم، وسبب ذلك الكبر.. ولقد أخذته العزة بالإثم لذلك وبَّخه الله تعالى وقال له: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ [**ص**: ٧٥].. كما وبَّخه فى قوله سبحانه: ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ** ﴾ [**الحجر**: ٣٢].. ولقد كان جواب إبليس عناداً وإباءً واستكباراً لأن جواب إبليس على الله يحمل فى طياته الاستكبار والكفر والتمرد لذلك أدرج فى معصية واحدة.. ثلاث معاصٍ.. **الأولى**.. الامتناع عن السجود وعصيان أمر الله..

(١) حاشية الصاوى على الجليلين، بتصرف جـ٢، ص٢٩٦.

والثانية .. التكبر.. لأنه ردّ على الله بلهجة المتكبر حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾.. وقال: ﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ .. وقوله: ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾.. فيه تطاول على مقام الألوهية وكان حواره مع ربه خالٍ من الأدب مجرد من الذوق لأنه تبجح وكشف برقع الحياء.. ثم هو أراد أن يُعلن عن تفضيل نفسه وتحقير غيره.. وليس لديه أدلة على قوله.

الثالثة.. الكفر والفسوق حيث جاء ذلك صريحاً فى قول الله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]

بدأ إبليس مراحل بداية حياته بعد خلق آدم بهذه المعاصى لذلك استحق اللعنة والطرد من رحمة الله لأن أوداجه انتفخت وتعالى على ربه الذى خلقه وخلق هذا الملك والكل ساجد له سبحانه فى خشوع وتذلل لأنه سبحانه إذا أراد شيئاً قاله له (كن) فيكون فهو سبحانه وضّح لنا أنه بعد أن خلق الأرض والسموات وقدّر فى الأرض أقواتها وجعل فيها رواسى يقول لنا بعد ذلك ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] .. نسى إبليس نفسه .. فى نفس الوقت كان ردّه أسوأ من فعله لأنه يحمل فى طياته الاستكبار والكفر والفسوق .. لهذا كان جزاؤه مركباً حيث قال الله له ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص: ٨٧] .. وفى آية أخرى قال الحق لإبليس ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] وفى آية أخرى قال الحق سبحانه: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨] ..

«ملاحقة إبليس باللعن»

أصبح إبليس اللعين عدوا لبنى آدم وذريته وحقّ عليه العقاب الإلهى وقد تكوّن العقاب من ثلاثة أنواع مثلما كانت معصيته مركّبة من ثلاث معاصٍ فالجزاءات هى:

١ - الهبوط عقاباً لامتناعه عن السجود. . والهبوط زوال المكانة التى كان يحتلها بين الملائكة وانتزاع صفة العبودية منه . . لذلك أهبطه الله عز وجل عن مكانته المرموقة التى كان يعيش فيها بين الملائكة بالعالم العلوى، وفى هذا قال له الحق سبحانه: ﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا** ﴾ [**الأعراف**: ١٣] . . وإبليس أُهبط مرتين. . هبوط منزلة وهى ما شرحناها . . والهبوط الثانى. . هو(هبوط من مكان) عندما هبط إبليس بعد أن وسوس لآدم وبعد الأكل من الشجرة وقد جاء فى القرآن الكريم توضيحاً للهبوط المكانى قول الله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ** ﴾ [**البقرة**: ٣٦]. . فالأمر الإلهى هنا بالهبوط إلى الأرض والتعبير بـ(**اهْبِطُوا**) للثلاثة. . آدم وحواء وإبليس فالأمر بالهبوط إلى الأرض لهم حيث الاستقرار مع ثبوت العداوة والبغضاء بين آدم وزوجته، وإبليس اللعين. . كما جاء فى القرآن الكريم قول الحق سبحانه: ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [**البقرة**: ٣٨] . . وتُبيّن هذه الآية أنه مع الهبوط سوف تنزل التكاليف الشرعية وأن السعادة أو الشقاء مترتبة على التمسك بهذه التكاليف أو فى الابتعاد عنها. . ويتبيّن أن الأمر بالهبوط لإبليس على مرحلتين:

أ - هبوط من مكانة . . وتعنى إخراج له من منزلته التى كان ينعم فيها.

ب- هبوط من مكان. . أى هبوط إلى الأرض بعد أن خرج من الجنة.

٢ - بعد أن قال الله لإبليس ﴿ **فَاهْبِطْ مِنْهَا** ﴾ طرده من مقام العزة إلى مقام الذلة، ويوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿ **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا** ﴾ [**الأعراف**:١٨] و(المذءوم) هو الممقوت المعيب، و(المدحور) هو المطرود المستبعد كما جاء فى آيات أخرى قول الحق سبحانه: ﴿ **قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ** ﴾ [**ص**: ٧٧] . . و(**فَاخْرُجْ مِنْهَا**) أى من الجنة التى كان يعيش فى رحابها وينعم فيها و(**رَجِيمٌ**) تعنى المطرود من المكان الذى كان فيه. . وباجتماع

هذين النوعين (الهبوط والطرد) لإبليس اللعين يكون قد تم إخراجه عن مكانته وإقصاؤه عن مكانه . . لكنه ظل فى السماء الدنيا . . حتى إذا وسوس لآدم وأغراه أُمِرَ بالهبوط معه إلى الأرض .

٣ - هبط إبليس عن مكانته وطرد من مقام العزة كما بيّنا يأتى الجزاء الثالث وهو (لعن إبليس) وقد حلّ على إبليس . . لعنتان . . لعنة من الله عز وجل . . ولعنة من الخلْق . .

أ - لعنة الله التى حلّت على إبليس وضّحها قول الله سبحانه : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص : ٧٧-٧٨] واللعنة هنا مضافة إلى الله عز وجل لتدل على فظاعتها وعلى أنها لعنة من الله سبحانه فتأتى حسب قدرته عز وجل وتتناسب مع معصية إبليس اللعين . . و(لَعْنَتِي) إبعاد الله لإبليس على سبيل السخط . .

ب- أما اللعنة الثانية فهى من الخلْق حسبما يوضحها قول الله سبحانه : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر : ٣٤، ٣٥] مُعرَّفة - بال - لتدل على أنها لعنة تشمل كل لعنات اللاعنين . . من الملائكة والثقلْين جميعاً . . أى الإنس والجن فهم يَدْعُون عليه بلعنة الله تعالى وبإبعاده عن رحمته و (إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ) تُفيد أن اللعنات (من الله والناس والملائكة والجن المسلم) لعنات أبدية سرمدية . . ومعنى هذا أن هذه اللعنات ليكون إبليس محروماً من توفيق الله ومن نيْل فيض الله[1] . . وهكذا يتبين لنا أن إبليس نال جزاءه واستحق عقابه لتمرده على الخالق سبحانه . . وهذا درس علينا أن نستفيد منه . . فلا يليق بنا أن نتكبر . . ونفتخر على الناس ونتعالى عليهم لأننا رأينا مصير الكبر وكيف كانت نهاية المتكبر الذى طُرد من رحمة الله .

---

(١) بتصرف من :
١ - روح المعانى للألوسى، جـ٢٣، ص٢٢٧ .
٢ - القرطبى، جـ١١، ص١٧١ .
٣ - مختصر ابن كثير، جـ٢، ص٨، وما بعدها .

«حقيقة إبليس»

إبليس الذى عاش مع الملائكة لم يكن منهم على الإطلاق وإنما إبليس هو من الجان والجان هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وقد وضّح الله سبحانه ذلك فى قوله: ﴿ **إلاَّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ** ﴾ وقد توقف العلماء كثيراً عند كلمة ﴿ **إلاَّ إبْلِيسَ** ﴾ والسبب فى هذا التوقف أن ﴿ **إلاَّ** ﴾ هى أداة استثناء والاستثناء إما متصل وإما منقطع فما هو الحكم هنا. . انقسموا قسمين:

١ - ذهب فريق إلى أن الاستثناء متصل فيكون إبليس من فصيلة الملائكة قال بذلك ابن عباس وابن مسعود وقد وضح ابن جرير فى تفسيره رأى ابن عباس بقوله. . إن إبليس كان من حىٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة . . وعندما أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم تناول إبليس الأمر لأنه فى صحبتهم ناشئا بينهم ولأن الجن كانوا مأمورين أيضاً مع الملائكة بالسجود واستغنى بذكر الملائكة لمزيد شرفهم ويتبيّن من هذا أن الجن كانوا من أحياء الملائكة الذين خُلقوا من نار وإبليس منهم ولما غضب الله عليه وطرده صار شيطاناً[(١)]. . وقال أبو السعود فى تفسيره الاستثناء متصل لأن من الملائكة جنساً يتوالدون يُقال لهم الجن (كما روى عن ابن عباس) أو لأن الجن أيضاً كانوا مأمورين بالسجود له لكن استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم[(٢)]. . وهذا الرأى هو الذى نميل إليه لأن فهم النصوص التى وردت فى القرآن فى هذا السياق يوضح أن إبليس كان مع الملائكة ولأنه من الجن فالجن خلقهم الله من نار وهم جنس من الملائكة لكنهم منفصلون عن الملائكة بطباعهم وأخلاقهم وهم وإن كانوا قد عاشوا فى السماء الدنيا إلاّ أنهم من المؤكد أنهم يسكنون الأرض بدليل ما قاله الحق سبحانه فى سورتين. . السورة الأولى (الأحقاف) حيث جاء فيها قول الله

---

(١) يراجع فى ذلك التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، جـ١، ص١٥٣.
(٢) تفسير أبى السعود بتحقيق عبدالقادر عطا، جـ١، ص ١٥٣.

تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣٢] . . ويتبيّن من سياق هذه الآيات أن الجن يسكنون الأرض ويسيحون فيها وأنهم يعلمون منزلة الأنبياء السابقين وأنهم أنصتوا للقرآن الكريم وأعجبوا به وآمنوا بما يدعو إليه ثم ذهبوا إلى قومهم يبشرونهم برسالة سيدنا محمد ﷺ وذكروا فى سياق كلامهم سيدنا موسى. . مما يدل على إيمانهم بالأنبياء. . السورة الثانية هى سورة (الجن) وفيها يتحدث الجن عن حُسْنِ إيمانهم بالله وأن بعض الجن من الأشقياء يفترون على الله الكذب وذكروا أنهم كانوا من قبل يتسمعون أخبار السماء لينقلوها إلى الكُهَّان والعُرَّاف ليعيش الناس فى الوهم والدجل والخرافات. . لأن الجن كان يزيد فى معلومات السماء ويُبالغ فيها لكنها الآن مُلئت حرساً شديداً وشهباً. . وأنهم اعترفوا على أنفسهم بأن منهم الصالح ومنهم الطالح. . لهذا فإن الاستثناء فى الآية يكون استثناءً متصلاً. .

٢ – (استثناء إبليس من ضمير الملائكة استثناء منقطع لأن إبليس لم يكن من جنس الملائكة وإنما هو من جنس الجان كما ذكرنا. . ولكن الله جعل أحواله كأحوال النفوس الملكية بتوفيق غَلَب على جِبِلّته لتتأتى معاشرته لهم وسَيْره على سيرتهم فسار استثناء حاله من أحوالهم فى مَظنة أن يكون مماثلاً لمن هو منهم. . وقد دلت الآية على أن إبليس كان مقصوداً فى الخبر الذى أخبر الله به الملائكة إذ قال لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وفى الأمر الذى أمر الله به الملائكة إذ قال لهم: ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ ذلك أن جنس المجرّدات كان فى ذلك العالم مغموراً بنوع الملك إذ خَلَق الله من نوعهم أفراداً كثيرة كما دل عليه فى صيغة الجمع فى قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ ولم يخلق الله من نوع الجن إلاّ أصلهم وهو إبليس. . وخلق من نوع الإنسان أصلهم وهو آدم، وقد أقام الله إبليس بين

الملائكة إقامة ارتياض وتخلُّق وسخَّره لاتباع سُننهم فجرى على ذلك السنن أمداً طويلا لا يعلمه إلاّ الله ثم ظهر ما فى نوعه من الخبث كما أشار إليه الحق فى قوله ﴿ **فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ﴾ لأن إبليس عصى ربه حين أمره بالسجود لآدم. . وإبليس اسم الشيطان الأول الذى هو مُولِّد الشياطين. . فكان إبليس لنوع الشياطين والجن بمنزلة آدم لنوع البشر). .

قال أبو عبيدة (إبليس) هو اسم عربى مشتق من الإبلاس وهو البعد عن الخير واليأس من الرحمة[١].

وقال أبو السعود فى تفسيره الاستثناء منقطع وهو رأى آخر له[٢].

ورغم أن العلماء أكثروا فى هذا الموضوع من الكلام وانقسموا إلى أن الاستثناء متصل أو منقطع إلاّ أنه فى النهاية تبقى قاعدة نؤمن بها أن إبليس اللعين الذى عاش مع الملائكة فترة طويلة هو من الجان إلاّ أنه حسد آدم وتكبرّ لذلك استحق ما استحق. . بعد أن أُمرت الملائكة بالسجود وسجدوا إلاّ إبليس . . الذى كان يُسمى بين الملائكة (عزازيل) فأصبح (إبليس). . وهذا الاسم يعنى الحيرة والحزن واليأس والسكوت غمّاً والصمت همّاً وانقطاع الحجة عن صاحبها[٣]. . وإذا كان عزازيل أصبح إبليساً لأنه أبلس من رحمة الله (أى يئس منها) وأما تبديل وصفه عليه اللعنة فإن الله أعلن ذلك صراحة فى الآية القرآنية ﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ وقد أبلسه الله من الخير كُلِّه وأصبح يتصف بصفات وضيعة دنيئة مشتقة من اسمه فى هذه المرحلة[٤].

إن ما أصاب إبليس كان بسبب ما رآه فى نفسه كبراً واستعلاءً عندما عاتبه الله سبحانه على عدم السجود . . ثم إنه استعظم اتخاذ السجود لآدم وسيلة للعبادة. .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور جـ١، ص٤٢٣، وما بعدها.
(٢) تفسير أبى السعود، جـ١، ص١٥٣.
(٣) الموسوعة القرآنية الميسرة ، تصنيف إبراهيم الإبيارى، جـ٣، ص٤٥.
(٤) بتصرف من تفسير القرطبى، جـ١، ص٢٠٣.

لذلك دخلت السِّين على (وَاسْتَكْبَرَ) تأكيداً على هذا التكبر، وتدل كلمة(كَانَ) على كفره فى علم الله أزلاً[1]. .

لهذا تتضح لنا حقيقة إبليس اللعين بأنه اتخذ التكبر والاستعلاء أساساً يرتكز عليه فى بجاحته ووقاحته ونتج ذلك عن الشعور الدفين فى نفسه بأفضليته على آدم. .

"الحوار الساخن"

الله تبارك وتعالى هو أرحم الراحمين وأعدل العادلين . . دائماً وأبداً. . بابه مفتوح للسائلين . . ويمد يده للطالبين. . ويُعين المحتاجين والآيات القرآنية فى ذلك الصدد كثيرة جداً والأحاديث النبوية كذلك. . والإنسان المذنب إن تاب تاب الله عليه. . وإن ندم على ما فرط منه وصدق فى توبته وأكثر من فعل الخير بدّل الله سيِّئاته حسنات وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٥، ١٣٦]. . ويقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦٧- ٧٠] ومع هذا الفضل العظيم من الله رب العالمين إلاّ أنه سبحانه وتعالى توّعد العاصين والمجرمين المنحرفين بالخزى فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة لأنه سبحانه القائل: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩- ٥٠] . . فإذا كانت رحمة الله واسعة. . فإن إبليس اللعين ضيَّقها على

(١) تفسير النسفى، جـ١ ، ص٤٢ .

نفسه حيث أدار حوار مع الله عندما قال له: ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٢، ٣٣] . . كان فى الإمكان أن يعتذر إبليس لأنه أخطأ. . لكنه أدار حوارا لم يكن من حقه لذلك قال الله له: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥]. . وإبليس تمادى فى غيِّه وانتفخت أوداجه وأراد أن يُظهر ذكاؤه وقدرته فى الأفضلية على آدم فكان ردّه: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فأُجيب إلى سؤاله، وقال الله له: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ فكان رد إبليس أسوأ مما مضى ليدلل على قدرته وسعة حيلته لذلك كان رده: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ اعترف إبليس بعداوته لبنى آدم وطلب من الله الإمهال لتكون له الفرصة الكافية لإغواء ذرية آدم انتقاماً منهم لأن إخراجه من منزلته وطرده من حظيرة القدس كان بسبب آدم وأراد أن يكون الثأر والانتقام من جميع ذرية آدم. . وإذا كان إبليس اللعين طلب هذه الفسحة من الوقت فى مكرٍ ودهاء فإن نيِّته كانت متجهة إلى أن ينجو من الموت ويُكتب له الخلود. . وقد حقّق الله له مطلبه وأعطاه سُؤله . . لا لخلوده. . ولكن لتكون سبباً فى زيادة بلائه وتأخير عذابه. . ويظهر فى كلام إبليس المكر والدهاء لأنه طمع فى الخلود. . وحتى لا يموت ويذوق مُرَّه لأنه كان يعلم شيئاً عن أهوال الموت وأحوال يوم القيامة ويعلم أن البعث بعثان:

١ - بعث يبدأ بخروج الروح من الجسد. . وهو ما يُسمّى بالموت.

٢ - البعث الثانى ويكون لرد الروح إلى الجسد وبعثها من القبر للحساب والجزاء وهو ما يعرف بيوم (البعث) . . لهذا قال الله له: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ والوقت المعلوم هو نهاية الخلائق وعندما ينفخ الملك فى الصور حسبما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] . . وإبليس من الذين يُصعقون عند النفخة الأولى وهو سوف

يذوق الموت ويعانى سكراته ولن يكون له النجاة منه ولا يتحقق له الخلود والبقاء كما طلب بمكر ودهاء[1] . . ولم تكن تلك النظرة من الله عز وجل لإبليس اللعين على وجه التكرمة أو التقريب ولا تحقيقاً لمراده أو تلبية لمطالبه . . وإنما كانت له عذاباً وامتهاناً . . وللعباد ابتلاءً . . وللبشر امتحاناً . . شأنه فى ذلك شأن الشهوات التى ركبها الله فى الأنفس وصنوف الزخارف وأنواع الملاهى التى خلقها الله فى الدنيا . . فيكون الثواب العظيم والجزاء الأوفى من الله لكل من خالف الشيطان والشهوات والزخارف والملاهى[2] . . كان من الأفضل لإبليس أن يتوقف عن هذا لكنه عاود الحوار بمكر ودهاء وتساءل بخبث عن سبب تكريم آدم وتفضيله عليه، لهذا قال لله سبحانه: ﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [**الإسراء** : ٦٢] . . وهذا السؤال من إبليس عليه اللعنة بكلمة (**أَرَأَيْتَكَ**) أى أخبرنى لما كرَّمته علىَّ وبيِّن لى السبب . . ولهذا لم يُجبه الله سبحانه تحقيراً لشأنه وتصغيراً لقدره . . وكلمة (**لأَحْتَنِكَنَّ**) أى لأستْولين عليهم وأستأصلهم بالإغواء . . لهذا جاءه الرد من الله تعالى بصيغة الطرد والإمهال بقول الحق سبحانه: ﴿ **اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا** ﴾ [**الإسراء**:٦٣] . . فإبليس أراد أن يُعلن أن فى قدرته أن يستولى على ذرية آدم وأن يستميلهم بالإضلال والإغواء ويسوقهم حيث شاء ظنّاً منه فى قدرته عليهم لكن الحق سبحانه وتعالى ردَّ عليه بقوله: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً** ﴾ [**الحجر** : ٤٢] . . فكان رد إبليس : ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [**ص** : ٨٢، ٨٣] .

(ولم يكن خطاب الله عز وجل مع إبليس اللعين وجوابه عليه ومكالمته إيّاه مباشرة بدون واسطة تكريماً له وتشريفاً . . ولكنه كان استدراجا له من الله سبحانه

(١) يراجع فى ذلك: الروح لابن القيم، ص١٠٣، وحاشية الصاوى على الجليلين، جـ٢، ص٦٥.
(٢) الكشاف للزمخشرى، جـ٢، ص٦٩.

وتهديداً ووعيداً منه ليصير فى مقام الذل والمهانة ولثبوت الطرد وحلول اللعنة عليه إلى يوم الدين)[1].

(وتحقق لإبليس اللعين عدم نجاته من الموت أبداً واستحالة خلوده يقيناً كما طلب بمكره وخداعه وعَلِمَ أنه ذاهب إلى مصيره المحتوم بتلك النظرة التى لم تكن تكريماً له وتعظيماً بل كانت سبباً فى زيادة شقائه ومضاعفة اللعنات التى تحلُّ عليه من الله.. ثم من أهل السموات جميعاً.. ثم من أهل الأرض كلهم.. فصار بذلك ملعوناً فى السماء والأرض .. ليزداد بذلك عذابه ويخلد فى النار)[2].

إن إبليس وقف يقول فى تبجح بعد أن شعر بالذلة والهوان: ﴿**لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** (١١٨) **وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**﴾ [**النساء**: ١١٨- ١١٩] .. هذا القول الشنيع الصادر عن إبليس برهن على وقاحته لأنه أعلن أنه منهمك فى الغى ليس له من عمل إلاّ إضلال العباد لإهلاكهم، ولذلك قال ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ**﴾ والأمانى الباطلة كالوعد بطول الحياة وأنه لا بعث ولا عقاب ﴿**وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ**﴾ أى فَلْيُقطِّعنها بموجب أمرى ويُشقِّنَّها من غير تلعثم فى ذلك ولا تأخير.. وذلك ما كانت العرب فى الجاهلية تفعله بالبحائر والسوائب وقد جاء ذلك فى قول الله سبحانه: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ** ﴾ [**المائدة**:١٠٣] .. ونجد أن الحق سبحانه وتعالى ردّ على الكافرين والمشركين وأبطل ما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها (أى شقُّوها وحرّموا ركوبها ودرَّها ولا تُطرد عن ماء ولا عن مرعى وكان الرجل يقول إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة.. وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها.. وإذا

---

(١) حاشية الصاوى على الجلالين، جـ٢، ص٣٥٥، وما بعدها.
(٢) تفسير الخازن، ص١٠٣، جـ١٠٢.

ولدت الشاة أنثى فهى لهم وأن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم . . وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . . وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من ماء ولا مرعى . . ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ مثل فقأ عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر وتغيير الحواجب وحلق شعر النساء إلى غير ذلك مما فيه خروج على القيم الدينية والعرف الاجتماعى [1] . . لكن الحق سبحانه وتعالى ردّ على إبليس بقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء : ١١٩-١٢١] . .

وفى قوله سبحانه : ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ [الإسراء :٦٣-٦٤] (وَاسْتَفْزِزْ) استخف بعقولهم إن استطعت وازعجهم وصح عليهم وسُقهم بحيلك وأمانيك فكل كلامك باطل وخداع ولن يتبعك إلا الغاوين . . لأن أصحاب الإيمان القوى والهمة العالية والضمير اليقظ ليس لك عليهم سلطان أبداً لأنهم يعتمدون علىَّ ويتوكلون فهم فى حمايتى ولن تستطيع أن تغويهم لأنهم يعلمون أنك عدوّهم اللدود لهذا كان قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ [الإسراء : ٦٥] . . لكن إبليس تمادى بعد ذلك وقال شارحاً وسائله الخبيثة فى غواية بنى آدم وقد أقسم اللعين أن يُضل بنى آدم جميعاً وأن يعمل بكل حيَله ليبعدهم عن الصراط المستقيم فقال كما يحكى القرآن : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢ - ٨٣] . . إنه سوف يتخذ طريق الوسوسة مع الناس ليزيِّن لهم المعاصى ويُحسِّنها فى أعينهم حتى يشغلهم عن تنفيذ أوامر الله ويبعدهم عن طريق الهدى والرشاد . . لذلك . . ﴿ قَالَ فَبِمَا

---

(١) تفسير أبو السعود، جـ١، ص٧٨٤، ، وجـ٢، ص١٣٢، ص١٣٣ .

أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٦ - ١٧] . . وتأمَّل تجد أن إبليس اللعين لم يذكر الإتيان من فوق الإنسان حيث إنه لا يستطيع أن يأتي من الأعلى فإن رحمة الله تتنزل على العبد وهو لا يستطيع أن يحول بين العبد ورحمة ربه . . ولم يذكر الإتيان من أسفل فإنه إذا جاء من أسفل الإنسان أفزعه وأصيب الإنسان بالخوف والهلع . . وإبليس يريد أن يناكف الإنسان ويتودد إليه حتى يسهل عليه إغواؤه والدفع به إلى المعاصى . . ويقول ابن عباس بأن الإتيان من أسفل لا يليق بإبليس اللعين لتكبره واستعلائه . . فهو ما زال يحلم بالكبر والعظمة عليه لعنة الله والناس أجمعين . . ولقد تمادى إبليس فى غيِّه فقال لربه : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩-٤٠] . . إن إبليس أراد أن يغوى الناس ليهلكهم كما أهلكته معصيته . . لذلك حذرنا الله سبحانه وتعالى من الشيطان وحيَله ووسائله وبيّن الحق سبحانه أن سبب إغواء إبليس لبنى آدم يرجع أصلا إلى أن إبليس وذريته يرون بنى ادم . . وبنو آدم لا يرونهم والسبب فى ذلك أن إبليس من فصيلة الجن وهو خلق من نار السموم لذلك أجسامهم خفيفة فيكونون بهذا أشد أثراً على بنى آدم لهذا قال الله سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف : ٢٧] . . لذلك قال ذو النون :«إن كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه، وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار . . إن فى ذلك لعبرة ثم هو تحذير كذلك من فتنة هذا اللعين الذى هو فى منزلة العدو الخفى الذى يكيد للناس من حيث لا يشعرون[1]، وهل مثل هذا يتخذه الإنسان صاحباً ويأنس إليه . . وهو العدو الوقح المستفز؟ اعتقد أن أى إنسان عنده عقل يرفض مصاحبة هذا اللعين أو الأُنس به وصدق من قال :«صاحب السعيد تسعد، واحذر مصاحبة الشقى حتى لا تشقى» .

(١) تفسير النسفى، جـ٢، ص٥٠ .

"إبليس.. والشيطان"

قلنا بأن إبليس والشيطان اسمان لمسمًّى واحد والحق سبحانه وتعالى ذكر إبليس فى معرض السياق للسجود لآدم. . وفى معرض الغواية والإضلال والفساد جاء ذكر الشيطان . . لأنه كما مرَّ بنا بأن إبليس عاش مع الملائكة وتمتع بتقليدهم ونعم بصحبتهم وعاش فى زمرتهم يزهو بينهم بحسنه ويفخر فيهم بجماله ويهنأ معهم بوافر علمه. . كما أنه كان يُدبر أمر السماء الدنيا ويعمل خازناً للجنة وكان يُسمّى (عزازيل) فلما خلق الله آدم وصوّره ونفخ فيه من روحه أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم فرفض إبليس الأمر الإلهى وامتنع عن السجود وتكبر وأعلن أنه خير من آدم لذلك استحق اللعنة والطرد والهبوط من مكانته والخروج من صفاته فكان لزاماً أن يتغير اسمه كما تبدّلت صفاته لذلك سُمِّى (إبليساً) ليوافق الاسم مُسمَّاه. . لأنه أُبْلِس من رحمة الله. . وكما خرج عن طاعة الله فقد تغير شكله وأُخرج من سحنته وطُرد من مكانته وصار بعد ذلك يتصف بصفات وضيعة دنيئة. . ولما هبط من مكانته أصبح ليس له عمل يؤديه فظهر عليه اليأس والقنوط ثم إنه فى هذه الفترة لم يكن قد استطاع أن يوسوس لأبى البشر بالشر والخديعة فأصيب باليأس والكبت وظلّ إبليس مطرودا حائراً حاقداً على آدم حاسداً عليه وأضمر فى نفسه الشر والوعيد وبدأ يعد العدة للثأر من آدم والانتقام منه.

"آدم فى الجنة"

أسكن الله آدم الجنة ومعه زوجته وقال لهما كما جاء فى القرآن: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**البقرة**: ٣٥]. . وبدأ الشيطان يتربص بآدم وحاول الدخول إلى الجنة لإغراء آدم وبدأ اللعين فى مباشرة عمله بإظهار وسائله الخبيثة وظهر خداعه وخبثه واستطاع أن يصل إلى آدم فى الجنة وبأسلوب الخداع والمكْر والإغراء والدهاء والحلف كذباً استطاع إبليس أن يقود آدم إلى ما أراد ومن هذه اللحظة سُمِّى شيطاناً

وكلمة شيطان تعنى كل عاتٍ متمرد من الإنس والجن والحيوان ومن يغرى بالفساد ويدعو إلى الشر أما إبليس فقد أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطاناً رجيماً . . والشيطان آثاره الإجرامية لم تعد قاصرة على نفسه أو منحصرة فى شخصه وإنما امتدت آثار أفعاله إلى غيره من الخلق وتعدى شرُّه إلى سواه من البشر ولما كان لفظ الشيطان مأخوذ من (شاط) بمعنى احترق . . أو مأخوذ من شيطاً بمعنى بَعُدَ لأنه بعيد عن رحمة الله فقد ظهرت نتائج مكره وخبثه على سيدنا آدم وزوجه وبذلك تكون لحظة وسوسته لهما وممارسته مهام إضلاله هى لحظة انتقال إبليس إلى المرحلة الشيطانية . . لذلك لم يذكر القرآن الكريم كلمة إبليس من بعد الامتناع عن السجود إلاّ مرتين:

الأولى: فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سبأ: ٢٠] . . **الموضع الثانى** قول الله تعالى: ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ** ﴾ [الشعراء: ٩٤-٩٦] . . وتوالى ذكر الشيطان بعد ذلك فى كل موضع من القرآن يشرح فيه تعدى أثره على غيره . . وتأثيره بفعله على من سواه . . لذلك صدرت جميع التنبيهات الإلهية لبنى آدم تحذر من خطورة الشيطان وعمله وتفضح وسائله ومكره وسيظل الشيطان هكذا إلى يوم الدين سيزاول أعماله الخبيثة ابتلاءً للبشر . . فإبليس والشيطان اسمان لشخص واحد، وقد قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ [النور: ٢١] . .

ولقد تكرر ذكر إبليس اللعين بهذا الاسم فى سبعة مواضع من القرآن الكريم، وعند ذكر هذا الاسم كان التوضيح من الله لنا أن إبليس استكبر عن السجود لآدم وعَصِىَ أمر الله لكن عندما أسكن الله آدم الجنة توالى ذكر كلمة الشيطان . .

وآدم فى الجنة وسوس إليه الشيطان . . أى تكلم لهما كلاماً خفياً مُتداركاً مُتكرراً . . وهى فى الأصل الصوت الخفى كالهيمنة والخشخشة . . (وأراد بوسوسته

أن يسوءهما بانكشاف عورتيهما، ولذلك عبَّر بالسوءة . . وفيه دليل على أن كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مُستجهن فى الطباع)[1].

إن إبليس حرّم الله عليه الجنة فلم يدخلها بعد عصيانه ولن يدخلها أبداً لعصيانه أمر الله لكن كيف وسوس . . هناك أقوال منها:

١ - قيل أنه قام عند الباب فنادى عليهما . .

٢ - إبليس لا يدخل الجنة كالملائكة . . لذلك تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة . . وهذا من السخرية به والحط من شأنه.

٣ - استقطب إبليس الحيّة ودخل فى فمها . .

٤ - أرسل بعض أتباعه ممن كانوا يشايعونه.

هذه آراء جاءت فى أقوال بعض المفسرين[2].

وفى قول الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ الزلل هو عثور القدم . . يقال: (زلّت قدمه) وفى كيفية توصل إبليس إلى إغواء آدم وزوجته يقول ابن مسعود وابن عباس بأن إبليس شافههما بدليل ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ وقيل دخل إبليس الجنة عن طريق الوسوسة ابتلاءً لآدم وحواء . . وقيل دخل فى جوف الحيّة ثم كلم الشيطان آدم وقد قصَّ الله قصة خلق آدم فى سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة الحجر بأحسن القصص وأصدقه[3]. ولقد نسى آدم العهد الذى قطعه الله عليه كما قال ربنا جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥] . . وابتُلِىَ آدم فظهرت سوءته هو وحواء ثم أمره الله أن يهبط إلى الأرض، وهبط آدم إلى الأرض لتتحقق مشيئة الله . . وهبط ومعه زوجته . . والشيطان (إبليس) والحيّة التى دخل الشيطان فمها، وقال الله لهم: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عرف آدم خطأه فتاب . . فتاب الله عليه وقبل توبته . . أما إبليس اللعين فإنه تمادى فى غيِّه لهذا كانت عقوباته متعددة منها:

---

(١) تفسير أبو السعود، جـ٢، ص٣٣٣، وما بعدها.

(٢) تفسير أبو السعود، جـ١، ص١٥٨.

(٣) التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، جـ١، ص ١٦١ بتصرف.

١ - أنه طُرد من رحمة الله فأصبح شقيّاً ذليلا، ومن أهل الصَّغار لذلك يذمُّه كل إنسان ويلعنه كل لسان.

٢ - أنه أُهبط إلى منزلة وضيعة ومكانة دنيئة.

٣ - أن الله غيرّ اسمه فبعد أن كان يُقال له عزازيل ناده الله بـ(إبليس).

٤ - أن الله غيرّ رسمه فقد مسخ الله صورته وغيرّ خلقته.. فقد خرج من صورته النارية التى افتخر بها إلى صورة مظلمة مشوَّهة وتغيرّت ملامح وجهه فأصبح قبيحاً تقشعر من رؤيته الأبدان وأصبح شيطاناً مريداً.. أى أملساً لا يعلق به شيء من الخير لأنه شرير خبيث..

٥ - نظراً لتكبره وعصيانه لأمر الله فإن الله لن يقبل منه التوبة أبداً لأنه تمرد وتكبر على الله لهذا كتب الله عليه الضلالة الأبدية وسوء المصير.. قال الله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [**الحج**: ٤].. وقد جاء لفظ الهداية إلى النار تهكما على الشيطان وأوليائه وسُخرية بهم ومنهم.. وإذا كان الشيطان يعلن أنه برئ من أفعال المجرمين والفسقة فإن ذلك من باب سُخرية الشيطان من الذين استمعوا إليه وانقادوا له كما قال الحق سبحانه: ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**الحشر**: ١٦، ١٧] فقول الشيطان لمن اتبعه.. إنى أخاف الله.. فإنه ليس على حقيقته بل هو من باب التبليس على الإنسان.. ذلك لأن الله أغلق باب التوبة عليه فهو خالد فى النار جزاء عصيانه وتمرده على خالقه..

٦ - من الأشياء التى يُعاقب بها إبليس أنه سيكون خطيباً لأهل النار لأنه بعد انتهاء الحساب والعرض على الله ودخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار إليها يُنادى مناد.. يا أهل الجنة خلود بلا موت.. ويا أهل النار خلود بلا موت.. عنئذ يصعد إبليس على منبر من نار حيث يجتمع عليه أهلها يلومونه لأنه أغواهم وقادهم إلى طريق الغواية فيبدأ فيهم خطبة شرحها لنا الحق سبحانه فى

قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [**إبراهيم**: ٢٢] . .

هذه هى خطبة الشيطان اللعين لأنصاره وأتباعه. . وهو هنا يُعلن تبرءته من أعمالهم وأنه لم يأخذهم بالقوة ليتبعوه بل هم الذين كذبوا الرسل واتبعوه وشايعوه واليوم لن يستطيع إغاثتهم ولا إنقاذهم فالخطأ منهم لأنهم اتبعوه ثم يعلن أنه منهم برئ.

«مقارنــة»

سيدنا آدم سبب خروجه من الجنة وهبوطه إلى الأرض مع زوجه حواء لأن مشيئة الله اقتضت ذلك أزلاً. . وآدم اعترف بخطئه وندم واستغفر ربه ورفع صوته هو وزوجته قائلين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [**الأعراف**: ٢٣] . . لذلك قال الله فى حق آدم الذى ندم على فعله وتاب توبة صادقة قال الله فى شأنه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [**طه**:١٢٢] . . ولقد كان من فضل الله ورحمته على آدم أنه كما يقول الحق سبحانه: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [**البقرة**: ٣٧] . . ثم جاء التوجيه لذرية آدم أن يحذروا الشيطان ولا يفتنهم بمعسول قوله فقال الحق سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [**الأعراف**: ٢٧] . . ثم إن زلَّت آدم كانت نتيجة لأنه صدّق إبليس عندما أقسم بالله كذباً إنه لمن الناصحين فحدث الخطأ ووقع الزلل من آدم. . فلما انكشف الأمر وثبت كذب اللعين. . ندم آدم وطلب العفو فكانت رحمة الله له شاملة. . وكذلك شأن بنو آدم جميعاً من زلّت قدمه أو انحرف فى حياته ثم ندم وتاب ورجع إلى الصواب غفر الله له ما كان منه. . ولعل خطأ سيدنا آدم. . من

حظ التشريع . . لنتعلم نحن . . من هذا العمل الذى فعله الأب الأول والله سبحانه لا يُجازى بالنسيان . . لأنه سبحانه الغفور الرحيم . .

أما إبليس اللعين فإن معصيته ظاهرها الكبر والعناد والعصيان والإصرار على المعصية ورفض الاستماع للتوجيه لذلك كانت الدوافع النفسية عند إبليس كلها شر ولأن قلبه مُلئ حقد وحسداً على آدم فأضمر فى نفسه الشر له والانتقام منه . . ثم إن إبليس لم يبادر بالتوبة ولم يُسرع فى طلب المغفرة ولكنه أصرّ على العناد واستمر فى العصيان وتمادى فى الكفر وتوعد أن يضل جميع أبناء آدم وأن يفسد حياتهم وينشر العداوة فى صفوفهم ويعمل على إشعال نار الحرب بين الأخ وأخيه والجار وجاره والدول مع بعضها . .

إذاً الفرق واضح بين . . الدوافع النفسية لدى سيدنا آدم . . والدوافع النفسية لدى الشيطان الرجيم .

«ذُرية إبليس»

سُئل الشعبى وهو من العلماء الكبار«هل لإبليس زوجة؟ فقال . . ذلك عُرسٌ لم أشهده . . ثم تذكرت قول الله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ ﴾ فعلمت أنه لا يكون ذرية إلا من زوجة . . فقلت نعم»[١].

وقد قيل فى وسائل إنجابه أقوال كثيرة ذلك لأنه لم يرد فى القرآن ذكر لزوجة إبليس . . قيل (ذرية) أى أولاده وأتباعه جُعلوا ذرية مجازاً . . قال قتادة«يتوالدون كما يتوالد بنو آدم . . وقيل إنه من باب السخرية من الشيطان، وإذلاله . . ويُدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين[٢] . . وقيل﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ ﴾ ويكون من الذرية إناث وذكور كما صح الحديث عن رسول الله ﷺ : «اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث»[رواه البخارى] .

(١) تفسير القرطبى، ج ١٠، ص٢٧٣ وما بعدها .

(٢) تفسير أبو السعود، جـ٣، ص٥٢٩، وتفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، جـ٢، ص٢٧٩ .

قال ابن الأثير: «الخُبث بضم الباء جمع الخبيث.. والخبائث جمع الخبيثة.. يريد ذكور الشياطين وإناثهم»[1]. وقد حدث أن الرسول ﷺ كلّف أبا هريرة رضي الله عنه بحفظ زكاة رمضان . . يقول أبو هريرة.. فأتانى آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال.. إنى محتاج، وعلىّ عيال ولى حاجة شديدة.. قال فخلّيْت عنه فأصبحت.. فقال النبى ﷺ ما فعل أسيرك البارح؟ قلت.. قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة .. وعيالا فرحمته فخلّيْت سبيله.. قال.. أما إنه كذبك سيعود.. فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ أنه سيعود.. فرصدته.. فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ .. قال دعنى فإنى محتاج وعلىّ عيال لا أعود فرحمته فخلّيْتُ سبيله.. فأصبحت فقال رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟ قلت يا رسول الله .. شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخلّيْتُ سبيله.. قال أما إنه كذبك وسيعود.. فرصدته الثالثة .. فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لاتعود ثم تعود.. قال دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها .. قلت.. ما هن؟ قال: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ حتى تختم الآية فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلّيْت سبيله.. فأصبحت.. فقال رسول الله ﷺ ما فعل أسيرك البارح؟ قلت.. قال لى.. إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آيه الكرسى من أولها حتى تختم الآية، وقال لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح.. فقال النبى ﷺ أما أنه صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة قال.. لا .. قال .. ذاك الشيطان» [رواه البخارى - معلقا].

قال الحافظ فى شرحه للعبارة الأخيرة من هذا الحديث إذا قلت هذه الآية لايقربك ذكر ولا أنثى من الجن لأن فى الجن ذكراناً وإناثاً.. وقد ثبت من

---

(1) لسان العرب، جـ٢، ص١٠٨٨.

الأحاديث أن الجن منهم ذكور وإناث. . وعلى هذا فهم يتوالدون . . لكن الشيطان الأول هو الذى وضع ذنبه فى دبره فكان البيض الذى تناسلت منه الذرية وهذا من باب امتهان إبليس وذريته فإنهم جاءوا من مكان مستقذر بطريقة فيها انحطاط تنمُّ عن سوء مخرجهم، وقد انعكس ذلك على حياتهم لذلك فهم يألفون الأماكن القذرة ومن على شاكلتهم يحبون هذه الأماكن المستقذرة. .

"هل الشيطان وأولاده يأكلون"

نعم لأن الأحاديث الصحيحة الصريحة صرّحت بأن الجن يأكلون ويشربون ففى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»[رواه مسلم] . . وفى حديث آخر عن جابر بن عبدالله أنه سمع النبى ﷺ ويقول: « إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولاعشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء»[رواه مسلم].

كما جاء فى حديث آخر عن حذيفة رضي الله عنه قال: « كنا إذا حضرنا مع النبى ﷺ طعاماً ولم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده. . وإنّا حضرنا معه مرة طعاماً فجاءت جارية كأنها تُدْفَع فذهبت لتضع يدها فى الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ثم جاء أعرابى كأنما يُدْفع فأخذ بيده رسول الله ﷺ ثم قال: « إن الشيطان يستحل الطعام ألا يُذكر اسم الله عليه، وأنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابى ليستحل به فأخذت بيده والذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع يدها»[رواه مسلم] . . وعلى هذا الأساس يتبيّن لنا أن الجن يأكلون . . وهم يأكلون العظم وروث البهائم ومن لطف الله بهم لأنهم خلقه فإن العظم يُكسى لحماً. . كذلك فضلات طعام الآدميين. . ويرى بعض الباحثين أن أماكن الزبالة تكون مليئة بالجن والعفاريت للبحث عن طعام لأن جن نصبيين عندما اجتمعوا برسول الله ﷺ سألوه الزاد فقال لهم: «كل عظم

ذُكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً، وكل روثة علف لدوابكم» لذلك نهى النبىﷺ أن يُستنجى بهما وقال: « إنهما زاد إخوانكم الجن»[رواه الترمذى].

وهناك صنف لا يأكلون ولا يشربون لأنه جاء (فى كتاب فتح البارى) أن الجن (أصناف) فخالصهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون. . وجنس منهم يقع منهم ذلك . . ومنهم السعالى والغول والقطرب)[1].

كذلك ما روى. . أن رسول الله ﷺ قال: «الجن ثلاثة أصناف. . صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء. . وصنف حيّات وعقارب. . وصنف يُحلّون ويظعنون»[رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى] . . أى يقيمون ويرحلون.

"الجن يتشكل"

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ [**الأعراف**: ٢٧] . . أى أن البشر لا يستطيع رؤية الجن على حقيقته وصورته التى خلقه الله عليها، ولذلك يقول الشافعى: «من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبياً» . . وهذا الرأى من الشافعى محمول على من يزعم ويدَّعى رؤية الجن على صورهم التى خُلقوا عليها . . وأما من ادَّعى أنه يرى شيئاً منهم بعد أن يتطور على صور شتَّى من الحيوانات أو الزواحف أو البشر الفجرة فلا يقدح فيه وقد تواردت الأخبار بتطورهم فى الصور»[2].

قال القاضى أبو يعلى: « ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور وإنما يجوز أن يُعلِّمهم الله كلمات وضروباً من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله سبحانه من صورة إلى صورة. . فيقال. . إنه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول إذا قاله وفعله نقله الله تعالى عن صورته

(١) أورده الحافظ فى فتح البارى. ، جـ٦، ص٣٤٥.

(٢) فتح البارى، جـ٤، ص٤٨٩.

إلى صورة أخرى. . وإما أنه يُصوِّر نفسه فذلك محال لأن انتقال الجن من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقضت بطلت الحياة[١] . وهذا الكلام جيد ويوافق المنطوق العقلى. . لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوضح لنا كيف يتحول الجان من كذا إلى كذا. . فقد روى من أبى شيبة. . أن الغيلان ذُكروا عند عمر بن الخطاب فقال: « إن أحداً لا يستطيع أن يتحول عن صورته التى خلقه الله عليها ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا رأيتم ذلك فأذنوا»[٢]. أى آذنوهم بالانصراف . . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «والجن يتصورون فى صور الإنس والبهائم ويتصورون فى صور الحيّات والعقارب وغيرها وفى صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وفى صور الطير وفى صور بنى آدم»[٣]. . وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها ولكن خفت أن أبيد أمة فاقتلوا منها كل أسود بهيم فإنه جنُّها أو من جنِّها» [صحيح مسلم] . . وكما صح عنه ﷺ قوله. . « إذا قام أحدكم يُصلَى فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرجل فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرجل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود. . قال رجل لأبى ذر . . وهو راوى الحديث. . ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر. . قال أبو ذر لسائله . . يا ابن أخى سألت رسول ﷺ كما سألتنى فقال: الكلب الأسود شيطان» [رواه مسلم والنسائى وابن ماجة]. . والشاهد فى هذا الحديث هو (الكلب الأسود) يقول ابن تيمية رحمه الله. . الكلب الأسود شيطان الكلاب. . والجن تتصور بصورته كثيراً، وكذلك بصورة القط الأسود لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره

(١) آكام المرجان فى غرائب الجان لبدر الدين الشبلى.
(٢) فتح البارى، جـ٦، ص٣٤٤.
(٣) رسالة الجن لابن تيمية، ص٣٢.

وفيه قوة الحرارة[1] . . ولقد تصوّر إبليس يوم بدر بصورة سراقة بن مالك سيِّدُ بنى مُدلج) وجاء مع المشركين بجنده وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جارٌ لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها فى وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولَّى مُدبراً وشيعته . . فقال الرجل . . يا سراقة أتزعم أنك لنا جار؟ . . فقال . . إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة»[2] . . روى عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة أنه قال: «دخلت على أبى سعيد الخدرى فوجدته يُصلى . . فجلست انتظره حتى قضى صلاته . . فسمعت تحريكاً تحت سرير فى بيته فإذا حيَّة فقمت لأقتلها . . فأشار أبو سعيد أن أجلس . . فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار . . فقال . . أترى هذا البيت؟ فقلت نعم . . فقال . . إنه قد كان فيه فتى حديث العهد بعرس فخرج مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فبينما هو به إذ أتاه الفتى يستأذنه . . فقال . . يارسول الله إأذن لى أحدث بأهلى عهداً . . فأذن رسول الله ﷺ وقال . . خذ عليك سلاحك فإنى أخشى عليك بنى قريظة . . فانطلق الفتى إلى أهله فوجد امرأته قائمة بين البابين فأهوى إليها بالرمح ليطعنها وأدركته غيرة . . فقالت . . لا تعجل حتى تدخل وتنظر ما فى بيتك . . فدخل فإذا هو بحيَّة منطوية على فراشه فركز فيها رمح ثم فرح بها فنصبه فى الدار . . فاضطربت الحيّة فى رأس الرمح وخرَّ الفتى ميِّتاً فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً الفتى أم الحيّة فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال إن بالمدينة جنّاً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»

[رواه مسلم]

---

(١) رسالة الجن لابن تيمية، ص٤١.

(٢) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص٣١٧.

مما قدمناه من الأدلة يتبين لنا أن الجن تتشكل وأنها تأتى فى صور مختلفة وأمور متباينة وقد يجلسون معنا ونحن لا نراهم كما فى حالة الأكل والشرب. . لذلك كان علينا أن نتحرز منهم. . والإيمان بالله أقوى سلاح. . والاستعانة بالله تقتل الشيطان. . لهذا علينا أن نستعين بالله ونتوكل عليه والله تعالى قال لنا: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [**النحل**: ٩٨- ١٠٠] . . ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [**فصلت** : ٣٦] . . ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ [**الأعراف** : ٢٠٠، ٢٠١] . . فالله سبحانه وتعالى هو القوى القادر يحميك من الشيطان ويحفظك من كيده. . بشرط أن يكون إيمانك قوياً. . وثقتك فى الله أقوى. . ثم تثق فى نفسك وقدرتك على الشيطان الرجيم.

«الجن تخاف من الإنس»

مما يجب الإيمان به أن الشيطان أشد خوفاً من الإنسان. . من خوف الإنسان من الجن لما روى عن بعض الناس أن الشيطان تعرض لهم فلما وثبوا عليه جرى من أمامهم واختفى خاصة وأن أقوى سلاح يستعين به الإنسان على طرد الشيطان هو الأذان لما صح عن رسول الله ﷺ قوله: « إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوِّب بالصلاة أدبر حتى إذا قُضِىَ التثويب أقبل حتى يخطر بين المرأ ونفسه. . يقول. . اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلَّى»[رواه البخارى ومسلم والنسائى] . . ومن وصايا رسول الله ﷺ قوله: « إذا جنح الليل . . أو أمسيتم. . فكفُّوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فحلُّوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقاً وأوكوا قربكم واذكروا

اسم الله وخمِّروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئاً واطفئوا مصابيحكم»[رواه البخارى]. . وأوكوا أى اربطوا فم السقاء. . وتخمير الآنية أى وتغطيتها. . وعلى هذا يتبين لنا أن ذكر الله يحول بين الشياطين وبين أن تعبث بنا فالإنسان . . إذا خلع ملابسه ذكر اسم الله عليها وإذا لبسها فبسم الله. . وإذا أكل أو شرب أو نام فبسم الله. . ولتجعل حياتك لله ليحرسك ويرعاك وتوكل على الحى الذى لا يموت ولا يغفل عن خلقه. . وصدق الله العظيم ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٧- ٢٢٣] . . وردد دائماً مع ما علّمك ربك : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣] . . وتبين لنا أن الجن تخاف من الإنس إذا استعاذ الإنسان بربه وخالقه لأنه كما قال ربنا. . ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] .

"هل الجن تسكن بيوت الإنس"

نعم . . فهذا أمر جائز. . كيف؟ إذا كان أهل البيت لا يقرءون القرآن ولايذكرون الله. . لأن البيت الذى لا يُقرأ فيه القرآن بيت خرب. . وقد نبّهنا رسول الله ﷺ إلى أن أى إنسان أراد أن يدخل الخلاء (دورات المياه) والمطابخ، فعليه أن يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث» [رواه البخارى].

وإذا قال الإنسان ذلك أمِنَ من كيد الشيطان الذى يسكن بيته. . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: « إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ها هنا. . وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال أدركتم المبيت. . وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء» [رواه أحمد].

ويقول الرسول ﷺ فى حديث آخر: « أغلقوا أبوابكم وخمرِّوا آنيتكم وأوكوا أسقيتكم وأطفئوا سرجكم فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقاً ولا يكشف غطاءً ولا يحلُّ وكاء وإن الفويسقة تضرم البيت على أهله»[رواه أحمد]. . . والفويسقة يعنى الفأرة والشيطان يشارك الإنسان أكله وشربه كما قال ربنا له وهو يطرده من الملأ الأعلى﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾. . لهذا نجد الشيطان يشارك الإنسان العاصى الجاحد الذى لا يذكر اسم الله يشاركه فى كل شىء فى بيته حتى إذا أراد أن ينام مع أهله. . فقد قال الرسولﷺ: « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنى فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان . . ولم يُسلّط عليه»[رواه البخارى]. . والشيطان وهو فى البيت دائماً يشارك الإنسان فى أى شىء وعند النوم ينام الشيطان على أنف الإنسان ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثرثلاثا فإن الشيطان يبيت على خيشومه»[رواه البخارى]. . ويحاول الشيطان دائما أن يصيب الإنسان بالخمول والكسل ويجعله فى غفلة حتى لا يذكر اسم الله ولذلك روى عن رسول اللهﷺ قوله: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد. . يضرب على كل عقدة مكانها. . عليك ليل طويل فارقد . . فإن استيقظ فذكر الله انحلّت عقدة فإن توضأ انحلّت عقدة فإن صلّى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلاّ أصبح خبيث النفس كسلان»[رواه البخارى] . . وقد ذُكر عند رسول الله ﷺ: « رجل نام ليلة ثم أصبح قال ذلك رجل بال الشيطان فى أذنيه»[رواه البخارى] . . فالشيطان إذاً يسكن البيت الذى لا يُذكر فيه اسم الله.

(حكى ابن عقيل فى الفنون قال. . كان عندنـا بالظفـر. . يعنى قرية ببغداد. . دار كلما سكنها أناس أصبحوا موتى. . فجاء رجل يحفظ القرآن فأكتراها فارتقبنا فأصبح سالما فتعجبت الجيران وسألوه. . كيف وأنت تعلم أن كل من سكنها مات. . فَلِمَ سَلِمت أنت؟ قال. . لما بتُّ بها وصَلَّيْتُ العشاء وقرأت شيئاً من القرآن. . إذا بشابٍ يصعد من البئر فسلّم علىّ . . فخفت منه. . فقال لا بأس عليك ولا تخف. . علّمنى شيئاً من القرآن. . فذهب خوفى. . ثم قلت له

هذه الدار كيف حديثها؟ قال نحن جن مسلمون نقرأ القرآن ونصلى وهذه الدار لايؤجرها إلاّ الفُسّاق فيجتمعون على الخمر والنساء واللعب واللهو . . فإذا رأونا خافونا فماتوا . . فقلت له وأنا أخاف منك فى الليل . . فليتك تأتينى بالنهار . . وكان يصعد من البئر فى النهار وألفته[1] . . هذا جانب نحن نؤمن به لأنه صحّ فيه أحاديث . . لكن هناك جانب باطل فإن كثيرا من الناس خاصة الفُسَّاق والمجرمين قد يأوون إلى أماكن متطرفة ويتخذون منها أماكن لنومهم وممارسة نشاطهم ثم يشيعون بأن المكان الفلانى مهجور وتسكنه الشياطين والعفاريت فيهرب الناس منه ويخافون الاقتراب من المنطقة حتى يخلو للمجرمين كذلك بعض البيوت المهجورة قد يأوى إليها اللصوص وقطّاع الطرق بعد أن يشيع اللصوص بأن القصر ملئ بالعفاريت، وكل هذه إشاعات الغرض منها خوف الناس من المكان والابتعاد عن شرائه إن كان يُباع وقد ذكر (الشيخ يس أحمد عيد) أن رجلاً توفى فى بلدة وترك بيتاً جميلاً كثير الغرف مُتسع الأرجاء . . مُزَيَّناً بالنقوش والزخرفة البديعة اللطيفة المنظر . . وفى صحن الدار فسقية من المرمر لطيفة الصنع وعلى دائرها جملة تماثيل مختلفة الأشكال والألوان والمياه تتدفق من أفواهها . . المهم أن هذا البيت منفرد عن جميع البيوت فى كل شىء . . ولم يكن للرجل الذى بناه وارث من صلبه . . ونظراً لكثرة الورثة من أقاربه اتفقوا على بيعه، وكان أملهم عظيماً فى المبلغ الذى سيدفع فيه . . لكن أشيع أنه مسكون بالجن . . وبداخله عفاريت . . وصارت هذه الإشاعة حديث القوم وموضوع كلام الناس فى سمرهم وسهرهم . . ومن لا يُصدق يذهب بالليل ليقف بالقرب من القصر فيسمع بعض الأصوات والحركات وإذا به فى الصباح يُعلن صدق ما قيل . . وأنه شاهد وسمع . . ابتعد الناس عن شراء هذا القصر وخاف الورثة سوء العاقبة وضياع ثمن القصر عليهم . . هنا تقدم رجل وأعلن استعداده لشراء البيت بشرط أنه سوف يدفع ربع ثمن المبلغ المحدد لبيعه . . وافق الورثة على ذلك . . وقبل أن يتسلموا الثمن تقدم إليهم شاب شجاع شهم عنده مروءة . . وكان قد سمع بخبر القصر وقال للورثة أنا كفيل بطرد الجن

---

(١) الآكام والمرجان فى غرائب الجان لبدر الدين الشبلى، ص٩٩ بتصرف .

والعفاريت من القصر . . وحدد لهم أتعابه بمبلغ بسيط . . وعندما حلّ المساء أخذ الشاب معه مسدساً وذهب إلى القصر وأضاء شمعة . . وبعد قليل نام على فراش فى القصر واطفأ الشمعة . . وبعد لحظات أحسّ بأن يداً تسحب اللحاف عنه فأمسك بهذه اليد بكل قوة وقال مَنْ أنت؟ قال أنا عفريت ولازم أخد اللحاف وإلاّ لبست جسمك . . فترك الشاب اللحاف . . وعندما حمله العفريت (تشكك فيه) وتعثرت قدماه فوقع العفريت على قفاه أسرع الشاب وأشعل الشمعة وجثم على صدر العفريت وأخرج مسدسه، وإذا بالعفريت يخاف خوفاً شديداً . . وقال اتركنى يا سيدى وسوف أقص عليك حكايتى . . ثم قال . . ما أنا بعفريت ولا جان فأنا إنس مثلك لكننى اختلف عنك أننى عبد أسود اللون (وكان العفريت عند مجيئه إلى الشاب كان عارياً تماماً . . فلما رفع الشاب عنه اللحاف قال اذهب فالبس ملابسك) قال الشاب أخبرنى أيها العبد ما سبب وجودك فى هذا المكان؟ قال العبد . . الضرورة هى التى أحوجتنى فأنا رجل فقير الحال عديم الكسب وعندى أسرة كبيرة لا يعولها أحد سواى . . فقصدت رجلاً لكى يُدبر لى شغلاً أعيش منه وأكفل أولادى فطلب منى أن أحضر كل ليلة لهذا البيت (بعد أن يحلّ الظلام) وأوصانى إذا شعرت بدنو أحد من هذا المنزل . . أصفِّق على يدى وأضرب على صفيحة أعددتها لهذه الغاية . . وإذا رأيت الرجل جسوراً ولم يعبأ بذلك أطلقت الماء دفعة واحدة فتخرج من أفواه التماثيل وارتقى فوق الفسقية . . وأنا عارٍ تماماً وأصرخ بأصوات مختلفة . . أقلِّد الحيوانات وأغيِّر فى صوتى . . وشدّد علىّ ألاّ أبوح بهذا السِّر حتى لزوجتى . . سمع الشاب هذا الكلام . . اصطحب العبد معه وسلّمه للورثة . . وبعد أن قص العبد حكايته أمام الورثة . . تبيّن أن الرجل الذى استأجر هذا العبد هو المتقدم لشراء البيت بثمن بخس»[1] . . من هنا يتضح لنا أن الشياطين والعفاريت تتلمذ على يد الإنسان لأن الشياطين أضعف من الضعف وتخاف من الإنسان.

---

(١) العرافون والدجالون، يس أحمد عيد.

«وكيف نطرد الجن من البيت»

قلنا بأن الجن أمام الإنسان المؤمن الواثق بربه أضعف وأحقر لذلك فإن أردت أن تطرد الجن من بيتك فعليك باتباع الآتى:

١ - أن تقرأ فى البيت قرآنا فإن البيت الذى لا يُقرأ فيه قرآن بيت خرب تسكنه الشياطين وتعشش فى أرجائه العفاريت.

٢ - إذا دخلت إلى بيتك فقل «بسم الله الرحمن الرحيم.. السلام عليكم يا أهل البيت» فإن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام.. فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»..

٣ - إذا استشعرت بشىء فى البيت فقل: « أناشدكم بالعهد الذى أخذه عليكم سليمان أن تخرجوا وترحلوا من بيتنا.. أناشدكم بالله أن تخرجوا ولا تؤذوا أحدا.. تكرر ذلك ثلاثة أيام».

٤ - أن تكثر من صلاة النوافل فى بيتك وأن تأمر أولادك الذكور من الإكثار من صلاة النوافل فى البيت أما الزوجة والبنات فيقمن بصلاة الفرائض والنوافل فى البيت لأن الشيطان دائماً يلعب بضعاف الإيمان كما قال ربنا: ﴿ **كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ** ﴾ [**الأنعام**: ٧١].. ويقول سبحانه عن الشيطان: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴿٩٩﴾ **إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [**النحل**: ٩٩، ١٠٠].. وأحذر أن تذكر كلاماً عن أنَّ فى بيتك عفاريت فيلعب بك أصحاب الهوى وأهل الخرافات ويقولون لك.. روح للشيخ فلان يكتب لك حجاباً وهذا كفيل بطرد الجان.. أو يقولون لك هات الشيخة فلانة تعمل لك حفلة زار.. وتروح للشيخ فلان فيتفق معك على مبلغ ضخم تعجز إمكانياتك عنه.. فيقول لك أصل الأسياد طالبين.. هدهد يتيم الأب.. وفرخة مطلقة من زوجها.. وأحياناً يقول لك نريد عجل جاموس يتيم الأب.. وهكذا يسير الدجال فى فرض طلباته.. والإنسان الخائف واقع تحت التأثير، وما عليه إلاّ

أن يُنفِّذ وهنا يذهب الإنسان الذى وقع تحت التأثير.. إما أن يقترض بفوائد باهظة.. أو يسرق.. أو يعرض زوجته وبناته لطلاب المتعة الحرام نظير المبالغ المطلوبة للأسياد.. كل ذلك خرافة.. والسبب البعد عن الدين هو الذى سبَّب عند الإنسان هذا الخبل والاضطراب، وصدق الله العظيم وهو يقول لنا عن مثل هذا الإنسان ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج : ٣١] .. إن الحق سبحانه وتعالى جعل رزق الهبل على المجانين.. ومن هنا قيل:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ۞ ولا دنيا لمن لم يحى دينا
ومن رضى الحياة بغير دين ۞ فقد جعل الفناء لها قرينا

إن الذين فرقوا دينهم ولم يلتزموا بقيم السماء ولم يهتدوا بهدى الأنبياء وعاشوا على الخرافات والأوهام هؤلاء خسروا الدنيا والآخرة لأن الشيطان سلطانه على أصحاب القلوب الخاوية من الإيمان.. شخصياتهم مهزوزة.. أما أصحاب العقيدة القوية فالشيطان يهرب منهم وصدق الله العظيم ﴿ومَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١] ، ويقول سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] .. لهذا نقول لكل إنسان «لا تخف من أى شيطان أو مارد أو عفريت أو غول أو جنِّى.. لأن معك ربك يحميك من شر هؤلاء ومن كيدهم واعلم أن من ذهب إلى كاهن أو عرّاف فصدّقه بما قال فقد كفر بما أُنزل على محمد كما صحّ الحديث فى ذلك عن سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال «مَنْ أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدّقه لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً» [رواه مسلم]، وصدق الله العظيم﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن : ٦] .

وأُذكر أن امرأة يظهر عليها أثر النعمة جاءتنى فى يوم من الأيام تطلب منى أن أدلَّها على صياد أسماك ليأتى لها (بقرموط من السمك) هجرته زوجته منذ شهر..

فقلت لها هذا طلب غريب.. وما دخلى أنا.. فبكت بحرقة وقالت أنا أحْضُر عندك فى درس النساء بمسجد أحمد بن طالون (وكنت إماما بهذا المسجد يومها) وأنا بروح لراجل بيعمل لى أحجبة علشان زوجى يحبنى ولا يتزوج علىّ.. وقد عمل لى أكثر من أربعين حجاباً.. وبعد ذلك طلقنى زوجى.. فقلت لها.. مفيش حجاب واحد صح؟.. قالت لا.. قلت ألم تسمعينى وأنا أتحدث عن مثل هؤلاء ومثل تلك الخرافات.. قالت.. كان بيجلس معنا نساء بعدما ينتهى درسك.. تقول الواحدة منهن.. ده كلام.. دا الشيخ العتلاوى سرِّه باتع جداً وعمل حجاب لفلانة رجَّعها لزوجها، وحجاب لفلانة تزوجت بناتها.. وحجاب لفلان التاجر كتر رزقه وأصبح من أصحاب الملايين.. فقلت لها.. هاتى من هذه السيدة عناوين هؤلاء واستدعيت واحدة متعلمة وتعمل اخصائية اجتماعية واتفقت معها على أن نقوم ببحث اجتماعى لأصحاب هذه العناوين.. وأخذت المرأة معنا التى كانت تطلب مساعدتها فى شراء (قرموط السمك الذى هجرته زوجته) وبدأنا نتنقل على أصحاب البيوت التى أحضرتها السيدة وكان ذلك فى حى السيدة زينب آواخر عام ١٩٦٠.. وفوجئنا بالعجب.. جميع النساء اللواتى كُنَّ يذهبن لعمل الأحجبة طُلِّقْن.. وكل واحدة تندب حظها.. وتلعن من كانت السبب فى تعريفها بالشيخ العتلاوى.. ومَنْ كانت تكتب أحجبة لزواج بناتها فقد اعتدى الشيخ على فتاة من بناتها لأنه كما يزعم لكى تكون الكتابة مؤثرة وناجحة فيتخذ من فرجها دواة ويكون الحبر ماء رجل صُبَّ فى رحمها.. وكانت الطامة الكبرى أن الفتاة حملت فقتلها الأب.. ودخل السجن وطلّق زوجته قبل دخول السجن.. وأما الشيخ العتلاوى فقد جمع أمتعته ورحل.. وأما التاجر فوجدناه يجلس فى محلِّه عليه طن من الذباب وانتشر العنكبوت فى المحل.. وهكذا بدأت المرأة التى تطلب قرموط السمك تضرب كفّاً على كف وصاحت بأعلى صوتها ضعتُ وافتقرت وأفلست أنا الأخرى بسبب مشيى بجهل وراء الخرافات وسوف أحَكى قصتى.. أخذ منى الشيخ العتلاوى ثلاثة آلاف جنيه على مراحل ليعطيهم للجن ليجمع لى خمسين نملة عشرة منهن يتيمة الأب.. وعشرة يتيمة الأم..

وعشرة إناث. . وعشرة ذكور. . وعشرة مطلقات. . وبغَبَآئى وجهلى قلت له هذا المبلغ للجن، وما أتعابك؟ قال. . تعبى. . إنك تريِّحى قلبى وتطفى النار المشعللة فى جسدى. . وتسلِّمينى نفسك علشان أهدأ وأعرف أفكر وأنجح فى مهمتى، وها أنذا اليوم . . أبكى على شرفى. . وأبكى على مالى وثروتى. . وأبكى على زوجى وأولادى . . فإن المحكمة حكمت بضمِّهم إلى أبيهم لأننى غير أمينة على تربيتهم . . وكان الموت النفسى والكآبة والتمزق وشتات الأسرة بسبب الجرى وراء الخرافات. . فهل نتعظ؟؟ وهل من مُدّكر؟

ولقد تقدمت بالبحث الذى كان فيه الاستطلاع إلى مؤتمر عقد فى رحاب جامعة الأزهر تحت عنوان (الخرافات وأثرها فى إهدار القيم) وكان ذلك فى أوائل عام ١٩٦٣. . وصدق الله العظيم: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾

[**الأنعام**:١٢٨]

إن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليسلكوا هذه المسالك المنْحطَّة ليكون الضلال ونشر الفساد وهدم القيم الأخلاقية. .

فعلينا أن نتجه إلى الله بصفاء القلب ونور العلم والبعد عن الجهل والخرافات لأن رسول الله ﷺ يقول لرجل سأله: « قال: يا رسول الله مَنْ خير الناس؟ قال كل مؤمن مخموم القلب. . قالوا وما مخموم القلب؟ قال . . هو التقى النقى الذى لاغش فيه ولابغى ولا غدر ولا غل ولا حسد»[رواه ابن ماجة] .

يقول ابن القيم . . لما عَلِمَ عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه أجْلَب عليه بالوساوس وأقبل بوجوه الشهوات وزيَّن له من الأحوال والأعمال ما يصدُّه عن الطريق وأمدّه من أسباب الغى بما يقطعه عن أسباب التوفيق. . ونصب له من المصايد والحبائل فإنْ سَلِمَ من الوقوع فيها لم يَسْلَم من أن يحصل له بها التعويق فلا نجاة من مصايده ومكايده إلاّ بدوام الاستعانة بالله تعالى والتعرض

لأسباب مرضاته والتْجاء القلب إليه وإقباله عليه فى حركاته وسكناته والتحقق بذل العبودية الذى هو أول ما يتلبّس به الإنسان ليحصل على الدخول فى ضمان ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [**الإسراء** : ٦٥] . . فهذه الإضافة هى القاطعة بين العبد وبين الشياطين وحصولها بسبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين فإذا أُشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين وشمله استثناء ﴿ **إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [**الحجر** :٤٠]

إن الشيطان لا يستطيع أبداً أن يلعب بالإنسان المؤمن الذى يعتمد على الله ويأخذ فى الأسباب ويعيش مع الناس بنقاء قلب وكلُّه إخلاص من هنا يحفظه الله من الشيطان ووسوسته. . وعلى هذا الأساس فإن على الإنسان أن يُطهر قلبه لأنه محل تَنزُّل رحمات الله عز وجل والقلب فى الإنسان إذا صلح صلح الجسد كله لأن القلب هو المسئول عن الجسد كله لذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «ألاَ وإن فى الجسد مضغة إذا صلُحت صَلُح الجسد كله»[رواه البخارى].

لهذا كان القلب بالنسبة للأعضاء كالملك المتصرف فى الجنود . . والإنسان إذا ارتكب المعاصى ولعب به الشيطان فإن قلبه يَسْوَدُّ . . وإذا اسود القلب لا يقبل نصح الناصحين ولا يستجيب لنداء رب العالمين. . ويصير الإنسان عندئذ من إخوان الشياطين ولذا يقول رسول الله ﷺ: « تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نُكتت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين. . على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماء والأرض. . والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً إلاّ ما أُشْرِب من هواه» [رواه مسلم]. . والفتن التى تُعرض على القلوب وتُسبب مرضها هى فتن الشهوات وفتن الشبهات. . فتن الغى والضلال فتن المعاصى والبدع فتن الظلم والجهل. . ففتن الشهوات توجب فساد القصد والإرادة والثانية تُوجب فساد العلم والاعتقاد. . لذلك فإن الفتن تُعرض على القلب لأن القلب هو مناط التكليف ولهذا كان اليهود يُرددون: (قلوبنا غلف) أى أن قلوبهم لا تعى الخير ولا تهتدى إلى الرشاد لأنها مُغلَّفة بالمعاصى وحب المال. . وقال الله

تعالى لرسوله ومصطفاه ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء:٤٥-٤٦] فأكنة القلوب تؤدى إلى . . أن الإنسان لا يسمع نداء الخير . . وأنه لا يُبصر طرق الخير ولا يعرف رجال الإصلاح ودعاة الهدى والفلاح . . فالمؤمن مطالب إذاً . . أن يراقب قلبه ويتعرف على أحواله ويزج بنفسه إلى أن يستمع المواعظ ويستجيب لداعى الخير ومن هنا فإن الشيطان لا يستطيع أن يدخل على المؤمن صاحب القلب اليقظ والضمير الحى والنفس اللوامة لأن الشياطين دائماً تفترس مرضى القلوب وضعاف الإيمان لأن القلب فارغاً والشيطان يُزيِّنُ لأصحاب هذه القلوب المعاصى فيستجيبون له وينقادون ويمدُّه الشيطان بكل وسائل الحيل التى تُسهِّل له ارتكاب المعاصى وتزيِّنُها فى عينيه.

"نظام مجتمعهم"

الجن عالم غير مرئى للبشر حسب أصل خلقته فهم من عالم الأثير لذلك فلهم قدرة على التشكل بأى شكل كما يشاءون . . والإنسان خُلق من الأرض . . وبمجرد حلول الروح فيه تحول جسمه لحماً ودماً وعظماً . . كذلك الجان خُلق من النار وبحلول الروح فيه تحول إلى كائن حى لا أثر للنار فيه إلاّ أنه جسم شفاف لا تحجبه المادة . . فهو يستطيع أن يطير فى الهواء وأن يجلس على الماء وأن يعيش على الأرض مع البشر والسكان من الجن لا يراهم إنسان ولا يُبصرهم بشر . . لكن هم كالبشر تماماً فى تكوين المجتمع . . فالبشر منهم الصالح . . ومنهم غير الصالح . . كذلك الجن وقد عبَّروا هم عن ذلك بقولهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن:١١] . . ويقول فى آية أخرى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٤، ١٥]. . والقاسطون هم الجائرون فى الأحكام الظالمون لغيرهم العادلون عن طريق الحق الكافرون بالله . . فمجتمع الجن إذاً يتشكل من قبائل . . وعشائر وعائلات ومعلوم أن الجان الذى هو أبو الجن خُلق من نار . . من لهبها

الصافى . . وتطور فى أصل خلقته كما تطور الإنسان تماماً . . ولما كان الجن يعيش فى الأرض معنا . . ويُشكل أفراداً تتكون منهم أُسر . . ولكل أسرة رئيس . . فهناك قبيلة . .

١ - إبليس . . وهو العاتى الظالم لنفسه الذى تكبّر وقد طرده الله من رحمته.

٢ - الشيطان . . وهو طاغ متكبر فاسق منحط وهو من أولاد إبليس لذلك فهو العدو اللدود للإنسان، وقد قال الله فى شأنه: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قِرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] ، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [النور:٢١] . .

٣ - العفريت . . وهو ذو دهاء ومكر وخبث أعطاه الله شدة وقوة ولذلك قال الله عنه: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل:٣٩] . .

٤ - المارد . . وهو الذى تمرد على كل شىء فى مجتمع قومه . .

هذه رؤس قبائل يتفرع عنها الكثير والكثير . . وعلى العموم فإن الجن أكثر من البشر وعندهم علم بكل فن من علوم الحياة إلاّ أنهم لا يفهمون لأن الشر غلب على طبيعتهم وتأصّل فيهم وهم قد سخّروا حواسهم وعلومهم للتخطيط فى الشر والإيقاع ببنى البشر . . ولهذا قال الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩] . . وإذا كان الجن يتكون من هذه القبائل وغيرها فلابد لهذا المجتمع من رئيس . . ورئيس هؤلاء هو إبليس وله عرش يُدير من عليه مملكته الإبليسية . . وعرش إبليس على وجه البحر وقد جلس عليه يُحيط به أنصاره وأعوانه وقادة مملكته وهكذا يكلفهم بالمهام ويخطط لهم ثم يُطيرِّهم إلى كل مكان فى العالم ومن هنا وضّح الرسول ﷺ

ذلك فى قوله: « عرش إبليس فى البحر يبعث سراياه كل يوم يفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس»[رواه أحمد]. .

والشيطان يعتبر فى منزلة نائب الرئيس الأعلى. . والتلميذ النجيب فى مدرسة الشر والإغواء لذلك ورد عن رسول الله ﷺ: « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون. . ولكن فى التحريش بينهم» [رواه أحمد].

وفى حديث آخر: «إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فى الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة يجىء أحدهم فيقول ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئاً ويجئ أحدهم فيقول ما تركته حتى فرّقت بينه وبين أهله قال فيقرِّبه ويُدنيه ويقول نعم أنت»[رواه مسلم] . . أى . . نعم أنت الذى تستحق الإكرام لأنك فرَّقت بين الرجل وأهله أو بين الصاحب وصاحبه أو بذرت بذور الخلاف والشقاق بين الأهل والأصدقاء. . كان من بين الصحابة رجل يُقال له (ابن صائد) وكان عنده مكاشفة فسأله رسول الله ﷺ: « ما ترى؟» . . قال: أرى عرشا على الماء. . أو على البحر حوله الحيّات. . فقال رسول الله ﷺ «ذاك عرش إبليس»[1] . . من هذا يتبيّن أن الجن يكوِّن نظام مجتمعه تماماً كنظام مجتمعنا نحن. .

«هل الجن مُكلفٌ كالإنس»

نعم. . الجن مكلفون تماماً كالإنس بالتكاليف الشرعية، ولهذا يقول الحق سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ** ﴾ [**الذاريات**:٥٦، ٥٧] . . ولما كان الجن له مجتمعه الذى يُحدِّده ويتحرك فيه ثم هو يشارك الإنسان فى كل شىء فهم مع ذلك مُكلفون بالتكاليف الشرعية لأن لهم كيانهم فمنهم الصالح ومنهم الطالح، وفيهم المؤمن وفيهم

---

(١) مسند أبى سعيد. .

الكافر . . ومنهم اليهودى أو النصرانى . . إلى غير ذلك من الأديان التى عُرفت . . ومنهم الذين ليس لهم دين يبغضون الحق ويفعلون الفحشاء ومن رحمة الله سبحانه أن الأنبياء الذين يُبعثون من الإنس تبلغ دعوتهم إلى الجن خاصة أن سيدنا محمداً ﷺ استمع إليه الجن وفهموا الرسالة التى جاء بها وذهبوا إلى قومهم مسرعين ليخبروهم بأن نبيًّاً بُعث بعد موسى يدعو إلى الحق ويهدى إلى الطريق المستقيم . . وقد وضّح القرآن هذا الموقف فى قول الحق سبحانه : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [**الأحقاف**:٢٩ - ٣٢] . . فرسل الله تعالى كما أنهم إلى البشر هم كذلك إلى الجان، ولهذا قال الحق سبحانه وهو يُقيم الحجة على الناس يوم القيامة: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ** ﴾ [**الأنعام**:١٣٠] . . فالحق سبحانه وتعالى سوّى بين الإنس والجن فى المسئولية لأنه سبحانه أرسل الرسل وأمرهم بتبليغ ما نزل عليهم فمن اهتدى لنفسه ومن ضلّ فإنما يضل عليها والحق سبحانه لا يعذب أحداً إلاّ إذا أقام عليه الحجة من نفسه وأنه بلغته الدعوة لقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [**الإسراء**:١٥] . . وهذا هو العدل المطلق فرغم أن إبليس عصى وتمرد إلاّ أن الحق سبحانه من رحمته وعدله أسمع إبليس وأعوانه دعوة الحق لعل بعضهم يهتدى . .

"صوت العقل"

الخير قد يأتى من الشر. . وهذا ما حدث بالفعل فإبليس شر وأتباعه شر كالشيطان والعفريت والمارد وغير ذلك. . لكن من الشر أحياناً يظهر بارقة أمل فى خير. . لذلك فإن الجن ظهر منهم من أسلم وقالوا كما حكى القرآن عنهم: ﴿ **وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا** ﴾ [**الجن**:١٣] . . وهذا هو صوت العقل. . لأن الجن مركب فيه عقل. . إلاّ أنه لا يستعمله ولايسمع لنداء العقل ولا يستجيب. . لكن ظهر من أولاد الجن من استمع لعقله واستجاب لتوجيهات الله وآمن برسل الله. . وعقلاء الجن اعتبروا إبليس سفيهاً مختل العقل منحط القدر لأنه تتطاول على ربه ونسى نفسه. . ونسى أن الله قادر عليه. . وجاء هذا التعبير صراحة فى قول الجن المؤمن وهو يصف إبليس وأعوانه: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** ﴾ [**الجن**: ٤] . . ومؤمنوا الجن تعجبوا من سفهاء الجن وسفهاء الإنس الذين ضلّ سعيُهم فى الحياة الدنيا وخرجوا على مقتضى الواجب وابتعدوا عن الحق لذلك قال مؤمنوا الجن: ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾ [**الجن**: ٥] . . والإنسان يعجب وهو يرى الجن يتحدث بهذا الأسلوب عن زملائه لكن الحق سبحانه وهو يوضح لنا ذلك يُبيّن لنا أن الجن منهم طُلاَّب حق يبحثون عنه فإن صادفوه اقتنعوا به آمنوا وانقادوا لتعليماته، ولذلك فهم مكلفون كالإنس تماماً يباشرون العبادات التى أمر الله بها. .

"الموت"

الجن يتناسل بعد أن يتزوج حفظاً لنوعه ويتكاثر نسله. . ولهم آجال كآجال بنى آدم يبلغونها ثم يموتون ثم يحشرون للحساب أمام الله ثم ينالون جزاءهم. . الصالح له مكانته. . والمفسد له مكانته. . لأنه من المعلوم أن كل مُركّب يكون مآله التحلل مهما طالت عليه الأيام. . والجن جسم حى مُركّب من مادة النار وفيها الروح. . ومن المؤكد أن كل مخلوق يحتاج إلى خالق. . وما دامت كذلك فلها أول. . وبالتالى فلابد أن يكون لها آخر وأولها الوجود، وآخرها الفناء. . وإلى هذا يُشير الحق سبحانه: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾

[**القصص**: ٨٨] . . ولفظ كُل للعموم وشىء لاستغراق جميع الأشياء فجميع ما على وجه الأرض وما فى بطنها وما فى الهواء والماء والسماء وكل كائن حى أو غير حى هالك إلاّ الله عز وجل فهو الباقى وحده ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [**الرحمن**:٢٦ ، ٢٧]، ومن المعلوم لدينا أن إبليس لما طرده الله من رحمته وصار ملعوناً طلب من الله العلى القدير أن ينظره ويؤخره إلى يوم البعث حسبما جاء فى قوله لله: ﴿ **قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [**الأعراف**: ١٤]. . وإبليس فى سؤاله هذا كان يتحايل على أن يفلت من الموت. . لأن الموت مذاقه مُر. . ولما كان الموت كأساً سيشربه كل حى ردّ الله على إبليس بأنه لابد أن يذوق الموت وأن يشرب من الكأس لذلك ردّ الحق سبحانه بقوله: ﴿ **قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ** ﴾ [ص:٨٠، ٨١] . . ويوم الوقت المعلوم لا يعلم به أحد إلاّ الله فهو سبحانه الذى يعلم الغيب وما تدرى نفس بأى أرض تموت. . إذاً إبليس والشيطان والجن والمارد كل هؤلاء وكل مخلوق سيموت، وهذا أمر لا يهرب منه أحد مهما كان. . ولهذا فإن الحق سبحانه وتعالى تحدّى الإنس والجن الذين عصوا أمر الله وخرجوا على هديه وعصوا رسله فنادى عليهم الحق سبحانه وقال لهم إن استطاع أحد منكم أن يهرب من الموت فليهرب . . ولكن. . إلى أين يذهب؟ فالأرض والسماوات ملك لله لذلك قال الحق سبحانه: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ**﴾ [**الرحمن**: ٣٣] . . فأقطار السماوات والأرض للجن والإنس مقر. . والأرض بما عليها والسماوات بما فيها فى ملْك الله وقبضته وتحت أمره ومشيئته فأين يجد الإنس أو الجن الملجأ الذى يلجأون إليه فإن استطاع أحد من جميع المخلوقات أن يفر وينفذ من أقطار السموات والأرض فليفعل ولو فعل فإلى أين يذهب؟؟!!

"الحساب"

لو أن الموت هو نهاية كل حى لفرح العاصون وهلّل أهل الفسق والعصيان لكن الحقيقة التى أزعجت كل متمرد على الحق أن الإنس والجن إذا ماتوا بُعثوا

ليحاسب كل مخلوق من الإنس والجن على ما قدمت يداه. . فالجن إذاً يموتون. . لكن أعمارهم طويلة جداً عن الإنسان لكنهم سيذوقون الموت ويتجرعون غُصَّته وأنهم سوف يقومون من قبورهم كما يقوم الناس وسوف يُحاسبون حساباً كالبشر تماماً وتُوزن أعمالهم وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ [الأنعام:١٢٨] . . وفى قوله سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم:٦٨، ٦٩] .

وبهذه الأدلّة القاطعة يتبيّن أن الجن بكل أنواعه وأشكاله سيموت وبعد الموت لا بد من البعث للحساب والمساءلة.

"وبعد الحساب"

وبعد البعث والحساب أهل الجنة يدخلون الجنة. . وأهل النار يدخلون النار فأهل الجنة من الجن يتمتعون كما يتمتع الإنسان تماماً والحق سبحانه وتعالى يُصوّر لنا أهل الجنة وهم يتمتعون ويأكلون ويشربون منهم الإنسى والجنى لقول الحق سبحانه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] . . ويقول فى آية أخرى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن:٦٠] . . والحق سبحانه وتعالى عادل لايظلم أحد وهو القائل: ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن:١٦] . . ومن المعلوم أن الجنة لمن وحَّد الله وأطاعه حسبما قال الحق سبحانه: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٣] . . والجن منهم من قال بعد أن استمع للقرآن الكريم من فم النبى العظيم حسبما قال الله على لسانهم : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ [الجن:١-٣] . . وجدُّ ربنا أى سلطانه وعظمته وغناه عن خلقه ووحدانيته. . وهذا قول الجن المؤمن

والحق سبحانه قادر على إعادة خلقهم وتشكيلهم من جديد بصورة حسنة وهيئة جميلة حتى لا يخاف أهل الجنة من منظرهم . .

أما أهل النار فهم القاسطون . . والقاسط هو الظالم الفاجر الفاسق الذى تكبّر على الله وخرج عن طاعته وتمرد على الحق ولم يسمع لنداء العقل ولم يستجب لدعوة الرسل فهذا ومن على شاكلته من الإنس مصيرهم إلى جهنم وبئس المصير لقول الله تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٩٠ - ١٠٢] ، ويقول الحق سبحانه :﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٨] . . والحق سبحانه وتعالى يُبيِّن لنا أن الشيطان عندما يدخل إلى جهنم ومعه اتباعه يقف خطيباً فيهم ويقول لهم كما قال القرآن ، ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٢٢] إلى غير ذلك كثير من الآيات القرآنية التى تدل دلالة قاطعة على أن مؤمن الجن يدخل الجنة . . وأن العاصى والمتمرد والمجرم يدخل النار ويُعذّب فيها عذاباً أليماً لأنه عتى عن أمر الله وعصى واتبعه على أمره من على شاكلته . . لذلك كل عاصٍ متمرد سيكون حطباً لنار جهنم . . لكن هنا يردُ سؤالاً .

إذا كان الجن قد خلق من نار فكيف يُعذّب بها؟ إن الحق سبحانه وتعالى سوف يسلبه خاصيته النارية ويجعل نار جهنم تشويه وتلسعه فيتألم ويتعذب مثل ذلك كمثل الإنسان خُلق من التراب الذى اختلط به الماء فصار طيناً وينزل إلى

البحر فيستحم ولا يذوب فى الماء لأن الله أكسبه خاصية بها تماسك جسده وقويت أعصابه. . هذا شيء محسوس ملموس لنا. . كذلك الجن خلقهم الله من مارج من نار والمارج هو اللهب الصافى والجن الآن ليس ناراً وإنما يتحرك هنا وهناك ويعيش معنا ولم نشعر بلهيبه كما أنه لم يحرق بناره الحياة من حولنا لأن الحق سبحانه بقدرته وعظمته جرِّده من ناره وأودعه خاصية أخرى بها يتعايش مع بنى البشر. . كما هو الحال فى بنى آدم تماماً عندما خلقه من تراب. . ونستشهد هنا بقول أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قام يصلى صلاة الصبح وهو خلفه يقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال: « لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدى فما زلت أخنقه حتى وجدت بَردَ لعابه بين أصبعى هاتين الإبهام والتى تليها ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل» [رواه أحمد]، وفى حديث آخر أن رسول الله ﷺ قام يصلى فسمعناه يقول: « أعوذ بالله منك. . ثم قال. . ألعنك بلعنة الله ثلاثا . . وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك تبسط يدك. . فقال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات. . ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة»[رواه مسلم عن أبى الدرداء].

هذا . . ونحن نذكر أن الله سبحانه قادر على سلب خاصية الأشياء بقدرته وإرادته. . ونذكر أن أعداء سيدنا إبراهيم عليه السلام جمعوا له الحطب والحديد والأشجار وأشعلوا ناراً ملتهبة استمرت أياماً وليالى ثم قاموا برمى سيدنا إبراهيم فيها وهنا بقدرة الله سبحانه سُلبت خاصية النار وبدل أن تكون محرقة كانت عليه برداً وسلاماً كما قال الحق سبحانه: ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠] . .

وعندما رمى الناس إبراهيم فى النار وهى محرقة بطبيعتها إلاّ أنه وهو يجلس بين لهيبها كأنه يجلس فى غرفة مكيفة الهواء عنده ماء بارد وطعام ناضج وكل ما تشتهيه النفس من أين؟ . . من عند الله الذى يقول للشيء كن فيكون . . إن قدرة الله سبحانه وتعالى لا يعجزها شيء فى الأرض ولا فى السماء وأمام هذه القدرة لا نُردد كيف يعذب الله إبليس بالنار وقد خلقه منها وإنما نُسَلِّم بقدرة الله سبحانه فهو الخالق القادر الذى لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

«الجن يحاول أن يلعب بالإنسان»

من الأمور المؤكدة أن الشيطان وهو أنْبه تلميذ فى مدرسة الشر حتى تفوَّق على أستاذه إبليس كما تفوّق على العفريت . . يحقد على آدم وأولاده . . ويريد دائماً أن يضع من الخطط ما تُدمر هذا الإنسان الذى فضّله الله وكرّمه وأعلا قدره وشرّفه بالعقل وميزّه بحسن التعبير وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى سورة الإسراء كما وضّح فى مطلع سورة الرحمن . . والحق سبحانه وتعالى حفظ الإنسان من شر الشيطان وأعوانه لأنه علّم الإنسان القرآن . . وعلّمه التكبير لله الواحد والتهليل للخالق المبدع ومع حفظ الإنسان المؤمن . . فإن الله وضع نظاماً دقيقاً ومحكماً . . بهذا النظام يحول بين تدخل الشياطين فى نظام حياة المجتمع الإنسانى وبهذا النظام الدقيق يصون الله المجتمع من أن يعبث به الشيطان وذلك حسبما قال الحق سبحانه : ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ :١٢] . . إنه لولا هذا النظام المحكم من الله وتقَيَّدت به الشياطين لأفسدوا علينا حياتنا وجعلوا الدنيا مزرعة للشر وينتشر فيها الفساد ولا يكون فيها الخير ولو تم ذلك لقامت الشياطين بإهدار المال من البنوك . . وسلب مقتنيات الإنسان فى بيته . . ونقلت معلومات الوزارات والهيئات إلى العامة . . ونقلوا أسرار المخابرات والأمن ووثائق وزارة الخارجية إلى الدول المعادية فلما لم يتم أى شيء من ذلك ورأينا الحياة بأعيننا جميلة لا يُعكرها إلاّ فعل الأشرار من البشر الذين هم تلاميذ أغبياء فى مدرسة الشيطان وهؤلاء التلاميذ ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[البقرة :١٠] . .

نفوسهم خبيثة مليئة بالحقد على غيرهم فهولاء لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة.. والحق سبحانه وتعالى يحفظ الإنسانية من شرهم ومن كيدهم لأنهم كما قال الحق سبحانه: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة: ٦٤] ، والحق سبحانه وتعالى يصون المجتمعات حيث يقيم ميزان الاعتدال بين قوى الحق وقوى الشر ويكون التصارع بين الفريقين ليحق الحق ويبطل الباطل والصراع بين الخير والشر طبيعة الحياة وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] .. ومما لاشك فيه أن البشر الذين استجابوا للشيطان أصبحوا أعوانه يستمتعون بإغوائهم ومعاونتهم فى رسم خريطة الشر والإنس يستمتع بالجن كذلك أو الشياطين لأنهم يقصون عليهم حكايات لا أساس لها فى واقع الحياة لكن الخيال يلعب فيها دوراً كبيراً.. والشيطان وهو يلعب بالإنسان ويسخِّره لمآربه وتنفيذ ما يعجز عنه بحكم النظام الإلهى المحكم فإنه بذلك يخلق فى المجتمع (مدرسة المشاغبين) فى كل مجالات الحياة.. وقد حدّثنا الحق سبحانه وتعالى أنه فى يوم الحشر والحساب أمام الله سبحانه يسألهم ربهم فتكون إجابتهم كما يذكر القرآن فى قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٨، ١٢٩] .. وإن إبليس الأكبر هو عدو آدم أبا البشر وقد سلّطه الله عليه هو وذريته وتكفَّل الله عز وجل بعصمة من آمن به وصدّق برسله.. من عبث إبليس وذريته ولهذا قال الحق سبحانه لإبليس: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ [الإسراء: ٦٥] .. وقال سبحانه موضحاً لنا المؤمن الصادق من المؤمن ضعيف الإيمان فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢٠-٢١] .. والشيطان بخاصيته يمنح

بعض أتباعه بعض المكاشفات، وقد قال النبى ﷺ لابن صياد.. وكان يعيش بين الصحابة.. ما ترى؟ قال أرى عرشا على الماء.. فقال له النبى ﷺ إخسأ فلن تعدو قدرك.. فعرف النبى ﷺ أن مادة مكاشفته التى كاشفه بها شيطانية من إبليس الذى هو يشاهد عرشه على البحر.. ولهذا قال له إخسأ فلن تعدو قدرك.. أى لن تجاوز قيمتك الدَّنِّيَّة الخسيسة الحقيرة»[1].

«لكن .. هل ييأس الشيطان»

سأل رجل الحسن البصرى.. أينام إبليس؟ قال.. لو نام لوجدنا الراحة.. وروى أن أحد الصالحين تعرّض له شيطان وقال له.. لا تخاف منى .. فقد كنت أُعَلِّم الناس وأُخطط لهم .. فصرت اليوم أتعلَّمُ منهم واستفيد من تخطيطهم.. وذكر أحد الظرفاء.. أنه كان له جار بخيل جداً.. وقد اشترى بيضة وعلَّقها فى سقف الحجرة.. وقال لولده الوحيد.. عندما تريد أن تتناول الطعام أحضر الخبز وانظر إلى البيضة وكأنها لك غموس حتى تشبع .. وطالت بالولد الأيام وهو على هذه الحالة.. وفى ليلة من الليالى وأهل البيت نائمون صعد الولد إلى البيضة وأنزلها ثم جاء بالمصباح (لمبة غاز نمرة ٥) وأمسك البيضة بقلمين وجعلها أعلا الزجاجة ليتم نضجها على حرارة المصباح .. وتصادف أن قامت والدته لقضاء حاجتها ورأت هذا المنظر وقالت لولدها ماذا تفعل؟ أشيطان أنت؟ فظهر لها الشيطان وكان يجلس فى جانب الحجرة وقال لها: يا شيخة هتظلمينى ليه.. د أنا باخد دروس على إيد ابنك..

أياً كان هذا الأمر فإن الشيطان له أساليبه التى يحاول بها إفساد حياة البشر.. من ذلك ما قاله الرسول ﷺ: « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن فى التحريش بهم»[رواه أحمد] .. أى أنه يوقع العدواة بين المصلين ويشعل نار الفتنة بينهم.. ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام « إن أحدكم إذا كان فى المسجد جاء

(١) البداية والنهاية لابن كثير، جـ١، ص٧٥.

الشيطان فأيس به كما يئس الرجل بدابته فإذا سكن له زنقه أو ألْجمه»[رواه أحمد] .
ومعنى ذلك أن الشيطان يُضيّقُ على الإنسان حتى يلين له ويخضع لإرادته ولذلك يقول أبو هريرة راوى الحديث« وأنتم ترون ذلك . . أما المزنوق فتراه مائلا كذا لايذكر إلاَّ الله وأما الملْجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل» .

ومن طرق الشيطان فى إضلال الإنسان أنه يأتيه عن طريق الوسوسة . . (وهى الصوت الخفى الذى لا يُحَسُّ فيحترز منه) وهى مبدأ الإرادة . . لأن الشيطان يُلقيها فى نفس الإنسان والقلب فارغ فيوسوس إليه . . والشيطان يتعقب الإنسان ويتّبعه ويوسوس له حتى يفسده ويضمه إلى حزبه . . لذلك يدخل على الإنسان فيقول كما قال الرسول ﷺ : « يأت الشيطان أحدكم فيقول من خَلَقَ كذا من خَلَقَ كذا حتى يقول من خَلَقَ ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[رواه مسلم] . . إن الشيطان إذا وجد القلب فارغاً من ذكر الله احتلَّه وأوجد لصاحبه الخبل والاضطراب ذلكم لأن القلب يُشحن بالهوى والشهوات وعنئذ يكون الإنسان متكالباً على الحياة الدنيا . .
أما القلب الذى فيه إيمان فلا يستطيع الشيطان أن يلعب به لأن الشيطان إذا اقترب من القلب الذى فيه إيمان صحا القلب وذكر الله فيهرب الشيطان ويفر حسبما قال الحق سبحانه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠-٢٠١]
ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «إن المؤمن لينصى شيطانه كما يُنصى أحدكم بعيره فى السفر»[رواه أحمد] . . ويُنصى شيطانه أى يأخذ بناصيته فيغلبه ويقهره كما يُفعل بالبعير إذا شرد . . إن الله سبحانه وتعالى جعل للإنسان حفظة من ملائكته أقوى من الجن وأقدر عليهم . . لأن الجن بطبيعته متكبر يُخيّل إليه أنه جبار بحسب خلقته لذلك فهو يحتقر آدم وبنيه منذ أمره الله بالسجود لآدم ومن لحظتها والعدواة متأصلة بين آدم وإبليس . . ومع ذلك فإن الشيطان أخذ على نفسه عهداً أن يقعد لابن آدم بكل طريق مستقيم ليغويه . . ويُضلّه ويهلكه . . ولذلك قال الله تعالى إخباراً عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ

لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] . . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال فعصاه وأسلم. .قال. . وقعد له بطريق الهجرة فقال. . أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كالفرس فى الطول فعصاه وهاجر. . ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد العدو فى الميدان ومع ذلك جهاد النفس والمال فقال. . أتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال. . قال. . فعصاه وجاهد. . قال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم كان حقاً على الله أن يدخله الجنة وإن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة. . وإن كان غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة. . وإن وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة»[رواه أحمد] . . بهذا التوجيه الإلهى والإرشاد النبوى نثق تماماً بأن الإنسان أقوى من الجن إذا استعان بالله. . وإذا حافظ على الصلوات وإذا اعتمد على الله. .

"هل يكتفى الشيطان بهذا"

إن الشيطان كلما سُدَّ أمامه باب من أبواب الشر وحتى لا يقع ابن آدم فيه لجأ إلى حيل أخرى. . ومن حيله الخبيثة التى نبهّنا الرسول ﷺ إليها مثل قوله: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها (عليك ليل طويل فارقد) فإذا استيقظ فذكر الله انحلّت عقدة. . فإن توضأ انحلّت عقدة. . فإن صلّى انحلَّت عُقَدُه كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلاّ أصبح خبيث النفس كسلان» [رواه البخارى] . . ويقول :« إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً فإن الشيطان بات على خيشومه» [رواه البخارى ومسلم] وذكر عند رسول الله ﷺ:« رجل نام ليله ثم أصبح قال. . ذلك رجل بال الشيطان فى أذنيه. . أو قال فى أذنه» [رواه البخارى] . . فالشيطان إذاً له حيله وأساليبه ليصد الإنسان عن الصلاة ويبعده عن ذكر الله. . كما أن الشيطان يحاول أن يسخر من ابن آدم لذلك يقول الرسول ﷺ:« من أتى الغائط فليستتر فإن لم

يجد إلاّ أن يجمع كثيبا[1] فليستدبره فإن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم من فعل ذلك فقد أحسن ومن لا فلا حرج» [رواه أبو داود وابن ماجة] . . كذلك ما روى أن رسول الله ﷺقال: «التثاؤب من الشيطان . . فإذا تثاءب أحدكم فليردّه ما استطاع فإن أحدكم إذا قال (ها) ضحك الشيطان» [رواه البخارى] . . وفى حديث آخر« إذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل» [رواه أبو داود والنسائى] . . وفى حديث آخر : « إن الله يحب العُطاس ويبغض أو يكره - التثاؤب- فإذا قال أحدكم (ها ها) فإنما ذلك الشيطان يضحك من جوفه» [رواه أبو داود والترمذى] . . والشيطان يحاول دائماً أن يشغل الإنسان فى الصلاة حتى يجعل صلاته باطلة . . لأن الشيطان اطمأن على رواد مدرسته فى الخمارات وأماكن الرقص فليس أمامه من أحد يُغويه إلا روّاد المساجد . . لذلك يقول الرسول ﷺ: «لرجل سأله عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم» [رواه البخارى] . . ويحاول الشيطان كذلك أن يزعج الإنسان فى منامه فيأتيه فى أحلام مزعجة وخيالات وأوهام ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: « الرؤيا الصالحة من الله . . والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره» [رواه البخارى] . . ويحاول الشيطان أن يتدخل بين الأصدقاء وهم فى حالة فرح وسرور فيهيِّج عواطفهم ويقلب فرحهم إلى غم ومزاحهم وانبساطهم إلى قتل، ولهذا قال الرسول ﷺ: « لا يُشيرنَّ أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعلّ الشيطان أن ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار» [رواه أحمد] . . والشيطان يتربص بالإنسان من لحظة ميلاده وعندما يخرج الجنين من بطن أمه يجرى الشيطان إليه وينشط فى إدخال الحزن على الجنين من لحظة ميلاده . . فالصرخة التى يصرخها المولود بسبب نخسة الشيطان فى جنب المولود ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: « كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بأصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فَطُعِنَ فى الحجاب» [رواه البخارى]

(١) الكثيب هو كوم من التراب عالٍ.

لكل هذه الأسباب التى بيَّنها لنا رسول الله ﷺ يتخذ الإنسان الوقاية من الشيطان فهو يحاول دائماً أن يدفع بالإنسان إلى طريق الشر وأن يجعل الإنسان يبتعد عن الله ليسهل على الشيطان إغواءه وإضلاله لأن الشيطان يبذل جهده وطاقته ليُوقع الإنسان فى الخبال والضلال والخسران والضياع . . لهذا قال الحق لنا:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [**فاطر**: ٦] . . والشيطان دائماً يأمر بالفحشاء ويُزيِّنُ الجريمة أمام الإنسان . . ومن عجب أن الإنسان بعد أن يفعل الفاحشة ويرتكب المعاصى يحاول أن يخفف عن نفسه اللوم فيقول . . ماذا أفعل؟ شىء مكتوب على الجبين (واللى مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين) وهذا فهم خاطئ . . وتبرير لارتكاب المعاصى لأن هذا المنحرف الذى يُعلِّق أخطاءه وجرائمه على شماعة القدر نقول له كذبت تعال فاقرأ القرآن واستمع إلى قول الحق سبحانه: **﴿إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** [**الأعراف**:٢٨] . . وأيضاً يقول الحق سبحانه: **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾** [**الأعراف**:٣٣] . . إن الشيطان يترصد الإنسان ليغويه ويبرر له الوقوع فى هذا الخطأ ويصدّه عن فعل الطاعات فإذا أراد الإنسان أن يتصدق على فقير أو يساعد المحتاج قال له الشيطان هذا سيكون سبب فقرك واحتياجك إلى الغير . . ولهذا يقول الحق سبحانه: **﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾** [**البقرة**: ٢٦٨] . . فلنحذر الشيطان وألاعيبه ولنتحرز منه لأنه يحاول أن يُوقع العدواة بين الناس ولن يمنعنا منه ويحفظنا إلاّ الله . . لهذا قال رسول الله ﷺ: « من قال لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . . مائة مرة . . كانت له عدل عشر رقاب وكتُبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسى ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء به إلاّ رجل عملَ أكثر من ذلك»[البخارى ومسلم] . . والشيطان يهرب من المكان الذى فيه أذان لأن

الآذان أعظم سلاح يقتل الشيطان ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا نُودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط فإذا قضى أقبل فإذا ثوِّب بها أدبر فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه فيقول اذكر كذا وكذا لا يدرى أثلاثاً صلّى أم أربعة فإذا لم يدر أثلاثاً صلّى أم أربعاً سجد سجدتى السهو»[رواه البخارى].

ويحاول الشيطان دائماً أثناء صلاة الجماعة فى المساجد أن يدخل فى الخلل الذى تكون فى صفوف الجماعة ولذلك قال رسول الله ﷺ: « راصُوا الصفوف فإن الشيطان يقوم فى الخلل»[رواه أحمد] .. وبنفس الرواية يقول الرسول ﷺ: « راصّوا الصفوف وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق فوالذى نفس محمد بيده إنى لأرى الشيطان يدخل فى خلل الصفوف كأنه الحذف»... والحذف طائر صغير ومما لا شك فيه.. والشيء المؤكد تماماً أن الشيطان يفر من البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة.. وأن من قرأ آية الكرسى فى ليله لا يقربه الشيطان حتى يُصبح.. ومن اللطائف ما ذكر على لسان أحد العلماء يُوجِّه تلميذه فقال له.. ما تصنع بالشيطان إذا سَوّل لك الخطايا؟.. قال أجاهده.. قال فإن عاد؟.. قال أجاهده.. قال فإن عاد؟.. قال أجاهده .. قال العالم.. هذا شيء يطول .. قال التلميذ إذاً ماذا أصنع؟ قال العالم أرأيت إن مررت فى مكان به غنم ومع الغنم كلب عقور.. ولم تستطع أن تمر لأن الكلب ينبح بشراسة.. ماذا تصنع؟ قال التلميذ .. أحاول أن اختفى عن أعين الكلب.. وأهرب.. قال فإن لمحك وافترسك.. قال هذه مصيبة كبيرة وخطر محقق.. قال العالم.. فإن استعنت بصاحب الغنم من أول الأمر ليكف الكلب عنك ويمنعه من الهجوم عليك؟ قال هذا أفضل.. قال العالم للتلميذ إن الكلب العقور هو الشيطان.. وسوف يترصدك .. أما إن استعنت بصاحب الأمر ومالك الملك فإنه سوف يمنع الشيطان عنك.. واقرأ معى قول الله تعالى: ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الحشر:١٦] .

"الحكمة من خلق الشيطان"

ثبت أن الشيطان عدو لآدم يتربص به ويقعد له بكل طريق .. ويحاول بوسوسته وتسلطه أن يبعد الإنسان عن الله وعن الصلاة وعن فعل الخير.. فإذا كان الشيطان بهذه الصورة فلماذا خلقه الله؟..

الحق سبحانه وتعالى هو الخالق المبدع لا يُسأل عما يفعل.. وعلينا نحن كمؤمنين أن نؤمن بأن الله خلق كل شيء لحكمة قد نعلمها.. وقد لا نعلمها.. وأذكر أن ملكاً من الملوك رأى (خُنفُسة) فى بيته والخنفسة كالصرصار لكنها صغيرة الحجم.. شديدة السواد .. تنبعث منها رائحة كريهة.. فنظر إليها الملك باشمئزاز وقال.. ما هذا؟ قالوا له خنفسة.. قال .. مَنْ خلقها؟ قالوا الله.. قال الله خلق هذا؟ (هوَّ مكنش لاقى حاجة يشتغل فيها فخلق دى).. اجمعوا كل خنافس المملكة وارموا بها فى البحر.. وبعد مدة تزيد عن سنة مرض الملك وأصيب (بخراج فى رقبته) وبحثوا له عن الأطباء والدواء فحار الأطباء ولم ينفع الدواء.. وكان الملك يتألم بشدة وأخيراً أشار أحد جلسائه عليه بأن فى المملكة المجاورة حكيماً ماهراً وطبيباً معالجاً.. فأرسل فى طلبه فحضر.. وبعد الفحص والكشف جلس وقال العلاج بسيط جداً يا مليك البلاد.. قال له انقذنى .. قال الحكيم ائتونى بعشر (خنافس) حيَّة وقليل من زيت الخروع .. وزيت حبة البركة .. قال الملك شيء سهل وبسيط لكن.. ليه الخنفس؟.. قال الحكيم .. سوفْ نُحمصها على النار ثم نطحنها ونضع عليها الزيت ونقلِّبها لتكون مرهما لعلاجك أيها الملك.. فقال الملك أحضروا له ما طلب.. تقدم الوزير منه وقال.. أنت تعلم أنه ليس فى مملكتنا خنافس.. قال الملك.. اشتروها بأى ثمن.. ابذلوا كل شيء للحصول عليها.. قال الحكيم.. سبحان الله.. كيف لا يكون عندكم هذا النوع؟.. حكا الملك له ما حصل .. قال الحكيم.. يا مليك البلاد.. ألا تعلم أن الله قد خلق كل شيء لحكمة فهو سبحانه وتعالى حكيم فى خلقه .. لطيف فى تدبيره.. خلق كل شيء بنظام وتدبير.. واقرأ معى يا مليك البلاد قول الله ﴿ وَمَا

خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦ ، ١٧] . . قال الملك إذاً أنا أخطأت ابحثوا عن الخنافس فى الممالك المجاورة وانشروها فى أرجاء المملكة وأنا اخطأت فيما أقدمت عليه بسبب جهلى وعدم معرفتى للحقائق الكونية . . وعلى هذا نستطيع أن نؤمن وبصدق أن الله خلق الشيطان لحكمة وإن كانت تخفى علينا . . إلاّ أن الكثير من العلماء قد اجتهدوا وعللوا سبب خلق إبليس بما يلى :

١ – أن الله سبحانه وتعالى جعله عبرة لمن يخالف أمره . . ويتكبر على طاعته ويُصر على المعصية . . ويتعالى على صاحب الأمر والتدبير .

٢ – إبليس وهو مادة الشر جعله الله عبرة أمام الملائكة . . حيث أنزله الله من مرتبته العالية فسقط إلى المرتبة الدَّنية وأصبح رمزاً للفساد والإفساد بسبب مخالفته لأوامر الله واجترائه عليه سبحانه .

٣ – ليمتحن الله به العباد وليعرف أصحاب العقيدة القوية من أصحاب العقيدة الضعيفة لأنه لو لم يكن إبليس ما عُرف الصالح من الطالح ومن حكمة الله سبحانه ما جاء فى قوله : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

٤ – إظهار كمال قدرة الله سبحانه فى خلق المتضادات كما فى خلق جبريل . . الذى هو رمز للطاعة والوفاء والسمع والطاعة . . ومثل إبليس الذى هو رمز للكبر والتكبر . . وكما فى خلق السماء والأرض والضياء والظلام . . فالأشياء يظهر حُسنها بضدِّها . . فلولا القبح ما عُرف الجمال . .

٥ – بيان وظهور واسع حلم الله وسعة صبره وبالغ رحمته فالله سبحانه وتعالى يرزق العاصى كما يرزق الطائع« ولا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له الولد ويرزقهم» [رواه البخارى] وهذا دليل على كرم الله وحلمه وبالغ صبره .

٦ - اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق خلقاً يُظهر فيهم أحكام اسمائه وآثار صفاته فالله سبحانه وتعالى يحب العفو فخلق من يعفو عنه لأنه لولا المعاصى والمخالفات لفاتت آثار أحكام أسماء الله وصفاته . .

٧ - خلق الله آدم أول الأمر وامتحنه بإبليس ثم يمتحن ذرية آدم بذرية إبليس وفى النهاية يكون الفوز والسعادة والفلاح لمن خالف إبليس والشيطان، والشقاوة والخسران على من وافقهما .

لهذا فإن الإنسان العاقل هو الذى يُقبل على ربه بحب وإنابة وتوكل ورضا ومجاهدة النفس ومجاهدة الشيطان ومكابدته على الجهاد فى سبيل الله لرفع راية الحق وإحقاقه فى المجتمع لأنه بدون عون الله وتوفيقه وبغير اللجوء إليه والاستعانة به فلا عاصم من الشيطان ولا مدافع يدافع عنك اذاه فإن الإيمان الصحيح بالله وحُسْن التوكل عليه وإخلاص العمل له يذل الشيطان فلا يستطيع إغواء الإنسان لهذا قال الحق سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [**الزخرف** : ٣٦] . . ويقول الحق سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [**الأعراف** :٢٠١] . . فحصِّن نفسك أيها الإنسان من مكائد الشيطان واذكر ربك دائماً واسمع إلى قول الرسول ﷺ : «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان» [رواه الحاكم] . . والمسلم عليه أن يلزم الجماعة وأن يحافظ على الصلاة ففى الحديث عن رسول الله ﷺ : « من أراد منكم بحبوبة الجنة فليزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد» [رواه مسلم] . . ويقول عليه الصلاة والسلام : « ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو . . لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» [رواه الترمذى] .

إنه بدون عون الله وتوفيقه لا يستطيع الإنسان أن ينجو من كيد الشيطان وعلينا أن نأخذ بالأسباب المشروعة لنسد على إبليس مداخله ونفتح لأنفسنا طريق الخير وإلى هذا وجَّهنا الحق سبحانه فى قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨] . . إن علينا أن نؤمن بأن الله الحق العادل عرّفنا أن مهمة إبليس وأعوانه الإفساد فى الأرض وإضلال الخلق ومحاولة إيقاع الفتنة بين الناس وإيذائهم. . لهذا حذرنا منهم.

"وسائل الشيطان فى ذلك"

ما من جريمة وقعت فى الأرض أو ستقع إلا ووراءها الشيطان الملعون فهو الذى يُزيّن للظالمين ظلمهم كما أنه وراء كفر الكافرين. . أى دماء سُفكت وأى فاحشة وقعت. . وأى صلاة تُركت . . وأى جماعة تفرّقت إلاّ والشيطان وراء ذلك حتى نجد أنه حلل الحرام وأباح الخمر لأنها أم الخبائث وأغوى الناس بشربها لأنه دائماً كما قال ربنا ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر:١٦] . . فالشيطان دائماً وأبداً يخذل أولياءه واتباعه لأنه يوهم الناس بأنه ينفعهم ويضرهم لذلك فهم يلجأون إليه فيزيِّن لهم الباطل. . ويُسمِّى المعاصى باسماء حسنة محببة إليهم فهو مثلاً يُسمّى الربا. . فائدة. . ويُسمى التَبرج الفاضح لجسم المرأة بالحرية وكل واحد حر فى نفسه. . ويُسمّى الاختلاط بين الرجال والنساء بالتقدم. . والاستهتار بالتمدن. . ويُسمّون المغنية الفاسقة . . نجمة. . معبودة الجماهير. . وقد نهانا الله عن ذلك فى قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١]. . لهذا علينا أن نتعلم الحلال والحرام. . ونتعرف عن من نأخذ منه أحكام ديننا لأن الجاهل هو تلميذ الشيطان. . ولهذا يقول الرسول ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى» [رواه الترمذى]. . ولهذا بيّن لنا الحق سبحانه أسلوب الشيطان فى إرشاد أوليائه فى تغيير الأسماء ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٩] . . إن الشيطان يُزيّن لأوليائه أن يُسمُّوا الطاعات باسماء مُنفِّرة فهو يوحى إلى أوليائه أن يقولوا عن المرأة المتدينة

بأنها امرأة (رجعية).. ويُسمُّون الحجاب الشرعى الذى يستر المرأة (خيمة) والذى لا يتردد على المراقص وحانات الخمر إنسان رجعى منغلق على نفسه، وقد ورد فى القرآن ما يفيد ذلك بأن الشيطان أوحى إلى أوليائه أن يقولوا لسيدنا هود وهو العاقل الصادق فيقولون له: ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [**الأعراف**:٦٦].. وقالوا عن سيدنا نوح: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [**الأعراف**:٦٠].. وقالوا عن سيدنا لوط: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [**سبأ**:١٢] .. وهكذا إلى آخر ما نقرأه فى القرآن الكريم من تسمية الطاعات بأسماء مُنفِّرة ليُبعدوا الناس عن اتباع الحق و..لوب الشيطان التدرج مع الإنسان فى قيادته حتى يُوصِّله إلى ما يُريد..

"مداخل الشيطان لتحقيق وسائله"

١ - أول مداخل الشيطان لإضلال الإنسان (الجهل) فالجهل يطمس القلب ويعمى البصيرة فيسهل على الشيطان قيادة الجاهل الذى لا يعرف الحلال من الحرام ولا يعرف السُّنَّة من البدعة ثم يوعز إليه الشيطان بأنه عالم ولأن الجاهل لايعرف مداخل الشيطان فيُخيّل إلى نفسه أنه عالم حقيقة وهذا قمة الغرور بتلبيس إبليس.. وخدع الجهل وغرور الإنسان بنفسه ويمتنع الإنسان عن طلب العلم ويرضى بالجهل وغاب عنه قول القائل: « لأن تموت طالباً للعلم خير من أن تعيش قانعاً بالجهل» .. ويقول أبو الحسن الماوردى «ربما امتنع الإنسان عن طلب العلم لكبر سنه واستحيائه من تقصيره فى صغره أن يتعلم فى كبره فرضى بالجهل وأن يكون موسوماً به وآثره على العلم من أن يكون مبتدءاً به وهذا من خُدع الجهل وغرور الكسل لأن العلم إذا كان فضيله فرغبة ذوى الأسنان منه أولى والابتداء بالفضيلة فضيلة ولئن يكون شيخاً متعلماً أولى من أن يكون شيخاً جاهلاً»[١] ..

(١) أدب الدنيا والدين.

ويقول الشاعر:

إذا كنت لاتدرى ولم تك بالذى ۞ يُسائل من يدرى فكيف إذاً تدرى
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل ۞ فمن لى بأن تدرى بأنك لا تدرى
إذا جئت فى كل الأمور بغمة ۞ فكن هكذا أرضاً يَدُسك الذى لا يدرى
ومن أعجب الأشياء أنك لا تدرى ۞ وأنك لا تدرى بأنك لا تدرى

فمدخل الشيطان إذاً عن طريق الجهلاء وهو أخطر الأمور.. وصدق الله العظيم ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [**الكهف**:١٠٣، ١٠٤] .. فالجهلاء إذاً جند الشيطان وأعوانه ويشكلون حزباً فى المجتمع يجتمع حوله الجهلاء ويرفعون شعاراً «فليحيا الجهل وليسقط من يُعاديه».. ولهذا قال الله عنه: ﴿ **أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [**المجادلة**:١٩] .. وفى أنصار هذا الحزب قال الشاعر:

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله ۞ فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرؤ لم يحى بالعلم ميت ۞ فليس له حتى النشور نشور

ومداخل الشيطان عن طريق الجهلاء كثيرة أهمها:

٢ - حب الدنيا .. لا شك أن الشيطان يُزيّن للإنسان حب الدنيا.. فهو القائل كما يحكى القرآن الكريم: ﴿ **لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [**الحجر**:٣٩].. وإبليس يُزينها من ناحية المظهر ويدفع بالإنسان ليغرق فى الشهوات والملذات مع النساء ومع غيرهن من ناحية الشذوذ الجنسى.. فهناك من يرتكب اللواط يفعله مع غيره أو يُفعل به.. كما أن الشيطان أغوى الإنسان بحب التملك وأوهمه بأنه لن يموت وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ...** ﴾ [**آل عمران**:١٤] ..

ومن الأمور المؤكدة التى ذكرها القرآن أن الشيطان عندما وسوس لآدم فى الجنة زيّن له الدنيا ليعيش فيها مخلّداً ويكون له الملك الدائم الذى لا يفنى يُوضح لنا ذلك الحق سبحانه فى قوله: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ** ﴾ [**طه**: ١٢٠] . . وللأسف اغتر الكثير بهذه الوسوسة وأحبوا الدنيا وتكالبوا عليها وصدق الله العظيم: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [**سبأ**: ٢٠] . . والإنسان العاقل لا يذم الدنيا ولا يحتقرها لأنها مزرعة الآخرة . . وهو الذى يلتزم بأوامر الله فيُحلّ فيها الحلال ويحرم الحرام ويقيم الاعتدال فى نفسه بين حب الدنيا وحب الآخرة لأنه كما يقول الرسول ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الله واتقوا النساء»[رواه مسلم] . . ولهذا يقول الحسن البصرى: « رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدّوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا» . . ويقول أيضاً: « من نافسك فى دينك فنافسه، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره» . . فالتنافس فى الدنيا يكون فى فعل الخير كما قال الحق سبحانه: ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ [**الحديد**: ٢١] . . ولهذا يقول الرسول ﷺ: « الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» [رواه أحمد والبيهقى] . .

فالإنسان لو عرف قيمة الدنيا لعمل فيها بجد وإخلاص من طاعة الله وطاعة رسوله وحب الصالحين ومزاحمة العلماء وعمل الخير . . يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه: « الدنيا دار مذلّة عمرانها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وأرضَ برزق الله لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك فإن عيشك ظل زائل وجدار مائل أكثر من عملك واقصر من أملك» . . ويقول الشاعر:

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم ۞ وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما تلت بالأمس لذة ۞ فأفنيها هل أنت إلاّ كحالم

ويقول أحد الصالحين فى وصف الدنيا: « هى دار من صحَّ فيها سقم، ومن أمِنَ فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن . . فى حلالها الحساب، وفى حرامها العقاب ومتشابهها العذاب»، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أُعطى رضى وإن لم يعط سخط»[رواه البخارى] . . هذه هى الدنيا الصغير فيها يكبر والشاب فيها يهرم لذلك علينا أن نعرف حقيقة الدنيا ولا نركن إليها ولا نطمئن لها. . وإنما علينا أن نعتمد على الله الواحد وأن نثق فى وعده وأن نخلص النية لله ونحن فى الدنيا كأننا على سفر نتأهب للنزول عند المحطة الأخيرة وهذا ما أرشدنا إليه ربنا فى قوله: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ** ﴾ [**الحديد**:٢٠] . . والحق سبحانه لم يتركنا للشيطان فريسة وإنما بيّن لنا الأمور ووضح لنا الحقائق لذلك قال الحق سبحانه: ﴿ **ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ﴾ [**آل عمران**:١٤-١٧] إن الشخص الفالح الناجح هو الذى يسدُّ على الشيطان منافذه ومداخله ولا يتعلق بالدنيا تعلُّق من لا يموت. . وهل هناك مُخلَّدٌ فى هذه الحياة؟ ولهذا يقول الشاعر:

نسير إلى الآجال فى كل لحظة	**وأيامنا تطوى وهن مراحل**
ولم أر مثل الموت حقاً كأنه	**إذا ما تخطه الأمانى باطل**
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا	**فكيف به والشيب للرأس شاغل**
ترحل من الدنيا بزاد من التقى	**فعمرك أيام وهن قلائل**

والعاقل من اتخذ الدنيا مطيَّة توصله إلى دار السلامة والأمان. . فإذا كانت الدنيا سلاحاً لإبليس فاتخذ أنت سلاح الإيمان بالله لتنتصر به على خصمك ولاتركن إلى الدنيا حتى لا تكون من اتباع الشيطان. .

٣ - طول الأمل . . الشيطان يخدع الإنسان ويغره ويقول له أنت فى الدنيا تعلّق بها وليكن عندك أمل فى غد أعظم سعادة وهناء ويتعلق الإنسان بالدنيا ويحرص على الحياة ويحاول أن يجمع المال من حلال أو من حرام والشيطان يدفعه وهو يحرص على الحياة وما عرف هذا الإنسان الذى اغتر بنزغات الشيطان أن الإنسان فى الدنيا غريب عن وطنه الأصلى. . لأن الوطن الأصلى هو الجنة التى نسعى إليها جميعاً والشيطان يصدنا عنها لأنه أخرج آدم منها فهو لا يحب للإنسان أن يهنأ ويستريح فى الدنيا ولا فى الآخرة. . ومن هنا يُغريه لذلك قالوا: «يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت فى طويل ما ترجو من أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك غداً ندمك لو قد زلّت بك قدمك أسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب»[1] . . إن على العاقل أن يعلم أن كل يوم يمر عليه هو نقصان من رصيد حسابه ولذلك قال الحسن البصرى: «ما من يوم ينشق فجره إلاّ ومُنادٍ ينادى من قبل المشرق يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمنى وتزوّد منى بعمل صالح فإنى لا أعود عليك إلى يوم القيامة» . . ويقول أيضاً: «نهارك ضيفك فأحسن إليه فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك وإن أسأت إليه ارتحل بذمك وكذلك ليلتك» . . ويقول الشاعر:

إنّا لنفـرح بالأيـام نقطـعها ۞ وكل يوم مضى يدُنى من الأجل
فاعمـل لنفسك قبل الموت مجتهدا ۞ فإنما الربح والخسران فى العمل

والرسول ﷺ يقول: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» . . وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك» [رواه البخارى] . . ويقول عليه الصلاة

---

(١) أدب الدين والدنيا

والسلام وهو يوصينا «اغتنم خمسا قبل خمس. . شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك» [رواه الحاكم]. . إن الشيطان يُسوِّل للإنسان أن يحرص على الدنيا ويدفعه حرصه إلى جمع المال كما يقول الرسول ﷺ «لا يزال قلب الكبير شاباً فى اثنتين. . فى حب الدنيا. . وطول الأمل» [رواه البخارى].

والإنسان وهو يجمع المال حُباً فى الدنيا وحرصاً عليها لو سمع سورة: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ لزهد فى الحرام وابتعد عن جمعه ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: « يقول ابن آدم مالى. . مالى. . وهل لك يا ابن آدم من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» [رواه مسلم] . . ومن باب الحرص على المال فالشيطان يخوف الإنسان من الفقر ويخوفه من الإنفاق فى سبيل الله، وهذا فهم خاطئ لحقائق الأمور لأن المؤمن بالله يثق فى أن الله سبحانه هو الرزاق الكريم. . ولذلك يقول الشاعر:

أراك يزيدك الإثراء حرصاً ۞ على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوماً ۞ إليها قلت حسبى قد رضيت

إن الحرص على الدنيا مع طول الأمل يذهب بشرف الإنسان ويضعف دينه ويفتح للشيطان بابا يستحوذ منه على قلبه. .

٤ - الكبر. . هو أول معصية ارتكبها إبليس فى حق نفسه عندما أصرَّ على الباطل ولم يسجد لآدم. . لذلك يحاول الشيطان أن يوسوس للإنسان أن يتكبر وينسى الإنسان نفسه وأصله. . لأن الإنسان أصله طين وسيرحل مرة أخرى ويدفن فى التراب لذلك قال الشاعر:

عجبت من معجب بصورته ۞ وكان بالأمس نطفة مذرة
وفى غد بعد حسن صورته ۞ يصير فى اللحد جيفة قذرة

والكبر صفة ذميمة من اتصف به طُرد من رحمة الله يقول الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» [رواه مسلم] . . والحق سبحانه وتعالى يطبع على قلب كل متكبر . . أى يطمس على قلب المتكبر الذى نسى أصله ومنتهاه . . يقول الله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر:٣٥] . . ويقول سبحانه مُوجهاً الخطاب إلى المتكبرين: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ [الإسراء:٣٧] . . ويقول الحق فى الحديث القدسى «العز إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيئاً منهما عذبته»[رواه مسلم] . . يقول النعمان بن بشير: « إن للشيطان مصالى وفخوخاً وإن من مصالى الشيطان وفخوخه . . البطر بأنعم الله . . والفخر باعطاء الله . . والكبر على عباد الله . . واتباع الهوى فى غير ذات الله» ، ولقد نسى المتكبر نفسه وتطاول بسفاهة على عباد الله واغتر بقوته وصحته ونسى أن القوة ليست هى مقياس الشرف وأن المال كذلك . . والإنسان العاقل لو تأمل قليلاً لعرف أن الكبر لا يفيد ولا ينفع فإن اغتر بقوته فالفيل أقوى منه . . بل إن الحمار أكثر قوة، ولذلك قال القائل:

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته ✿ انظر خلالك فإن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما فى بطونهمُ ✿ ما استشعر الكبر شُبّانا ولا شيبُ
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة ✿ وهو بخمس من الأقدار مضروب
أنف يسيل واذن ريحها سهك ✿ والعين مرفضة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غداً ✿ أقصر فإنك مأكول ومشروب

من مظاهر الكبر احتقار الناس وازدراؤهم والتعالى عليهم، ولهذا يقول الرسول ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»[رواه مسلم] . . من هنا ولكى نقطع على الشيطان مدخله تسمع إلى قول الرسول ﷺ وهو يقول: « إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفتخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد»[رواه أبو داود] . . ويقول أيضاً: « ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه»[رواه مسلم] .

والمتكبر يحب دائماً أن يمدحه الناس حتى بما لم يفعل كما قال عنهم ربنا: ﴿ يُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ويعملون العمل برياء وتفاخر ويعجبون بأفعالهم وكلامهم والعجب هو «استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم كذلك تجد من مداخل الشيطان على الإنسان أنه يذكره بالمصائب فيجزع وربما يلطم الخدود ويشق الجيوب ولذلك قال الرسول ﷺ: « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.. كذلك من مداخل الشيطان الهلع حيث يرسم للإنسان صورة فى خياله عن شىء يقع فى المستقبل يُخيفه فينخلع قلبه وهكذا حتى يكون الإنسان ضعيفاً أمام الشيطان الذى يسهل عليه بذلك أن يقوده إلى الشر.. ولذلك قال لنا ربنا : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد :٢٣] .. كذلك يدفع الشيطان بالإنسان ليتبع هواه واتباع الهوى خلق ذميم لأنه يُورد الإنسان موارد المهالك، ولهذا قال الله لسيدنا داود وهو إرشاد لنا كذلك: ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص:٢٦] .. ويقول إبليس لعنه الله: « أهلكت بنى آدم بالذنوب فأهلكونى بالاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً وهم مهتدون لذلك تراهم لا يستغفرون» ويقول أبو الحسن الماوردى :« وأما الهوى فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد لأنه يُنتج من الإخلاق قبائحها ويظهر من الأفعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكاً ومدخل الشر مسلوكاً .. وقال.. ولما كان الهوى غالباً وإلى سبيل المهالك مورداً جعل العقل عليه رقيباً مجاهداً يلاحظ عثرة غفلته ويدفع بادرة سطوته ويدفع خداع حيلته لأنه سلطان الهوى قوى ومدخل مكره خفى» [١] .. ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه :« إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فإن كان عمله تبعاً لعلمه فيومه يوم صالح، وإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء»[٢].

---

(١) أدب الدنيا الدين، ص١٣، وما بعدها.

(٢) تفسير القرطبى، جـ٦، ص١٦٨.

إن الإنسان الناجح الفالح يحكم الشرع فى عقله وهواه فعلى منهاج الشرع يسير وبنوره يستضئ . . يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [**القصص**:٥٠] . . وعاب الله على من اتخذ إلهه هواه لأنه دفع به إلى الذل والهوان والخيبة والخسران. . يقول الله تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً** ﴿٤٣﴾ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [**الفرقان**: ٤٣، ٤٤] . . وإن الحق سبحانه وتعالى صوّر لنا صورة رديئة لمن يعرف الحق ويبتعد عنه ويميل مع هواه يقول الله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴿١٧٥﴾ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ** ﴾ [**الأعراف**:١٧٥، ١٧٦] . . وإلى كل ذلك أشار الشاعر:

إذا طالبتك النفس يوماً بشهوة ۞ وكان إليها للخــلاف طريـــق
فدعها وخالف ما هويت فإنما ۞ هـــــواك عــدو والخلاف صديق

يقول سهل بن عبدالله التسترى: «هواؤك داؤك فإن خالفته فدواؤك»[1] . . ويقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه: « إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فإن عاجلها ذميم وآجلها وخيم» . . ويقول بعض الحكماء خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه وعليه أن يستميت فى الجهاد لأن الغنيمة ثمينة وغالية والغنيمة الجنة وكما يقول الرسول ﷺ: « ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»[رواه الترمذى] . . ويقول الحسن البصرى: « أفضل الجهاد جهاد الهوى لقول الرسول ﷺ: « المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه»[رواه النسائى] . . وقيل لبعض الحكماء «من أشجع الناس وأحراهم بالظفر فى مجاهدته؟ قال. . من جاهد الهوى طاعة لربه واحترس فى مجاهدته من ورد خواطر الهوى على قلبه» . . وعلى هذا فإن المسلم عليه أن يسد منافذ الشيطان عن

(١) القرطبى، جـ١٦، ص١٦٨.

تزيين الحياة والانقياد للهوى ليدخل فيمن عناهم ربه بقوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].. من خلال من قلناه يستطيع الشيطان أن ينفذ خطته ثم يجعل سوء الظن عند الإنسان بأخيه.. والظن هو التهمة التى لا سبب لها.. ومن المؤكد ما قاله لنا ربنا: ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾.. كذلك احتقار الشخص لشخص آخر دون سبب واحتقار الذنوب .. والإنسان يأمن مكر الله وإذ أحاطت بالإنسان خطاياه قنط من رحمة الله وهنا تكون الطامة الكبرى والمصيبة العظمى على الإنسان الذى اتخذه الشيطان هدفاً له وبلغ مراده منه فيتخذه فرداً من حزبه وجنديا من جنوده، وهنا يكون هذا الإنسان خسر الدنيا والآخر.. فهل نتعظ.

«الرسل والأنبياء وموقف الشيطان منهم»

رسل الله وأنبياؤه صفوة الخلق من البشر.. فالله سبحانه وتعالى قد اختارهم من أطهر الناس.. ومن أفضل المعادن البشرية.. وقد حفظهم الله من كل شيء يحط من أقدارهم أو يظهرهم بمظهر العجز أمام الناس.. أنبياء الله ورسله.. هممهم عالية.. ونفوسهم كريمة.. وقلوبهم نظيفة .. فهم أكمل الناس خُلُقا وأعلاهم قدراً لا يُدانيهم أحد من البشر فى كمال أخلاقهم .. ونبل صفاتهم وحُسْن تعاملهم.. اصطنعهم الله لنفسه.. وأحاطهم بعنايته .. لأنه سيُحمِّلهم رسالته إلى البشر.. ولهذا فلابد أن يكونوا على درجة عالية من حُسْن المظهر.. وحُسْن المخبر.. وطهارة الظاهر.. وطهارة الباطن.. لأن الناس بهم يقتدون ولذا قال الله سبحانه: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام:١٢٤] .. والمرسلون والأنبياء هم حَملة أمانة الوحى والمبلغون عن الخالق إلى الخلق لذلك وجب فى حقهم..

١ - الصدق فى كل الأقوال ولو عادية.. فالكذب مَنْفىٌّ عنهم .. لأنهم يُبلِّغون عن الله .. فلو كذبوا وعرف الناس أنهم كذبوا ولو مرة واحدة لنفر الناس

منهم واتهموهم بالكذب على الله كما كذبوا على الناس. . ولهذا يقول الله سبحانه لحبيبه ومصطفاه : ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [**الأنعام**:٣٣] . .

٢ - الرسل والأنبياء يجب في حقهم الأمانة. . وهى عدم الخيانة. . لأنهم أمناء الله على وحيه فلا يغيرِّون ولا يبدِّلون أى شىء من الوحى. . وقد طلب المشركون من رسول الله ﷺ أن يُغيِّر بعض آيات القرآن الذى كان يتلوه عليهم ويتعرض لذكر آلهتهم بشىء يُنقص من قدرها عندهم ويُنزل من منزلتها فى نفوسهم. . فقالوا إن أردت أن نؤمن بك ﴿ **ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ** ﴾ فيجيئه أمر الله يقول له رُدَّ عليهم بأنك مُبلِّغ وأمين على وحى الله: ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [**يونس**:١٥] .

٣ - رسل الله وأنبياؤه يجب فى حقهم الفطانة . . وهى ملكة يُقتدر بها على إقامة الحجة على أعداء الدعوة والذين يقفون حجر عثرة فى وجه الداعين إليها. . والله تعالى قد اختارهم للنبوة والرسالة وتعليم الخَلْق وإقناعهم بالحق فلابد أن يكونوا على درجة عالية من صفاء ذهن ونقاء فكر وحُسْن المنطق مع ترتيب الأفكار وحُسْن صياغتها وإقامة الأدلَّة عليها ليقتنع بهم الناس.

٤ - العصمة. . هى واجبة فى حق الأنبياء والرسل. . لأنهم يُبلِّغون عن الله فقد نزَّههم الله عن كل وصمة ونقص فهم معصمون عن الصغائر فضلاً عن الكبائر قبل النبوة وبعدها. . وقد حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم عن المعاصى كبيرها وصغيرها. . لأنهم القدوة للناس والأسوة. . فالله تعالى يقول مُوجِّهاً رسوله أن يقول للناس: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[**آل عمران**:٣١] . . والله تعالى يدعو الناس جميعاً إلى الإيمان فيقول: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [**الأعراف**:١٥٨] . . والحق سبحانه وتعالى قد عصم الأنبياء من أذى إبليس واتباعه من الناس الضالين فقال سبحانه: ﴿ **يَا**

أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧] . . على هذه الأسس عاش أنبياء الله ورسله فى دنيا الناس . . صدق وأمانة . . فطانة وعصمة . . لكن . .

"النبى .. الرسول"

لما كانت كلمة النبى والرسول تتوارد فعلينا أن نعرف من هو النبى ومن هو الرسول . .

١ - النبى . . هو إنسان شريف القدر . . عالى المنزلة . . طاهر النفس . . اختاره الله ليكون قدوة للناس . . علّمه وأرشده . . (وأوحى الله إليه بوحى وكلفه أن يسير على نهج شريعة الرسول الذى سبقه . . ولهذا فالنبى لا ينزل عليه كتاب)

٢ - الرسول . . هو شخص من الناس به كل الصفات العظيمة . . اختاره الله لحمل الرسالة الإلهية . . وأنزل عليه كتاباً . . فله بذلك شريعة . . يدعو الناس إلى الإيمان برسالته والالتزام بشريعته . . والاقتداء بخطاه . . وسيدنا محمد ﷺ هو نبى ورسول . . لأن كل رسول نبى . . لذلك خاطب الله سيدنا محمداً ﷺ فى القرآن مرة بقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ومرة أخرى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ونحن نؤمن بأن الشيطان يعجز عن إغراء أى نبى أو رسول بأسلوبه الرخيص . . لأن الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا فما بالك بالأنبياء . . لكن . . هل يرضى الشيطان بهذا؟ . .

"محاولات يائسة"

الشيطان يحاول دائماً أن يدرب شخصيات من البشر على فعل الشر ليكونوا أساتذة فى مدرسة الإجرام.. لهذا فهم يتواصلون يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .. ويكوِّن مدرسة يُخطط لها تخطيطاً دقيقاً ويجعل لها منهجاً ليحاول من خلال شياطين الإنس أن يحاصر رسل الله بأفكار رديئة.. وقيم مبتذلة.. لكن ألاعيب الشيطان وأتباعه دائماً تبوء بالفشل مع أنبياء الله ورسله لأن الله عصمهم وحفظهم من شر الشيطان.. يصوِّر القرآن الكريم لنا موقف الشيطان وأساتذة مدرسته فيقول: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** ﴾ [**الحج**:٥٢، ٥٣] إن أعداء دعوة الأنبياء والرسل متهمون بالاعتداء على آيات الله بما يغيِّر وجهها.. ويُبدِّل صورتها.. والتطاول عليها باللغو .. ذلك لأن آيات الله تُثير فى نفوسهم قلقاً واضطراباً.. وتحرك فى صدورهم وساوس وظنوناً .. لذلك سبقت آية الشيطان ومحاولته آية أخرى يقول الله فيها: ﴿ **وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [**الحج**:٥١].. إن الشيطان الذى أسس مدرسة الشر وربّى رجالا يسعون لنشر الباطل والضلال.. ويُحرِّفون الكلم عن مواضعه ويعملون بكل ما لديهم لإبعاد آيات الله عن واقع المجتمع، ولهذا يقول الحق موضحاً ذلك ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [**فصلت**:٢٦] .. إن وحى الله فى حقيقته إنذار خاص للضالين والغاوين والمجرمين والمنحرفين.. هذا الإنذار يصك أسماعهم بلغة واضحة وأدلة قاطعة بأن ما هم عليه من ضلال وانحراف لا ينفعهم ولا يغنى عنهم شيئاً.. لكن الشيطان يُمنِّيهم بالباطل .. والتمنى فى اللغة.. هو طلب النفس لشيء ترغبه لكنه بعيد المنال.. بُعداً يكاد يبلغ حدَّ الاستحالة.. فالتمنى من حروفه.. (ليت).. وانظر إلى ما يقوله الشاعر ويتمناه:

ألا ليت الشباب يعود يوماً ۞ فأخبره بما فعل المشيب

فهل هذه الأمنية تتحقق؟ اعتقد.. لا.. لكن هناك أمنية تتحقق وهى أمنية الشيطان.. فكان رغبته أن يُغيرِّ من آيات الله وأن يُبدِّلها بما يتفق وهواه لذلك أفرزت مدرسته من قام بتحريف كلمات الله قال عنهم القرآن: ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ﴾ [**المائدة**:١٣].. ويقول سبحانه: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ [**البقرة**:٧٩].. والشيطان قد تمنَّى تكوين مدرسة من البشر نجح فى ذلك ثم تمنَّى أن يُلقىَ فى قلوب الناس ما يفسد عقائدهم ولو تحقق له بعض أمانيه فى الرسالات السابقة.. لكن فى رسالة سيدنا محمدﷺ.. أحاط بالشيطان الفشل وانكشفت ألاعيبه وانهزم روّاد مدرسته والعناصر المنحرفة الذين ربَّاهم على الفساد والإجرام لأن ما يُلقيه الشيطان من كيد وحيل وألاعيب يُحبطها الله.. وما يوسوس به للسفهاء والحمقى والجهلاء لا يؤثر فى أتباع الرحمن ممن ربَّاهم سيدنا محمد ﷺ على صدق اليقين وقوة العقيدة.. ولأن الله سبحانه جعل رسالة سيدنا محمد ﷺ خاتمة عالمية لذلك فقد حفظ القرآن من التغيير والتحريف لأن القرآن من لحظة نزوله إلى أن تقوم الساعة وهو حجة الله على العالمين ومعجزة النبى المصطفى الأمين.. يتحدى به كل منكر لرسالته لأنه صالح لكل زمان ومكان.. فمن قال به صدق.. لذلك قال الله موضحاً هذا ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [**الحجر**:٩].. وإذا كان الله قد تولَّى حفظه.. لكن الصراع ما زال قائماً بين الرسول النبى سيدنا محمد ﷺ.. وبين الشيطان وأوليائه لهذا فإن الله قد أحكم آياته.. فيكشف زيف الزائفين وعمل الأفاكين ليرد إلى الشيطان كيده ويقضى على أُمنيته لذا قال الحق سبحانه: ﴿ **فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [**الحج**:٥٢].. من هنا كانت المحاولات المتعددة للتحريف فى القرآن أو رفع بعض آياته أو إضافة كلام إليه.. كل هذا باء بالفشل وكان كسحابة صيف لا تلبث أن تنقشع عن وجه الشمس وإذا شعاعها يملأ الآفاق ﴿ **كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ**

الضعف ويخاف جداً من أصحاب العقيدة القوية الذين آمنوا بالله ووثقوا به وأيّاً كان الشيطان فهو ضعيف الكيد لمن عرف كيف يدافع عن إنسانيته ويحمى وجوده من أن يكون مطيّة ذلولا للشيطان ولهذا قال الله تعالى: ﴿**إنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كَانَ ضَعيفًا**﴾ [**النساء**: ٧٦] . . إن الشيطان الذى يحاول دائماً أن يلعب بالناس ويتخذهم صنائع له ويوجههم إلى الشوشرة على القرآن انفضحت حيلُه وانكشف أمره أمام أصحاب الإيمان القوى لذلك يقول الحق سبحانه: ﴿ **وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً** ﴾ [**الإسراء**: ٧٤-٧٧] . . ونقف أمام هذه الآيات طويلاً لنرى أن الحق سبحانه يصوّر هذا الموقف الخطير ويكشف لنا عن مدى ما كان يُعانيه النبى ﷺ من أذى قومه وأنه وهو يتعرض لهذه المحن القاسية والشدائد التى تُحيط به والعواصف الهوجاء من . . الاعتداء على أصحابه . . والسخرية منهم . . ومحاصرته ومن آمن معه ومقاطعتهم اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً . . مع كل هذا كان النبى ﷺ يمسك نفسه على الطريق الذى أقامه الله عليه، ويضم يديه فى قوة وإصرار على الرسالة التى حمّلها الله له . . ولقد بلغ الصراع العنيف غايته من الشدة والبلاء حتى كاد الأمر أن يصل بالنبى ﷺ إلى حال يوشك أن يُفلت فيها الأمر من يده لأن العنت والبلاء والتهديد والوعيد فاق ما تتحمله طاقة البشر لكن . . قوّى الله إيمانه . . وثبّت يقينه وجاءه النصر العاجل كما يقول ربنا: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا**﴾ [**يوسف**:١١٠] . . إن رصيد النبى محمد ﷺ من العزم والصبر عظيم جداً لذلك فهو مع هذا الكيد العظيم الذى يكيد له به قومه مع هذا الرصيد كانت أمداد السماء تُحيط به وتشد من عزمه وتُثبِّت من قدمه . . ولذلك يقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً**﴾ [**الإسراء**:٧٤] . . ولو تحول النبى قليلاً إلى ممالئة قومه وتوقف شيئا ما عن

سب آلهتهم وتنازل قليلاً عما يدعوهم إليه.. لجاءوا إليه مسالمين وهدأت العواصف من حوله.. لكن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك ولم يَملْ ولم يقبل أبداً أن يهادنهم.. وإنما كان يسبُّ آلهتهم لأنها آلهة مزعومة.. وهو إذ يتمسك بعقيدته ويسير فى دعوته لا يتوقف حتى ولو أخرجوه من الأرض لأنهم سيطاردونه فى كل مكان فلا يَدَعُون له موضعاً يكون فيه إلاّ وصوَّبوا إليه ألسنتهم وسيوفهم وأنهم لو وصلوا إليه لأخذهم الله بالعذاب، ولَما بقيت لهم فى الأرض باقية فتلك سُنّة الله فى الذين خلَوا من قبل.. إن الصراع بين الحق والباطل لا ينتهى وهو مستمر ما دامت السماوات والأرض.. لكن الحق هو الذى ينتصر فى النهاية ما دام له رجال يدافعون عنه ويأخذون فى الأسباب ويتمسكون بالمنهج الإلهى .. أما إذا تأخر الناس عن نصرة الحق وغرَّتهم الحياة الدنيا وصاروا من جند الشيطان والدخول فى مدرسته وهم أنصار حزبه.. فإنهم لن يُعجزوا الله شيئاً.. فسوف يدمرهم ويقضى عليهم لأنه القوى القاهر، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

إن أُمنية كل رسول .. وأمنية كل نبى.. هى أن يرى الواحد منهم قومه على الهدى الذى يدعوهم إليه وأن يصبحوا جميعاً من المؤمنين بالله.. فتلك هى رسالة كل واحد منهم إلى الناس .. يعيش كل نبى لتلك الرسالة ويعمل من أجل تحقيقها وأن سعادته كلها هى أن يرى نجاح مسعاه وثمرة جهاده فى كثرة الأعداد التى استجابت له وكلما كثرت الأعداد كلما تضاعفت سعادته.. وهذه الأمنية من كل رسول أو نبى غير ممكنة التحقيق.. لأننا عندما عرّفنا التمنِّى قلنا بأنه طلب نفسى لرغيبة من الرغائب المحبوبة البعيدة من أن تُنال بُعداً يكاد يبلغ حد الاستحال، ولهذا قال الشاعر:

ما كل ما يتمنى المرأ يدركه ❁ تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

من هنا فإن الصراع قائم بين أنصار مدرسة الحق.. وبين أنصار مدرسة الشيطان حتى إذا بلغت ذروة التناحر بينهما والصراع إلى درجة عالية فعندئذ يميز الله

الله بين الحق والباطل.. ولاشك أن مدرسة الشيطان لها حيل كثيرة وأساليب متعددة وأنصار أكثر.. فعندما يضيق الموقف على اتباع الحق ويشتد الكرب عليهم تتدخل عناية السماء لنصرة أصحاب الحق وإلى هذا أشار الحق سبحانه بقوله: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [**غافر**:٥١] ..

«تمرُّد»

الشيطان تمرد على ربه.. وأخذ على نفسه العهد أن يضل الناس جميعاً: ﴿**إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [**الصافات**:٤٠] .. ولقد اتخذ لنفسه أساليب متعددة.. وبضاعته فى ذلك هى الحقد.. الحسد.. الغيرة.. وهو يعلم الناس هذه الأشياء ويغرسها فى قلوبهم وقد اتخذ لنفسه أساليب لنشر الفساد فى الأرض فهو يعمل بكل قوته على بلادة العقل.. حتى لا ينصاع إلى الحق، ومثل ذلك أهل مكة .. فلقد استطاع إبليس أن يقودهم إلى مدرسته وأن يحبب إليهم عبادة الأصنام وأن يجعلهم على فساد دائم.. حتى إنهم تمردوا على الحق الذى يدعوهم إليه النبىﷺ وبدل أن يقول .. اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.. نجدهم تمردوا على كل الأعراف والتقاليد وقالوا: ﴿**اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [**الأنفال**:٣٢] .. إنه تمرد أدّى إلى غباء.. وهكذا يتبيّن لنا أن مدرسة الشيطان مدرسة خاسرة وأن أمنية الشيطان إن تحقق جزء منها فهى هلاك ودمار.

«موسى عليه السلام»

نؤكد على أن الأنبياء لهم العصمة.. وأن الشيطان يحاول بكل قدرته ومعه رواد مدرسته وأنصار حزبه إلى إفساد الناس وإضلالهم .. وطمس معالم النبوة.. وعندما نقرأ القرآن نقف أمام آية.. يُهلِّلُ لها أنصار الشيطان.. ويقولون أين العصمة وهذا موسى.. نبى كريم ورسول عظيم وقد قتل نفساً بغير ذنب والآية الكريمة هى عند الكلام على موسى: ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ**

فيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلان هَذَا من شيعَته وَهَذَا منْ عَدُوِّه فاسْتَغَاثَهُ الَّذي من شيعَته عَلَى الَّذي منْ عَدُوِّه فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْه قَالَ هَذَا منْ عمل الشَّيْطَان إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥] . . لقد هلل أنصار مدرسة الشيطان وفرحوا بهذه الآية . . لكننا نقول لهم اقرءوا أولاً وافهموا مجريات الأحداث من الآية فالآية تقول: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾ . . والوكزة هى الضربة بقبضة اليد. . ونحن نرى أمام أعيننا آلاف الناس وهم يُضربون هكذا، ومع ذلك لا يموتون. . فموسى إذاً لم يُرد قتل الرجل. . وإنما وجد مشاجرة بين رجلين أحدهما قوى والآخر ضعيف . . القوى يضرب الضعيف بالسياط. . ويركله بقدمه. . ولم يطق موسى صبراً على هذا المشهد فتدخل ليمنع القوى عن ضرب الضعيف وبهذا العنف. . والقوى تطاول على موسى وكأنه أراد أن يهجم عليه فدافع موسى عن نفسه. . ووكزه بيده. . فسقط القوى ميتاً. . إذاً فهو قتل خطأ. . غير متعمّد . . لكنه على كل حال ذنب وقع من رجل مرشح للنبوة. . موسى عليه السلام. . أحسَّ بهذا الذنب فندم واستغفر ربه، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦] . . إن موسى لم يستمرئ المعصية. . وإنما ندم واستغفر ربه. . وفوق كل ذنب مغفرة الله. . والذنب وإن عظُم فعفو الله أعظم وقد أخلص موسى فى توبته إلى الله. . ثم إن هذا قتل خطأ وليس عن عمد. . وأدرك موسى أن فى جسده قوة. . وأن هذه القوة هى نعمة من الله يجب أن يسخرها فى خير الناس وليس فى إلحاق الأذى بهم، لذلك قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص:١٧] . . وهذا الحدث ظل فى فكر موسى وخاطره لأنه ظل كما يقول القرآن: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨] . . أى أنه كان يتحسس أخبار الفعلة التى فعلها ويتطلع إلى وجوه الناس ليتعرف على ما قد تركته هذه الحادثة من رد فعل. . لأنه دائماً مرتكب الجريمة تدفعه غريزته بأن يحوم حولها ليتعرف على رد الفعل كما نقول نحن: « يكاد المريب يقول خذونى» . . ونقرر بأن القتل خطأ وليس بعمد وأنه طلب من الله المغفرة وأن يوفقه إلى شكر نعمته التى أنعم الله بها عليه وأنه لن يكون ظهيراً للمجرمين. . فنرى أن هذا

الحدث فجرً فيه طاقات روحية وجعله يصل نفسه بالله . . وأن هذا الحدث هو نقطة البداية التى دفعت بموسى للخروج من مصر إلى أرض مدين ليقضى بها عشر سنين . . وفى أثنائها يكون الإعداد الروحى بجوار رجل صالح يزوِّجه ابنته وهذا تأهيل لشخصية موسى لحمل رسالة السماء إلى الناس . . إن موسى عليه السلام عالج الموقف بالحكمة لأنه لم يصر على المعصية . . لهذا نقرر بأن الأنبياء لهم العصمة وأن ما حدث من موسى . . لم يكن عن عمد . . حدث وقع خطأ . . ندم موسى واستغفر ربه ولعل الحكمة الإلهية قدّرت هذا حتى يخرج موسى من مصر ليكون التأهيل والإعداد والتدريب لحمل الرسالة لأن موسى فى مصر تربّى فى بيت فرعون تحيط به النعمة والترف وهو فى هذه النعمة مُدلل ويعيش بين الناس يُشار إليه على أنه من أبناء القصر ومن المقربين إلى فرعون فنظرة الناس إليه على أنه من اتباع الطبقة العالية فوقع هذا الحدث غير المتعمد ليكون سبباً فى إبعاد موسى عن بيت فرعون وخروجه إلى أرض مدين . . ولقد أظهر وبرهن على أنه سخّر قوته الجسدية ونعمة الله فيه إلى خدمة الضعفاء وهذا ما رأيناه يقدمه للفتاتين . .
ولقد نسب موسى هذه الفعلة إلى الشيطان وقال كما حكى القرآن : ﴿ **هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [**القصص**:١٥] . . وهذا من أدب النبوة فالإنسان دائماً ينسب الخير إلى الله فهو أهله وينسب الشر إلى الشيطان فهو أهله . . ونلحظ ذلك فى كلام الأنبياء جميعاً . . فهذا أيوب عليه السلام عندما مرض واشتد به المرض ﴿ **نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ﴾ [ص: ٤١] . . وهذا إبراهيم عليه السلام ينسب المرض إلى نفسه فيقول : ﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ** ﴿٧٨﴾ **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ** ﴿٧٩﴾ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴿٨٠﴾ **وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ** ﴿٨١﴾ **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** ﴾ [**الشعراء**: ٧٨ - ٨٢] . . وإذا كان الشيطان دائماً يحاول أن يفسد الجو حول الأنبياء والمرسلين إلاّ أنه لا يستطيع أن يقترب من ساحتهم ولا أن يَدُسَّ أنفه فى رسالتهم فهم معصومون منه بقوة الله وقدرته وما يقال حول أى نبى أو رسول من أشياء لا تتفق ومقامهم هى من تلفيق الشيطان وأعوانه فهم يوصون أوليائهم ليشوِّهوا جلال النبوة ومقام الرسالة . .

والمؤمن عليه أن يتنبَّه لهذا الغرض الخبيث فى تشويه الصورة الجمالية للأنبياء والمرسلين. .

إن الحق سبحانه وتعالى أعلن الحرب على الذين يتطاولون على الأولياء والصالحين والعلماء والأتقياء فقال فى الحديث القدسى: « من عادى لى ولياً فقد بارزته بالحرب». . إذا كان هذا مع الأولياء والصالحين. . فما بالك بالأنبياء والمرسلين. . لذلك علينا ونحن نذكر الشيطان ومدرسته أن نأخذ حذرنا من التطاول على مقام الأنبياء أو ذكرهم بما يقلل من قدرهم. . أو نسمح لأحد من السفلة أن يقول فى أنبياء الله ورسله ما لا يجوز أبداً.

« الكُهَّان »

هم الذين يتكهنون ويعلنون أنهم يعلمون الغيب ويكشفون عن مستقبل الإنسان ولهم فى ذلك حيل وأساليب متنوعة مثل:

١ - تبييت الأتر. . أى أنهم يأخذون أى شىء من الإنسان يريد أن يكشف عن مستقبل حياته فيعطيهم منديله أو شرابه أو قميصه ليكون عنده ليلة محدّدة وفى الصباح يقول له. . الأتر بتاعك بيقول. . إنك هتتزوج مرتين واحدة قريبتك والتانية غريبة عنك. . وقُدّامك سفرية حَتحصل منها فلوس كتير. . حتبنى عمارة وتشترى سيارة. . إلى آخر مثل هذا الكلام الذى لا يُودِّى ولا يجيب. . وكل ذلك خرافات وأوهام يُلقيها الكاهن فى نفس صاحب الأتر.

٢ - ضاربات الودع. . على نفس الوتيرة.

٣ - قارئة الفنجان. . كذلك.

٤ - فتح الكوتشينة . . كذلك.

٥ - أنت والنجوم الذى يُنشر فى الجرائد والمجلات نفس الموضوع.

كل ذلك خرافات وأوهام وأباطيل . . لأن الغيب لا يعلمه إلاّ الله.

وهذه الفئة أهم أساتذة فى مدرسة الشيطان وأخطر عناصر لأنهم يضللون العقول وينشرون الإفك والضلال والتزوير.

"لكن كيف حدث هذا"

حدث أن الشيطان يريد أن يلعب بعقول الناس والناس دائماً تحب أن تكشف عن الغيب ويعرفون مُسبقاً . . مَنْ يتزوج بمن . . ويفتحون الفنجان من أجل هذا ويلجئون إلى ضاربات الودع وغير ذلك من الخرافات والأوهام وقد ربى الشيطان رجالاً ونساءً وصَقل موهبتهم حتى يضلوا الناس ويتعلقوا بالأوهام والأباطيل . . وكما نقول : « يتعلقون بالحبال الدّايبة» ويكونون كمن قال الله عنهم: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ** ﴾ [إبراهيم:١٨] والشيطان علّم الناس هذا الأسلوب واتخذ الكهان وسيلة فى نشر أباطيلهم وترويج هذا العمل . . تقول السيدة عائشة: « سأل ناس النبى ﷺ عن الكهان . . فقال: إنهم ليسوا بشىء . . فقالوا يا رسول الله . . إنهم يحدثوننا أحياناً بشىء فيكون حقاً . . فقال النبى ﷺ: تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجنى فيقرقرها فى أذن وليِّه كقرقرة الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة»[رواه البخارى] وقف أمام هذا الحديث طويلاً وتأمل فيه وحلل ألفاظه سوف تجد أن شياطين الإنس تفوقوا على شياطين الجن . . وبعد أن كان شياطين الإنس تلاميذ أصبحوا أساتذة فأنت ترى من سياق الحديث أن الكاهن أو الدجال يسمع الكلمة من الجن فيضيف على الكلمة مائة كلمة . . وقد جاء ذلك فى حديث آخر كذلك أن النبى ﷺ قال: « الملائكة تحدث فى العنان[1] بالأمر يكون فى الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها فى أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيد معها مائة كلمة» [رواه البخارى] . . فالشياطين إذاً يعلمون الكُهَّان والدجالين والسحرة وسائل للوصول إلى غايتهم هى إضلال الناس.

---

(١) والعنان هو : الغمام.

"وسيلتهم فى ذلك"

الشياطين من عالم الأثير فلهم وجود بلا ظل غير قابلين لرؤية البشر وقد خلقهم الله فى أشكال لا يعلم عددها إلاّ الله. . فيهم القصير والطويل والأحمر والأسمر والأبيض. . وعندهم قدرة على التشكل وهم يعيشون على الأرض ويجلسون على الماء ويطيرون فى الهواء ويقتربون من السحاب. . وقد أخبر الله نبيّهﷺ أنه جعل لكل نبى عدواً يجاهد لفشل الدعوة ليتميز القوى من الضعيف والصادق من الكاذب وقد جعل الله تعالى أعداء الأنبياء ينقسمون إلى قسمين:

١ - شياطين الجن. . وهؤلاء يُلقون بوساوسهم فى النفوس الضعيفة فيكفرون.

٢ - شياطين الإنس . . وهؤلاء يستجيبون لوسوسة الشيطان، وقد قال الله عن الطائفتين ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [**الأنعام**:١١٢] وقد أخبر الحق سبحانه أن الذين يسمعون لكلام الجن هم كفرة وقد فرحوا بانتمائهم لمدرسة الجن ليشبعوا رغباتهم ويقضوا نزواتهم فقال سبحانه: ﴿ **وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ** ﴾ [**الأنعام**: ١١٣] . . وشيطان الجن قد لا يستطيع أن يغوى إنساناً فيذهب الجنى إلى إنسى ويغريه بهذا الإنسان لفتنته ولهذا روى أن رسول الله ﷺ قال لأبى ذر: « هل تعوذت بالله من شر شياطين الجن والإنس؟ قال. . قلت : وهل للإنس من شياطين؟ . . قال : نعم. . هم شر من شياطين الجن» وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [**الأنعام**:١٢٨] . .

إن الشيطان كُتب عليه من أول يوم: ﴿ **أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [**الحج**:٤] والشيطان كان يصعد إلى القرب من السماء ويجلس ليسمع

لكلام الملائكة ثم ينزل إلى الأرض فيخبر الكهان والدجالين والمشعوذين بذلك وإلى هذا أشار الرسول ﷺ فى قوله: « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِّع عند قلوبهم قالوا. . ماذا قال ربكم. . قالوا الحق وهو العلى الكبير. . فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض. . ووصف راوى الحديث بكفه فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يُلقيها الآخر إلى من تحته حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يُدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا . . كذا وكذا. . فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء»[رواه البخارى].

إن القلوب الميِّتة والعواطف المتحجرة تمشى فى ركب الشياطين ويتخذونهم أصدقاء، وقد قال الله تعالى: ﴿ مَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الزخرف: ٣٦، ٣٧] وقوله سبحانه: على لسان الشيطان وهو يتبرأ من الإنسان ويقول كما قال ربنا: ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٧-٢٩] . .

"وهل الشياطين يسمعون كلام الملائكة ويعرفون أخبار السماء"

بلى . . لأن الشياطين تطير فى الهواء وتقترب من السماء وتسمع كلام الملائكة وتعرف قليلا من الأخبار الصادقة فتخبر بهذه الأخبار أتباعهم وأنصارهم فيخبرون الناس بها، وهذا ما أخبر به الحق سبحانه . . هنا يثور سؤال. .

أليس فى ذلك ما يضر بالرسالة؟

نعم. . لكن الحق سبحانه حفظ السماء عند بدء بعثة النبى ﷺ فجعل الشياطين لا تقترب من السماء. . ومن يحاول الاقتراب يصعق. . وأصبحت

الشياطين لا تستطيع أبدا أن تحصل على أى معلومة وقد أخبرت الجن عن ذلك فى قولهم كما جاء فى القرآن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن: ٨، ٩] . . ومع هذا فإن بعض الشياطين يحاول أن يستمع ولو كلمة واحدة ليبنى عليها ما يشاء ولينشط مدرسة الدجل والخزعبلات والخرافات والأوهام إلاّ أن غرضه لا يتحقق وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصافات:٦-١٠] . . فالذى يتجرأ ويتلصص ويسرق يتبعه شهاب يحرقه إذاً التدمير للشياطين إذا حاولوا الاقتراب من السماء لمعرفة الأخبار التى ستقع فى المستقبل. . والغرض من ذلك. . حفظ رسالة الله الخالدة من الإضافة إليها أو التزيد عليها لأنها تمت وكملت وأصبحت صالحة لتطور البشرية فى رسالتها وصدق الله العظيم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

ولأن الرسالة المحمدية كمُلت وتقـرر فيها أن الغيـب لا يعلـمه إلاّ الله. . فلا ضاربات الودع ولا قارئة الفنجان. . ولا فاتحة المندل ولا مبيتة الأثر ولا المنجمون يعرفون أى شىء عن علم الغيب لذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٥٩] . . ويقول سبحانه: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٦] . . لهذا حفظ الله السماء وجعل النجوم فيها صواعق تصعق كل من تسوّل له نفسه ويحاول أن يقترب من السماء. . يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٥] . . ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر:١٦-١٨] فالحق سبحانه عزل الشياطين عن الاستماع حتى لا يُحدثوا بلبلة بين المسلمين وكان عزلهم نهائيا لا

رجعة فيه.. وهم يضحكون على أتباعهم، ولهذا يقول الله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت:٢٥] ويقول سبحانه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢]..

ويتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى حال بين الشيطان وأعوانه وأصبحوا لايستطيعون أبداً أن يسترقوا السمع ثم إن الأذان قضى عليهم وجعلهم يهربون إلى القفار وشواطئ البحار.. لذلك قال رسول الله ﷺ: «إذا نُودى بالأذان» يعنى أذان المؤذن وقال حى على الصلاة حى على الفلاح تكاد روح الشيطان تخرج من الضيق والغيظ لعبادة الإنسان لربه ودخوله فى رحمته فلا يجد مناصاً من أن يهرب «له ضراط حتى لا يسمع الأذان» ومما لا شك فيه أن الدنيا اليوم عمرت بالمؤذنين وكل دقيقة تمر هناك أذان يتردد يسمعه الغادى والرائح..

«طريفة»

تعرض إبليس لموسى عليه السلام.. فقال إبليس.. يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلّمك تكليما وأنا من خَلْق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى عند ربك عز وجل أن يتوب علىّ فدعا موسى ربه.. فقيل له.. ياموسى قد قضيت حاجتك.. فلقى موسى إبليس.. فقال ماذا فعلت؟ قال موسى.. حتى تُقبل توبتك عليك أن تسجد لقبر آدم فيُتاب عليك.. فاستكبر وغضب وقال.. لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً.. ثم قال إبليس.. يا موسى إن لك حقاً علىّ بما شفعت لى عند ربك فاذكرنى عند ثلاث ولا أُهْلكُكَ فيهن.. اذكرنى حين تغضب.. فإن وحيى فى قلبك وعينىَّ فى عينيك وأجرى منك مجرى الدم.. واذكرنى حين تلقى الزحف.. أى الجهاد.. فإنى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته وأهله حتى يُولىِّ.. وإيّاك أن تُجالس امرأة ليست بذات محرم فإنى رسولها إليك ورسولك إليها[١]..

(١) أكام المرجان، ص٢٠٧.

ويذكر أن موسى عليه السلام كان فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس له يتلوّن فيه ألواناً فلما دنى خلع البرنس ووضعه ثم أتاه وقال. . السلام عليك يا موسى. . فقال موسى من أنت؟ قال. . أنا إبليس . . قال موسى فلا حيّاك الله . . ما جاء بك؟ قال: جئت لأُسلِّم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه. . قال موسى. . فما الذى رأيته عليك؟ قال به اختطف قلوب العباد. . قال موسى. . ما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال إبليس. . إذا أعجبته نفسه. . واستكثر عمله. . ونسى ذنوبه. . ثم قال الشيطان. . أُحذرك من ثلاث. . لا تخْلُوَّن بامرأة لا تحل لك قط. . فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها. . ولا تعاهد عهداً إلا وفيّتَ به فإنه ما عاهد الله أحد إلاّ كُنتُ صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به. . ولا تخرجَنَّ صدقة إلاّ أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يُمضها إلاّ كُنتُ صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين إخراجها. . ثم انصرف وهو يقول . . يا ويله ثلاثاً. . علم موسى ما يحذر به بنى آدم(١).

"يحيى عليه السلام"

تعرض إبليس ليحيى عليه السلام . . فقال له يحيى. . يا إبليس. . اخبرنىَ ما أحب الناس إليك. . وما أبغض الناس إليك؟ قال إبليس. . أحب الناس إلىَّ المؤمن البخيل. . وأبغضهم إلىّ الفاسق السخى. . قال يحيى. . وكيف ذلك؟ قال: لأن البخيل قد كفانى بُخله. . والفاسق السخى أتخوف من أن يطع الله فى سخائه فيقبله(٢).

---

(١) تلبيس إبليس، ص٣٠.

(٢) أكام المرجان، ص٢١٢.

«سيدنا محمد ﷺ »

تعرض إبليس لسيدنا محمد ﷺ كثيراً وخاصة فى ليلة تحدّرت عليه الشياطين من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق وجه رسول الله ﷺ فهبط إليه جبريل فقال: يا محمد . . قل . . قال . . ما أقول؟ قال . . قل . . أعوذ بكلمات التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمان . . قال فطُفِئت نارهم وهزمهم الله تعالى(١).

«من خطط إبليس»

إبليس له خطط كثيرة وبديلة حتى إذا به فشلت خطة رجع إلى الثانية لأنه لا يعيش هكذا وإنما يخطط وبكل دقة . . وتأمل فى خططه الخبيثة . . يقول ابن مسعود: «إن الشيطان طاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا»[رواه أحمد].

ومن خططه أنه يُنغص على الإنسان نومه فيظهر للإنسان فى المنام يزعجه ويؤلمه ويحزنه . . جاء إعرابى إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله . . رأيت فى المنام كأن رأسى ضُرِب فتدحرج فاشتددت على أثره فقال رسول الله ﷺ للإعرابى: لا تُحدِّث الناس بتلعُّب الشيطان بك فى منامك» [رواه مسلم] . . كذلك من خططه أن يوسوس للإنسان فى الصلاة . . فلقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: « إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يُلبِّسُها علىّ . . فقال رسول الله ﷺ : « ذاك شيطان يُقال له خُنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا . . قال . . ففعلت فاذهب الله عنى»[رواه مسلم] . . ونظراً لأن الشيطان دائماً يحب أن يتلاعب بالبشر ليغويه ويقوده إلى الفساد ولا يستطيع ذلك

---

(١) الترغيب والترهيب، ص٨٤ من رواية النسائى.

إلاّ بالوسوسة . . فإن على الإنسان أن يتعوذ بالله من الشيطان الذى يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق كما يقول الرسولﷺ: « إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم»[رواه البخارى] . . لذلك يوسوس له حتى يُنسيه . . ولهذا نجد أن الحق سبحانه ذكر النسيان دائماً منسوباً إلى الشيطان ونقرأ فى ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**الأنعام**:٦٨] . . ويقول الحق سبحانه وتعالى عن صاحب موسى عليه السلام: ﴿ **فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ** ﴾ [**الكهف**:٦٣] والشيطان إذا تمكن من الإنسان تمكناً كلياً فإنه يُنسيه ذكر الله بالكلية. . يقول الله فى هذا ﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [**المجادلة**:١٩] . .

ولهذا ذكرّنا ربنا ونبَّهنا إلى أن نطرد الشيطان من حياتنا . . فيقول سبحانه: ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ [**الكهف**:٢٤] . . ومن هنا فإن الشيطان له مزامير يدعو بها الناس ليلتفوا حوله وحول أتباعه، ولهذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «الجرس مزامير الشيطان»[رواه مسلم] . . ولما كان الشيطان يدعو أعوانه واتباعه لينصبوا لأنفسهم معارك ليوقعوا فيها الأبرياء ثم يدخل على الأبرياء فيوهمهم أن فى يده الخلاص وهو خبيث ملعون يحاول إشعال العداوة بين الناس بوسائل متعددة وبالهمز والغمز. . ولكى نسد على الشيطان مداخله ونُبطل حيله. . فإن قوة الإيمان بالله هى التى تضعف الشيطان والثقة بالله والاعتماد عليه يجعل الشيطان يفر ويهرب وهذا عمر بن الخطاب نموذج أمام أعيننا فالشيطان لا سبيل له عليه ففى الحديث عن رسول الله ﷺ يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : «والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلاّ سلك فجاً غير فجِّك» [متفق عليه] . . وعمر بن الخطاب ليس بمعصوم إلا أن إيمانه كان قوياً ففر الشيطان منه، وهكذا يفر من كل مؤمن عنده قوة إيمان. . ولذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه: « التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر. . فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسٍ . . وشيطان

المؤمن مهزول أشعث أغبر عارٍ . . فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن . . مالك مهزول؟ فقال . . أنا مع رجل إذا أكل سمّى الله فأظل جائعاً . . وإذا شرب سمّى الله فأظل عطشاناً، وإذا لبس سمىّ الله فأظل عُرياناً وإذا إدّهن سمّى الله فأظل شعثاً فقال شيطان الكافر: أنا مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه طعامه وشرابه ولباسه» . .

وروى ابن أبى الدنيا عن قيس بن حجاج قال . . قال شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور «أى البعير» وأنا فيك اليوم مثل العصفور . . قال . . قلت ولم؟ قال . . تُذيبنى بكتاب الله .

وهذا يُذكرنا بقول رسول الله ﷺ: « ما من امرءٍ مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله إلاّ بعث الله ملكاً يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب»[رواه الترمذى] . . والمسلم دائماً عليه أن يحتقر الشيطان . . والاحتقار لا يكون إلا بقوة الإيمان . . ولذلك ورد . . قال أحد الصحابة . . «كنت ردف النبىﷺ على حمار فعثرُ الحمار فقلت تعس الشيطان . . فقال لى النبىﷺ لا تقل تعس الشيطان إذا قلت تعس الشيطان تعاظم فى نفسه وقال صرعته بقوتى . . وإذا قلت بسم الله تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب»[رواه أحمد] . . ومما يجب أن نعرفه ما حذّرنا منه رسول الله ﷺ بقوله: « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها . . أو يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة»[رواه الترمذى] . .

وهذه دعوة للنظافة فلنغسل أيدينا قبل الأكل وبعده لأن الشيطان يحب الوساخة ويفرح بالقذارة . . وإذا لحس يد إنسان لرائحة طعام فيها وأصيب بمرض فلا يلومنَّ إلا نفسه لأنه ترك تعليمات الإسلام التى تؤكد على أن النظافة من الإيمان . .

«مُحاجَّة»

كل شىء فى هذه الحياة الدنيا بقدر الله وقدرته.. وكل شىء يقع فإنما يقع بوفق علم الله وإرادته وصدق الله العظيم ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].. ولقد حدث أن سيدنا موسى احتجَّ على سيدنا آدم.. وذلك أن سيدنا موسى وقف على قبر سيدنا آدم وأحيا الله سيدنا آدم لسيدنا موسى من باب معجزة الأنبياء.. وكلّم موسى آدم كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ: «احتجَّ آدم وموسى عليهما السلام.. فقال له موسى.. يا آدم.. أنت أبونا.. خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة.. قال له آدم.. يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده.. أتلومنى على أمر قدّر الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟ فحجَّ آدم موسى.. فحج آدم موسى.. فحج آدم موسى» [رواه البخارى].. وهذا يدل على أن الله قد أحاط بكل شىء علماً وعِلْمُ الله قديم قبل وجود المخلوقات كلها.. وآدم عليه السلام عندما نسى وأكل منَ الشجرة فهذا شىء مُقَدَّر لأن الله خلق آدم ليكون خليفة على الأرض وآدم يقول لموسى أنت تَعْلَم أن هذا كُتب علىّ قبل أن أُخلق.. وقُدِّر علىّ فلابد من وقوعه، ولو حرصتُ أنا والخلائق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر فلا تلومنى على ذلك لأن اللوم على الذنب شرعى لاعقلى.. ولقد تاب الله علىّ فغفر لى وزال عنى اللوم.. ولكن هل كل إنسان يفعل الذنب يحتج بقدر الله وبناء عليه يسقط عنه اللوم والعقوبة.. لا.. لأن الله سبحانه وتعالى بيّن وفصّل كما بيّن الحدود.. وفصّل العلماء ذلك فى كُتُب الفقه، وقالوا بأن العاصى والمذنب والمجرم تجرى عليهم أحكام المكلفين من العقوبة واللوم.. والتوبيخ والتعزير وإقامة الحد.. لأن إقامة هذه الأشياء على المنحرفين زجر لغيرهم.. وصيانة لحقوق الآخرين.. وبهذا يتضح أمام أعيننا أن الحق سبحانه قَبِلَ توبة آدم.. وإن كانت هى من وسوسة الشيطان.. ونسى آدم عهد الله إليه بعدم الأكل من الشجرة.. والإنسان العاقل إذا فعل ذنباً وتاب منه: لكن يدُ العدالة أمسكت به لتنفذ فيه عقوبة هذا الذنب فعليه أن يرضى بالأمر الواقع ولايسخط على القدر.. لأن الإيمان بالقضاء والقدر يُريح النفس ويكسب الإنسان ثقة فى نفسه وقوة فى إيمانه ويجعله من سعداء الدنيا والفائزين يوم القيامة.

"افتراء"

من الأمور المعلومة إن إبليس هو أسفه السفهاء بدليل قول الجن عنه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن:٤] .. هذا قول الجن فيه وهم إخوانه وأبناء ذريته.. وطبيعة الجن أنهم يُحرّفون الكلم عن مواضعه كما أن طبيعتهم الافتراء هذا شأنهم دائماً وأبداً.. ويحبون دائماً أن يلصقوا أعمالهم الخسيسة على الأبرياء والأنبياء والرسل.. لذلك افتروا على سيدنا سليمان وزعموا بأنه يعلِّم الناس السحر.. وسليمان نبى عظيم ورسول كريم من بيت الملك والنبوة والسمعة الحسنة.. وليس من المعقول أبداً أن يعلِّم الناس السحر.. لأن السحر شعوذة.. وتمويه بِحيَل تقع تحت حركات وأحوال يظن الرائى أنها هى المؤثرة .. مع أن المؤثر خفى.. كما نرى ذلك الآن على المسرح من تحريك العرائس والدُّمَى.. وأصابع الممثل هى التى تحركها من خلف الستارة.. وقد أطلق السحر على الخديعة.. أى ما عُلِمَ ظاهره وخَفِىَ سببه.. فيحدث التمويه والتلبيس وتخييل غير الواقع وترويج المحال.. والسحر يقلب الأعيان ويموه على الناظرين ويطوِّع المسحور للساحر.. ولذلك كانوا يقولون: «إن الغول ساحرة الجن» وذلك لما تتشكل به من أشكال حين تعرضها للإنسان.. وقريش نفسها لمّا رأوا معجزات النبىﷺ.. قالوا.. إنه ساحر.. وقد أخبرنا الله عن ذلك بقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] .. ويقول فى آية أخرى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر:١٤] فالسحر إذاً يعتمد على:

١ - استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من الحيوان والمعدن وهذا يرجع إلى خصائص طبيعية كخاصية الزئبق إلى غير ذلك من أشياء يستخدمونها فى التمويه.. ولذلك سرعان ما ينكشف ألاعيب السحرة إذا فقدت هذه الأشياء خاصيِّتها.. ولهذا أشار الحق سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩] ..

٢ - زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما يعتاده الساحر من قدرته على التأثير النفسانى فى غيره (المسحور) الذى يشعر بالضعف لذلك يُسخِّره الساحر

لحسابه وتحقيق أهدافه وإلى هذا أشار الحق سبحانه عن سحرة فرعون: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:١١٦] . . وفى آية أخرى: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦] . .

٣ – الشعوذة واستخدام خفايا الحركة والسرعة والتموج حتى يُخيّل إلى الإنسان أن الشيء الجامد يتحرك وإلى ذلك الإشارة بقول الله تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ . .

وهذه الأمور الثلاثة كلها أعمال مباشرة الهدف من ورائها تطويع المسحور والتأثير عليه بمقدار قابلية نفسه. . فالإنسان القوى يرفض ولا يستجيب معتقداً أن كل شيء بقضاء الله وقدره مستنداً فى ذلك إلى قول الله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢] . . وكذلك ما روى أن اليهود فى المدينة عن طريق شخص يُدعى (لبيد بن الأعصم أراد أن يسحر النبى ﷺ) لكن الله أبطل كيدهم ولم يفلح سحرهم، ومن المؤكد أن النبى ﷺ لم يُسحر لأن الله عصم رسوله من أن تناله يدُ أى بشر بالإيذاء لقول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] . . وإذا كان الله يحمى أولياءه من أعمال السحرة المشعوذين أفلا يحمى نبيَّه وهو أطهر من مشى على الأرض وأعظم من ظلّلته السماء. . أما النفوس الضعيفة فهى التى تتأثر بعمل السحرة. . ولذلك نرى أن سيدنا موسى عليه السلام عندما رأى أن حبال السحرة تتحرك :(وخيل إليه ذلك) لأن حركة الحبال لم تكن حقيقية لذلك خاف موسى، ولكن الإلهام الإلهى قوّاه فيقول الحق سبحانه : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٧ – ٦٩] . . ولقد تطور أعمال السحر حيث يقوم الساحر برسم أشكال يُعبّر عنها بالطلاسم أو عقد عُقد فى منديل أو خيوط والنفث عليها برقيّات مُعيّنة تضمن الاستنجاد بأسماء الشياطين أو الجن وآلهة الأقدمين وكذا كتابة اسم المسحور فى أشكال أو وضع صورته أو بعض ثيابه وتوجيه كلام إليها يزعم الساحر أن ذلك يؤثر فى ذات المسحور أو أن السحرة يستعملون إشارات خاصة نحو جهة معينة ويُسمون ذلك بالأرصاد (أى رصدهم للنجوم وحركتها).

والذى لاشك فيه أن المسحور هو مصاب بضعف الإرادة . . ولطافة البنية . . وجهالة العقل . . وقلّة العلم والمعرفة . . ولهذا كان أكثر الناس تصديقاً لأعمال السحر . . المصابون بالاضطراب النفسى وضعف الوازع الدينى كذلك بعض النساء والصبيان والعامة . . لأن الساحر من أجل نجاح عمله لابد أن يكون قوى العزيمة ليستطيع التأثير على المسحور وأن يكون مفرط الذكاء لينقلب من موقف إلى آخر ويُغيِّر اتجاهات الكلام حسبما يرى من المواقف . . قوى الإرادة . . كتوماً للسر . . لا يضطرب ولا يخاف . . لا يُفشى سرَّه لأحد . . له أعوان يستعين بهم فى التجسس على الأسر والتعرف على خبايا البيوت والمشى بالنميمة والسعى بها بين الناس لشحن قلوبهم بالعداوة على بعضهم خاصة بين الأزواج ليُفشى كل واحد منهم سر الآخر ثم يتحايلون على المرأة لتغاضب زوجها ويطلب من الزوج أن يطلق زوجته ثم يتدخل هو ليعلن قدرته على رد الأمور إلى ما كانت ويزعم أنه يعمل أحجبة ولها تأثير قوى . . ولن يتورع الساحر عن إيذاء من يحاول اعتراض طريقه كأن يسلط عليه بعض الأشرار ليضربوه أو يخطفون زوجته أو أحد أولاده إلى غير ذلك من الأعمال الضارة والتى تجعل الساحر يستولى على أفكار الناس الضعاف وهم يفعلون ذلك كل همِّهم إفساد الجو العام عن طريق الخوف والذعر من الجن وفعله . .

إن السحر أنواع وكل نوع يُسَلِّم إلى نوع آخر . . وكل هؤلاء السحرة يستعيذون بالجن . . والجن تفرح بهم لأنهم يُضلّون الناس ويُحرفون الكلم عن مواضعه ولاشك أن عمل السحر كفر ومن تعلّمه فقد انزلق إلى الكفر . . يقول أبو حنيفة ومالك وأحمد (يكفر من يتعلم السحر) وقد حكموا بذلك لأنه يُستعان فى تحصيله بالتقرب إلى الشيطان وتسخيره ومدحه كذلك يتقرب الساحر إلى النجوم وقد يسجد لها لذلك حكم مالك وأحمد بقتل الساحر إذا مارس السحر . . وقال أبو حنيفة والشافعى إن قتل بسحره إنساناً قُتل . . وإن الشىء المخجل فى عصرنا هذا أنك تقرأ فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والنشرات الدورية عن قارئ الأفكار وأعمال السحرة وقارئات الفنجان . . وحظك هذا الأسبوع إلى غير ذلك من الأمور التى يُموِّهون بها على الناس . . والشياطين ينسبون كل ذلك إلى سيدنا سليمان وهو برئ من هذا الاتهام . . وقد أكّدَ الحق ذلك فى قوله سبحانه: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو**

الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْك سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ ﴾ [**البقرة**:١٠٢] . . فسليمان برئ من السحرة أعوان الجن والرسول ﷺ يُخبرنا أن من أتى عرّافا أو كاهناً فصدّقه بما قال فقد كفر بما أُنزل على محمد وإن من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر. . وأن من عمل عملا للتفريق بين المرء وزوجه فقد ارتكب جريمة كبيرة وإثما فظيعاً. . وأن من ربط رجلا عن زوجته فهو خائن مجرم فى حق نفسه، وحق المجتمع . .

وأعوان الشيطان واتباعه لم ييأسوا بل لهم ألاعيب وحيل منها . .

١ – الزّار . . جاء فى كتاب (العرّافون والدجالون). . لقد أحدث الناس حفلات لم تكن من دأب سلفنا الأولين ولكنها من مبتدعات هذا الزمان الذى راجت فيه المنكرات وطفت فيه الماديّات والاستمتاع بكثير من الشهوات ومن تلكم الحفلات حفلات الزّار الآثمة التى تُقام بحجة شفاء المريض وإزالة ما ألمّ به من صرع. . وحفلات الزار يكثر فيها الفساد. . ويُمحى فيها الاحتشام . . ويُنفق فى سبيلها أموال طائلة طالما سَّببت أزمات اقتصادية ومساوئ خُلقية ومضار اجتماعية. فكم من ثروات أُبيدت. . وكم من أسر إنهار بناؤها وتلاشى عزّها. . وكم من أعراض هُتكت فى هذه الحفلات الماجنة. . وقد تمرض المرأة فيأتى إليها شياطين الإنس من النساء فَيتَّجرن بعقلها ويُزيَنّ لها أنّ ماَ دهاها صرع من الجن وبحفلة زار بسيطة يذهب المرض ويطلبن منها طلبات يَعُزُّ وجودها ويثقل كاهل زوجها ومن الدجاج والخراف أصنافاً وأنواعاً علاوة على الهدهد اليتيم والنملة المطلقة. . فإذا أقيم الحفل فإن المجتمعين يُسمُّون المريضة عروسة ويخلعون عليها من الثيات غالية الثمن قصيرة الأجل ويُركبون العروسة جملا ويوقدون حولها الشموع ويضربون بالدفوف ويصحن النساء بالأغانى التى تستهوى الأفئدة وهنالك يعترى المريض نشوة من أثار الدفوف والغناء وتظن العروس أنها شُفيت ولكن بعد برهة من الزمن

يعاودها المرض ويبدأ العفريت فى طلبات جديدة حتى إذا نفذ ما فى الجيب.. وخوى البيت من عفشه ترك الناس المريضة حتى تموت.. ولذلك قالوا..

ثلاثـة تشقى بهـن الـدار ✪ العـرس والمأتم والـزار

وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل إن بعض النساء يتخذن هذه الحفلة لأغراض غير شريفة.. وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل هناك فساد أخطر مما يدل على أن أبليس لم ولن ييأس من ذلك.

"الصرع"

الصرع عبارة عن اختلال يصيب الإنسان.. وناتج ذلك عن.. اختلال فى أعصاب المخ.. واختلال فى عقله واختلال فى حركات المصروع فيتخبط فى حركاته وتصرفاته ومن هنا لا يستطيع أن يتحكم فى أعصابه فتتعثر خطاه ويقع مشلول الحركة.. إذاً الصرع علَّة تمنع الأعضاء الرئيسية عن انفعالها منعاً غير تام.. وسبب ذلك.. ريح غليظة تنحبس فى منافذ الدماغ أو بخار ردئ يرتفع إليه من بعض الأعضاء يتبع ذلك تشنج فى الأعضاء يترتب عليه وقوع الإنسان على الأرض وهو منَصب ويقذف بالزبد من فمه لغلظ الرطوبة.. وقد يأتى ذلك نتيجة لتلبُّس بعض النفوس الخبيثة بالإنسان.. إمّا لاستحسان الصورة التى تلبَّس بها وإمّا لإيقاع الأذى بالإنسان ويؤخذ هذا من قول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ [**البقرة**:٢٧٥].. قال الحافظ ابن كثير أى (أن أكلة الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياماً منكرا)[١].. ويقول الألوسي: «إن الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ قياماً كقيام المصروع من الدنيا والتخبط تفعُّل بمعنى فعل وأجّله ضرب متوال على أنحاء مختلفة.. وقوله من المس.. أى الجنون.. يُقال مُسُّ الرجل فهو ممسوس إذا جُنَّ.. وأصله اللمس باليد.. وسُمِّىَ به لأن الشيطان قد يمس الرجل وأخلاطه مستعدة للفساد فتفسد ويحدث الجنون»[٢]..

---

(١) ابن كثير، جـ١، ص٣٢٦.

(٢) عالم الجن فى ضوء الكتاب والسنة، ص٢٦٣.

إذا كان القرآن الكريم قد وضّح ذلك والآية صريحة فإن الأمر يتطلب معرفة العلاج الذى يتلخص فى قوة الإيمان وصحة العقيدة . .

"السُّنَّة النبوية"

وقف أهل العلم موقف التسليم أمام كثرة النصوص المخبرة بدخول الجن أجسام الإنس . . بعد أن أخبر الوحى الصادق بذلك . . والمعروف أن الجن أجسام لطيفة فليس هناك ما يمنع من سلوكهم فى بدن الإنسان . . ذلك لأن اللطيف يسلك فى الكثيف كالهواء مثلا . . فإنه يدخل فى أبداننا وكالنار تسلك فى الجمر وكالكهرباء تسلك فى الأسلاك وكالماء يسلك فى الأتربة والرمال ولهذا يقول الرسول ﷺ : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»[رواه البخارى] . . وكان من دعاء النبى ﷺ إذا دخل فى الصلاة يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه»[1] . .

(وهمزه . . جنس من الجنون والصرع يعترى الإنسان فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم والسكران)[2]، وقيل : (همزه . . الموتة . . وهو الخنق الذى هو الصرع)[3] . ونفخه . . الكبرياء . . ونفثه . . الشعر . . (وهذا الحديث يُثبت صرع الجن للإنس حيث ورد فيه استعاذة النبى ﷺ من الهمز . . وقد ورد فى تفسير الهمز . . بأنه الموتة التى تأخذ الإنسان فى حياته وهى الصرع . . إذ أن المصروع يصل بهذه الحالة إلى درجة الأموات لما يُعانيه من ألم الصرع)[4] . . ومن دعاء النبى ﷺ فى هذا المقام «اللهم إنى أعوذ بك من الهرم والتردى . . والهدم . . والغم والحريق والغرق . . وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأن أُقتل فى سبيلك مُدبراً وأعوذ بك أن أموت لديغاً»[5] وتخبط الشيطان للإنسان . . إذا مَسَّهُ بِخَبَل أو جنون»[6] ومع كل هذا فهناك أحاديث تُثبت تسلّط الشياطين على بعض الناس . . من ذلك . .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى .
(٢) لسان العرب، جـ٦ ، ص٤٢٩٦ .
(٣) البداية والنهاية، جـ ١ ، ص٦١ .
(٤) عالم الجن فى ضوء الكتاب والسنة .
(٥) رواه أبو داود والنسائى .
(٦) لسان العرب، جـ٢، ص١٠٩٤ .

١ - عن عطاء بن أبى رباح قال: « قال لى ابن عباس. . ألا أُريك إمرأة من أهل الجنة؟. . قلت : بلى. . قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت: أنى أُصرع . . وإنى أتكشّف . . فادعُ الله لى. . قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوة الله أن يُعافيك؟ فقالت: أصبر. . فقالت: إنى أتكشّف فادعُ الله لى ألا أتكشف فدعا لها»[رواه البخارى ومسلم].

٢ - عن جابر بن عبدالله قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات الرقاع حتى إذا كنا بحرِّة واقم عرضت امرأة بدوية بابن لها فجاءت إلى رسول ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابنى وقد غلبنى عليه الشيطان. . فقال: أدنيه منىِّ فأدنته منه . . قال. . افتحى فمه ففتحته فبصق فيه رسول الله ﷺ ثم قال: إخسأ عدو الله وأنا رسول الله قالها ثلاث مرات. . ثم قال: شأنك بابنك ليس عليه فلن يعود إليه شيء مما كان يُصيبه»[رواه الطبرانى فى الأوسط]. .

٣ - عن مطر بن عبدالرحمن الأعنق. . قال: « حدثتنى أم إبَّان بنت الوازع ابن زارع ابن عامر العبدى عن أبيها. . أن جدّها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون - أو ابن أخت له- قال جدّى. . فلما قدمنا إلى رسول الله ﷺ بالمدينة. . قلت: يا رسول الله. . إنى معى ابنا لى - أو ابن أخت لى- مجنوناً. . أتيتك به فتدعو الله عز وجل له. . قال : ائتنى به. . فانطلقت إليه وهو فى الركاب فأطلقت عنه[1] . . وألقيت عليه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ فقال. . أُدنُه منىِّ واجعل ظهره مما يلينى. . قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ويقول: أخرج يا عدو الله. . أخرج عدو الله. . فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول. . ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه فدعا له ومسح وجهه فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يَفضُل عليه»[رواه الطبرانى].

(١) كان قد ربطه وأوثقه مخافة الهرب.

عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله.. إن به لمماً[1].. وأنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له.. فثعثعة[2].. فخرج من فيه مثل الجرو الأسود فسعى»[3].

٥ - عن عثمان بن أبى العاص (قال.. لمّا استعملنى رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لشيء فى صلاتى حتى ما أدرى ما أصلّى فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ.. فقال: ابن أبى العاص.. قلت: نعم يا رسول الله.. قال: ما جاء بك؟.. قلت: يا رسول الله.. عرض لى شيء فى صلاتى حتى ما أدرى ما أُصلّى.. قال: ذاك الشيطان.. أُدنُه.. فدنوت منه.. فجلست على صدور قدمى.. قال: فضرب صدرى بيده وتفل فى فمى.. وقال: اخرج يا عدو الله.. ففعل ذلك ثلاث مرات.. ثم قال: إلحق بعملك.. فقال عثمان: فلعمرى ما أحسبه خالطنى بعده»[رواه ابن ماجه].

"علاج الصرع"

الصرع هو ارتباك فى جسم الإنسان وخلل مُفاجئ فى كهرباء المخ ويأتى بطريقة التشنج العضوية والتى تبدأ فى مراكز الحركة بالمخ نتيجة تغيرات فسيولوچية عضوية.. يفقد معها المريض إحساسه وشعوره تماماً.. وعلاج هذا عند الأطباء النفسانيين وأطباء المخ وأهل التخصص فى هذا المجال.. وهناك صرع نفسى يظهر بنوبات تشنجية نفسية تبدأ فى مراكز الإحساس على شكل إحساسات مختلفة يكون مظهرها الأساسى تغيرا عقلياً لا يفقد معها المريض إحساسه وشعوره تماماً وهذا النوع الذى يُعالج وأول شيء نستدل به على ذلك هو فعل الرسول ﷺ مثل:

---

(١) لمماً: أى جنون.

(٢) أى تقيأ.

(٣) رواه أحمد والدرامى فى مجمع الزوائد جـ٩، ص٢.

١ - عن أُبى بن كعب قال: « كنت عند النبى ﷺ فجاءه اعرابى فقال: يا نبى الله إن لى أخاً وبه وجع.. قال: وما وجعه؟ قال.. به لمم.. قال فأتنى به.. قال فوضعه بين يديه فعوّذه النبى ﷺ بفاتحة الكتاب.. وأربع آيات من أول سورة البقرة ثم هاتين الآيتين ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ وآية الكرسى وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ وآية من الأعراف ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ** ﴾ وآخر آية من المؤمنين ﴿ **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ** ﴾ وآية من سورة الجن ﴿ **وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا** ﴾ وعشر آيات من أول سورة الصافات.. وثلاث آيات من سورة الحشر ثم ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ والمعوذتين.. فقام الرجل كأنه لم يَشْكُ قط »(١).

٢ - عن خارجة بن السلط عن عمه أنه أتى النبى ﷺ فأسلم ثم أقبل راجعاً من عنده فمرَّ عندهم رجل مجنون موثق بالحديد.. فقال أهله.. إناَ حُدِّثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخبر فهل عندكم شىء تُداوونه به؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطونى مائة شاة.. فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته.. فقال.. هل قلت غير هذا؟ قلت: لا.. قال: خذها .. فلعمرى لمن أكل برقية باطل.. فقت أكلت برقية حق»[رواه أبو داود].

٣ - ولقد عالج عبدالله بن مسعود المصروع بقراءة القرآن وأقره النبى ﷺ على ذلك من ذلك.. روى أبو يعلى عن حنش الصمعانى عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ فى أُذن مُبتلى فأفاق.. فقال له رسول ﷺ: ما قرأت فى أُذنه؟ قال.. قرأت: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً** ﴾ إلى آخر سورة المؤمنون.. فقال رسول الله ﷺ: « لو أن رجلاً موفقاً قرأها على جبل لزال»(٢).

٤ - الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عالج الصرع.. فقد حدث.. أن أنفذ إليه المتوكل مَنْ يُعلمه .. أن له جارية بها صرع ويسأله أن يدعو الله لها

(١) ابن حبان، مجمع الزوائد، جـ٥، ص١١٥.
(٢) مجمع الزوائد، جـ٥، ص١١٥.

بالعافية. . فبعث أحمد بن حنبل بتلميذ له وأعطاه نعلاً من خشب كان يتوضأ به وقال اذهب إلى دار أمير المؤمنين واجلس عند رأس هذه الجارية . . وتقول له. . يعنى للجن« يقول لك أحمد أيهما أحب إليك. . تخرج من هذه الجارية أو تُصفع بهذا النعل سبعين مرة. . فمضى. . وقال له ما قاله الإمام له. . فقال له المارد على لسان الجارية. . السمع والطاعة. . لو أمرنا أحمد بن حنبل ألاّ نُقيم بالعراق ما أقمنا به . . إنه أطاع الله ومن أطاع الله أطاعه كل شيء وخرج من الجارية. . وهدأت ورُزقت أولاداً. . فلما مات الإمام أحمد عاودها المارد. . فأرسل المتوكل إلى صاحبه فأخذ النعل ومضى إلى الجارية. . فكلّمه المارد على لسانها لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل منك. . أحمد بن حنبل أطاع الله فأمرنا بطاعته»[1]. . ويتبيّن من هذه ومن الذى قبلها أن يُشترط فيمن يعالج هذه الأشياء أن يكون على درجة عالية من الإخلاص لله مُؤدياً الفرائض والنوافل من أهل الخير والصلاح حسن السمعة عف اللسان لا يحقد على أحد ولا يحسد.

٥ - شيخ الإسلام بن تيمية عالج الصرع كما يحكى تلميذه ابن القيم. .فيقول: شاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع مَنْ يخاطب الروح فيه ويقول: يقول لك الشيخ أُخرجى فإن هذا لا يحلّ لكِ فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه. . وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولا يحس بألم. . وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً. . وكان كثيراً ما يقرأ فى أذن المصروع ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾ يقول ابن القيم. . وحدّثنى مرة أنه قرأها فى أُذن المصروع فقالت الروح الشريرة. . نعم. . ومدَّ بها صوته قال. . فأخذت له عصا وضربته بها فى عروق عنقه حتى كلّت يداى من الضرب ولم يشك الحاضرون بأنه يموت بعد ذلك الضرب. . وفى أثناء الضرب قالت الروح أنا أُحبه. . فقلت لها وهو لا يُحبك. . قالت: أنا

(١) آكام المرجان، ص١١٥.

أريد أن أحج به . . فقلت لها وهو لا يريد أن يحج معك . . فقالت أنا أدعه كرامة لك . . فقلت لها لا . . ولكن طاعة لله ولرسوله ﷺ . . قالت: فأنا أخرج منه . . فقال: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً . . وقال: ما جاء بى فى حضرة الشيخ؟ قالوا له . . وهذا الضرب كله؟ وقال: ولِمَ يضربنى الشيخ ولَمْ أُذنب؟ ولم يشعر بالضرب الذى وقع عليه[1].

"دوافع مس الجن للإنسان"

الدوافع التى تدفع الجن لأن يتلبس بالإنسان كثيرة أهمها:

١ - عشق الجن للإنس . . وفى هذا قد يكون بينهما لقاء جنسى . . لكنه من المؤكد أنه لا يكون بينهما إنجاب لاختلاف الطبائع وطرق المعيشة.

٢ - ظلم الجنِّى للإنسى . . كأن يقع من الإنس ظلم للجن وهو لا يدرى . . كأن يقوم برمى ماء ساخن فى مكان به جنِّى وهو لايشعر به أو أن يقع الإنس على الجنى فيؤذيه . . أو يصرخ الإنس فى مكان به جنِّى فينزعج . . وهذا كله من باب الظلم . . فأما من ناحية العشق فإن ذلك من باب الفواحش التى حرّمها الله تعالى . . لأن الله شرع الزواج وله أساليب محددة ولا يتفق الزواج بين الإنس والجن . . وأما النوع الثانى فإن الإنسان لم يعلم ولا يتعمد أذى الجن ومن الإنصاف ألاّ تمكث الجن فى ملك الإنس . . ولكن على أى حال هذا ما يقع . . وقد سمعنا فى عصرنا الحديث نماذج لمثل هذه الأشياء لكن الحق أقول . . هناك مبالغة جداً من بعض الأشخاص الذين يزعمون أن عشقاً وقع من الجن لهم . . أو هناك من ظُلم حيث حلَّ الشيطان فى جسمه بداعٍ أو بغير داع . . لكن على أية حال إن صحَّت هذه الظاهرة فهى نتيجة لضعف الإيمان وتكالب الناس على الشهوات وما أصابهم من غفلة شديدة عن أداء العبادات وما سيطر عليهم فى حياتهم من خوف شديد . .

(١) الطب النبوى، ص٥٣ بتصرف.

أو ما ينتابهم من عامل نفسى يؤدى إلى الانفعال والغضب الشديد لذلك يصاب الإنسان بأرق فى النوم. . وقلق. . وإن نام رأى كأن شيئا يُضايقه فى منامه ويريد أن يستغيث فلا يستطيع وهذا ما نُسمِّيه (بالكوابيس والأحلام المزعجة) وعندما ينتاب الإنسان ذلك يُصاب الإنسان بصداع شديد يستتبعه . . شرود ذهنى مع خمول وكسل. . ويشكو بعض الآلام فى جسمه لكن الأطباء تعجز عن تشخيص المرض.

"كيف يدخل الجن فى جسد الإنسان"

الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥] ومارج من نار. . طرف اللهب. . وهو الهواء الساخن. . فالجن إذاً ريح. . وجسم الإنسان به مسام فيمكن للجن أن يدخل من أى مكان فى جسم الإنسان . . وعندما يدخل يتجه مباشرة إلى المخ ويستطيع أن يؤثر على أى عضو. . لأن تأثير المخ على جميع الأعضاء أمر معروف. . وقد أثبتت البحوث الطبية أن مرضى الصرع لديهم ذبذبات أثيرية غريبة مستقرة فى المخ. .

فالذى به مُس من الجن له أعراضه الخاصة به ويجب على من يتصدى لعلاج هذا النوع أن يكون متحلياً بالأخلاق الفاضلة وأن يكون عالماً بأحوال الجن ومداخل الشيطان وأن يكون متزوجاً متجنباً للحرمات موالياً ربه بالطاعات لأن هذا ما يعينه على إذلال الشيطان.

وإذا كانت المريضة أنثى فلا تجلس أمام المعالج إلاّ محتشمة وأن يكون معها أحد محارمها . . ويبدأ المعالج فى إعطاء المريض وأهله درساً فى قوة الإيمان وسلامة اليقين وألا يكون مع المريض الذى يعالج حجاب وألاّ تستعمل الموسيقى وإبعاد الصور الخليعة عن المكان إلى غير ذلك من الأمور التى يجب أن يتنبّه لها المعالج. . وأن يكون كل من بحضرة العلاج محافظاً على الصلاة غير مضيّع لها. . ويلاحظ أن مس الجن للإنس على مراحل أهمها:

١ – مس طائف . . وهو لا يستغرق أكثر من دقائق. . ونظراً لقوة يقين الإنسى فلا يستمر الجنى معه ويهرب.

٢ – مس جزئى. . وهو أن يمس الجنىِّ عضواً من جسم الإنسى كذراعه أو رجله. .

٣ – مس طويل. . يستمر الجنى فى جسم الإنسى مدة طويلة.

٤ – مس كلى. . وهو أن يمس الجن جسد الإنسان كله.

ذلك لأن كل إنسان منا له قرين من الجن وقد سبق وأن وضحناه وسقنا الأدلة عليه. . ولهذا ننصح كل إنسان أن يعيش دائماً على وضوء وأن يدخل إلى فراشه للنوم وهو على وضوء فإن الوضوء سلاح المؤمن. . وعلى الإنسان أن يحافظ على الصلاة وبين الحين والحين يقرأ الإنسان آية الكرسى أو الآيتان الإخيرتان من سورة البقرة.

«ســـؤال»

يسأل كثير من الناس. . لماذا يسكن الشيطان فى بلادنا ويلعب بعقولنا ويصيبنا بالصرع وغير ذلك، ولم نسمع بذلك فى بلاد الإفرنج؟ فقلت له بلاد الإفرنج فيها عفاريت وجان أكثر من هنا ولكن لأنهم فى المعاصى يعيشون ولكل أنواع المبيقات يرتكبون فهم أصبحوا من أولياء الشيطان ويكونون حزبه ويسيرون على حسب هواه. . لذلك اطمأن عليهم وليس فى حاجة لأن يلعب معهم وإنما هو يأتى إلى المسلمين ليغويهم لأنهم حزب الله. . وأولياء الله. . فهم أتباع الله، وبالتالى فهم أعداء الشيطان. . وعلى ذلك يحاول إغواءهم . . ونحن عندنا السلاح الذى نحارب به الشيطان لكننا لا نستعمله والسلاح هو ما قاله رسول الله ﷺ: « إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه»، وفى حديث آخر «لاتجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»[رواه مسلم]. وفى حديث آخر: « إن لكل شىء سناماً وإن سنام القرآن

سورة البقرة . . وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تُقرأ خرج من البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة»[رواه الحاكم] . . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى حديث رواه عبدالله بن خُبيب رضي الله عنه قال: خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبى ﷺ ليصلى لنا فأدركناه . . فقال: قل . . فلم أقل شيئاً . . ثم قال: قل . . فلم أقل شيئاً . . ثم قال: قل . . قلت يا رسول الله . . ما أقول؟ قال . . « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تُمسى وحين تُصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شىء» [رواه أبو داود] . . وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قلت . . بلى . . قال: قل أعوذ برب الفلق . . وقل أعوذ برب الناس»[رواه مسلم] . .

هذا ومن الملاحظ أنه على الإنسان أن يغض بصره عن تتبع النساء فالرسول ﷺ يقول: « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء» [رواه البخارى] . . وفى حديث آخر: « إياكم والدخول على النساء . . فقال رجل من الأنصار . . أفرأيت الحمو؟ قال . . الحمو . . الموت»[رواه البخارى] . . وعلى الإنسان أن يحفظ لسانه لأن هذه وسائل الشيطان وأن يبتعد عن الجدل . . هذا ما نحارب به الشيطان وهى أسلحة جرّبها العلماء وتمسك بها الصالحون فنجحوا فى حياتهم ولنبتعد عن السحر والحسد والحقد والكراهية وكل شىء مذموم . . لأن إبليس اللعين رآه أحد الصالحين وهو يحمل على كتفه (خرجا) . . فقال الصالح ماذا تحمل يا إبليس؟ قال أحمل بضاعتى أوزعها على الناس . . قال : وما بضاعتك؟ . . قال : الحقد أوزعه على العلماء . . والغيرة للنساء . . والحسد للأمراء والوزراء . . وهذه بضاعتى أنشط فى توزيعها صباح كل يوم . . فإذا كنا قد عرفنا البضاعة وعرفنا الأساليب والحيل سهل علينا أن نتجنبه . . وصدق الله العظيم: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [**فاطر** : ٦] . .

إن أتباع الشيطان يُنسيهم ذكر الله . . لذلك قال الحق لنا موضحاً: ﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [**المجادلة**: ١٩] . .

هذه الرحلة قطعناها معك لنُبيّن لك أن الشيطان لا يقبل الإنسان أن يصاحبه ولا يتبع طريقه لأنه عدو مُضل مُبين.

أما الملائكة فهم الأطهار الأبرار الكرام الذين يحافظون عليك ويقفون معك فى كل أزمة ويساعدونك ويكونون معك فى كل طريق يحققون لك السعادة ورفاهية المعيشة مع اطمئنان البال وهدوء النفس وراحة القلب . . وقد وضحنا ذلك لتكون على بيِّنة من أمرك . . ولا تخف من الشيطان لأنه أضعف من الضعف وكيده ضعيف وحيله مكشوفة وألاعيبه مفضوحة ويتم ذلك بشرط أن تكون طاهر الجسد سليم الصدر عندك صحوة ضمير وقوة عزيمة وتمسك بالحق لتكون من حزب الله الفالح الذين قال عنهم: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [**المجادلة**: ٢٢] . .

"عبث وجد"

من الجن من يعبث بالإنس فيؤذيه ويضره لمجرد العبث والتسلية لأنه كما يفعل الأدميون بعضهم مع بعض . . والشيطان أقل عقلاً وأكثر جهلاً لذلك يجاوز حدّه فى الإيذاء والإضرار بالإنس . . ويظهر هذا جلياً إذا أحبَّ جنِّىٌّ إنسياً . . فيتوله الجنى ويحاول خدمة محبوبة ويفعل أى شىء فى سبيل رضاه . . لكنه وهو يرضيه يتعبه ويُشقيه لأنه يعزله عن بنى جنسه . . ومن أجل إرضائه فهو يأتى له بطعام وشراب ولباس . . وهى أشياء مسروقة من عند أقوام لم يذكروا اسم الله على أشيائهم . . وفى لحظات الحب والأنس ببعضهما قد يُخبر الجنِّى الإنسىّ عن أشياء

مسروقة من مكان أو محل ويتصورون فى صورة الشخص السارق ويتأتى أصحاب الأشياء المسروقة يسألون فيخبرهم الإنسىّ . . ويقع الأمر تماماً كما قال، وهنا تكون الطامة الكبرى لأن الناس يثقون فى عميل الجنى وربما تكون هى مرة واحدة لا تعود . . وقد عبّر القرآن عن ذلك بقول الحق سبحانه: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ [**الجن**: ٦] . . لكن الشىء المؤكد أن الجن كذبه ولو صدقوا مرة واحدة طول حياة الإنسان الذى يتعامل معهم. . ولذلك كانت الشياطين والعفاريت والمردة لا تقترن إلاّ بمن على شاكلتها من أهل الكذب والفجور ولهذا قال الحق سبحانه موضحاً لنا هذا الموقف: ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴾ [**الشعراء**: ٢٢١ - ٢٢٣] علماً بأنه من المؤكد أن الشياطين والعفاريت لا تقترب من ساحة المؤمنين الصادقين أهل الإخلاص والتوحيد. .

«ظهور الجنِّىّ فى صورة آدمى»

الشيطان قد يتمثل فى صورة إنسان حتى يظن الذى يراه إنسان يعرفه كما أن الشيطان يلعب بعقول بعض الضعفاء فيجعلهم يستغيثون بالأموات فيردُّ عليهم بصوت ويزعم لهم أنه كتب لهم السلامة وخفَّفَ عنهم العبادة ويأخذ الشيطان بلب البعض ويلعب بعقول الناس على أنه ولىٌّ ينجدهم عند المهالك ويُنجيِّهم عند الأزمات وهناك بعض الجن من المؤمنين ظهروا بالوفاء ورد الجميل إلى من قدّم إليهم الجميل. . لذلك روى. .

١ - أن رجلا دخل بوماً على هارون الرشيد. . فنظر إليه هارون وقال له أتعرف مَنْ قائلُ هذا البيت:

الخير أبقى وإن طال الزمان به ۞ والشر أخبث ما أوعيت من زادٍ

قال . . يا أمير المؤمنين . . لا . . ولكن له قصة يرويها الرواة. . قال: هاتها. . قال: يا أمير المؤمنين . . روى أن أعرابياً قال: كنت فى بعض السنين

قاصداً مكة فى قافلة عظيمة فلما توسطت القافلة البادية فى يوم شديد الحر . . سمعت ضجّة عظيمة فى القافلة ألحقت أوّلها بآخرها . . فسألت عن سبب الضجة فأجابنى رجل من القوم . . تقدّم تَرَ ما بالناس . . فتقدّمت إلى أول القافلة . . فإذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير . . فهالنى أمره . . وبقيت لا أهتدى إلى ما أصنع به . . فعدلنا عن طريقه إلى ناحية أخرى . . فعارضنا ثانية . . فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه . . فقلت . . أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب إلى الله بخلاص هذه القافلة من هذا . . وأخذت قربة من الماء فتقلّدتها وسللت سيفى وتقدّمت فلما رآنى قربت منه سكن . . وبقيت متوقعاً منه وثبة يبتلعنى فيها . . فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يُصبُّ فى الإناء فلما فرغت القربة تسبسب فى الرمل ومضى فعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لقصدنا . . ثم عدنا فى طريقنا ذاك . . وحططنا فى منزلتنا تلك فى ليلة مظلمة جداً . . فأخذت شيئاً من الماء وعدلتُ إلى ناحية من الطريق فقضيت حاجتى . . ثم جلست بعيدا عن القوم أذكر الله تعالى فأخذتنى سِنَةٌ من النوم فنمت . . فلما استيقظت لم أجد للقافلة حِساً لأنها ارتحلت . . ومكثت منفرداً وحيداً ولم أهتدِ إلى ما أفعله وجعلت اضطربِ وانتابتنى الهواجس وأخدتنى الحيرة وإذا بهاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول :

يا أيها الرجل المضل مركبه ۞ ما عنده من ذى رشاد يسحبه
دونك هذا البكر منا تركبه ۞ وبكرك الميمون حقاً تجنبه
حتى إذا ما الليل زال غيهبه ۞ وعند الصباح فى الفلا تُسيّبهُ

فنظرت فإذا ببكر قائم عندى . . وبكرى إلى جانبى . . فأنخته وركبته وجنّبت بكرى . . فلما سرت قدّر عشرة أميال لاح ضوء الفجر . . ولاحت لى القافلة . . وقف البكر الذى أركبه وعلمت أنه حان نزولى فتحوّلت إلى بكرى وقلت :

يا أيها البكر قد انجيت من كرب ✿ ومن هموم تُضلُّ المدلج الهادى
آلا تُخبرِّنــى بالـلــه خالـقـنــا ✿ من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجــع حميداً فقد أوليتنا مننـاً ✿ بُوركت من ذى سنام رائـح غـادى

فالتفت البكر إلىّ وهو يقول:

أنا الشجاع الذى ألفيتني رمضا ✿ والله يكشف ضُـرَّ الحائـر الصادى
فجدت بالماء لما ضَنَّ حامله ✿ تكرما منك لم تسمـح بإنكادى
فالخير أبقى وإن طال الزمانِ به ✿ والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منىّ لا أضِنُّ به ✿ فاذهب حميداً رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من أمر هذه القصة وأمر بكتابتها ثم قال:

إن الجميل وإن طال الزمان به ✿ فليس يحـصــده إلاّ الـــذى زرعا

والطرائف فى هذا الشأن كثيرة لأن الشياطين المردة يُقابلهم جزء مؤمن وإذا كان الشياطين الضالون يفسدون على الناس حياتهم فإن المؤمنين من الجن كذلك يتعاونون مع المؤمنين فى سبيل الخير.. من ذلك ما ذكره ابن أبى الدنيا عن رجل من التابعين.. أن حيَّة دخلت عليه خِباَءه تلهث عطشا فسقاها ثم إنها ماتت فدفنها فأتاه آتٍ بالليل فشكره وأخبره أن تلك الحيّة كانت جناً صالحاً من جن نصيبين.. اسمه زوبعة..

٢ - عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال ذات يوم لابن عباس حدِّثنى بحديث تُعجبنى به.. قال ابن عباس: حدَّثنى أبو خزيم بن فاتك الأسدى أنه خرج يوماً فى الجاهلية فى طلب إبل له قد ضلَّت فأصابها فى أُبرق العزّاف (وسُمِّى بذلك لأنه يُسمع فيه عزيف الجن) قال فعقلتها وتوسَّدت ذراع بكر منها ثم قلت.. أعوذ بعظيم هذا المكان.. وإذا بهاتف يقول:

ويحك عُذ بالله ذى الجلال مُنزِّل الحلال والحرام
ووحِّد الله ولا تُبال

قال . . فقلت :

يا أيـها الـدّاعِ فمـا تخـيل ۞ أرشْـدٌ عندك أم تضـليـل

فقال :

هذا رسول الله ذو الخيرات ۞ جاء بـ ياسين وحاميمات
وســـور بعد مفصـلات ۞ يَـدُع إلى الجنـة والنجـاة
يأمر بالصـوم والـصـلاة ۞ ويزجـر الناس عن الهنات

قال . . فقلت . . من أنت أيها الهاتف يرحمك الله . . قال : أنا مالك بن مالك بعثنى رسول الله ﷺ إلى جن نجد . . قال . . فقلت: لو كان لى مَنْ يكفينى إبلى هذه لأتيْنُه حتى أُومن به . . فقال: إن أردت الإسلام فأنا أكفيكها حتى أردَّها إلى أهلك سالمة إنشاء الله تعالى . . قال . . فامتيطت راحلتى وقصدت المدينة فبلغتها يوم جمعه فأتيت المسجد فإذا رسول الله ﷺ يخطب فأنخت راحلتى بباب المسجد وقلت . . انتظر حتى يفرغ من خطبته . . فإذا أبو ذر قد خرج . . وقال لى . . إن رسول الله ﷺ أرسلنى إليك وهو يقول لك . . مرحبا بك . . قد بلغنى إسلامك . . فادخل فصلٍّ مع الناس . . قال . . فتطهرت فدخلت فصلّيت ثم دعانى وقال . . ما فعل الشيخ الذى ضمن أن يردَّ إبِلَكَ إلى أهلك؟ أما إنه قد ردَّها إلى أهلك سالمة . . فقلت . . جزاه الله خيرا ورحمه . . فقال رسول الله ﷺ: أجل . . رحمه الله .

٣ - ما رواه مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضى الله عنهما . . قال . . كنت مع النبى ﷺ خارجاً من جبال مكة . . إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازه . . فقال النبى ﷺ مشْيَةُ جنىٍّ ونغـمته . . فقال الجنِّى . . نـعم . .فقـال النبى ﷺ من أى الجَن؟ قال . . أنا هامة بن الهيثم بن لاقيس بن إبليس . .

فقال . . لا أرى بينك وبينه إلاّ أبوين . . قال أجل . . قال: كم أتى عليك؟ قال أكلت الدنيا إلا أقلّها . . كنت ليلة قتل قابيل لهابيل غُلاماً ابن أعوام فكنت أتشوّف على الآكام وأورش بين الأنام[1] . . فقال: رسول الله ﷺ بئس العمل . . قال دعنى من العتاب فإنى ممن آمن بنوح وتُبتُ على يديه وأنى عاتبتُه فى دعوته فبكى وأبكانى وقال: إنى والله لمن النادمين . . وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . . ولقيت هوداً وآمنت به . . ولقيت إبراهيم وكنت معه فى النار عندما أُلقى فيها . . وكنت مع يوسف إذ أُلقى فى الجب فسبقتُه إلى قعره . . ولقيت شعيباً وموسى . . ولقيت عيسى بن مريم . . فقال لى: إن لقيت محمداً فاقرئه منى السلام . . وقد بلّغتُكَ رسالته وآمنت بك . . فقال النبىﷺ: على عيسى وعليك السلام . . ما حاجتك يا هامة؟ قال . . إن موسى علمنى التوارة . . وعيسى علمنى الإنجيل . . فعلمنى القرآن فعلّمه عشر آيات .

٤ - خرج جماعة من أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يُريدون الحج . . فلما كانوا فى منتصف الطريق . . رأوا حيَّة بيضاء . . تتثنَّى على الطريق يفوح منها ريح المسك . . فقال رجل من الجماعة . . امضوا أنتم فلست ببارح حتى أنظر ما يصير إليه أمرها . . قال . . فما لبست أن ماتت فظننت بها الخير لما كان من أثر الرائحة الطيبة التى تنبعث منها . . قال فكفّنتها فى خرقة ثم نحيّتُها عن الطريق ودفنتها . . وأدركت أصحابى فى العشاء . . وبينما نحن نتناول طعام العشاء . . إذ أقبل أربع نسوة من قِبل الغرب . . فقالت واحدة منهن . . عمراً . . فقلنا مَنْ عمر؟ فقالت . . أيّكم دفن الحيّة . . فقلت . . أنا . . قالت: أما والله لقد دفنت صوّاماً قوّاماً يؤمن بما أنزل الله عز وجل . . ولقد آمن بنبيّكم محمد ﷺ وسمع صفته فى السماء قبل أن يُبعث .

(١) أى أقوم بالوقيعة بين الناس والتحرش بهم .

«الخاتمة»

وبعد.. فإن الذى قطعناه معك.. رحلة مع الخلق.. الإنسان.. الملائكة.. الجان.. وقد طال الحديث فى موضوع الجان.. لأن إبليس اللعين توّعد ذرية آدم عليه السلام بالثأر والانتقام منهم.. وقد عرض وسائله الخبيثة التى سيباشر بها الانتقام.. وإبليس عليه اللعنة.. سأل ربه عز وجل بقوله: ﴿ **أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [**الإسراء**:٦٢] واحتنكنّ -أى استولين عليهم وسوف استأصلهم بالإغواء- لأن إبليس اللعين بدأ حواره الماكر مع الله عز وجل وطلب بدهاء وخبث فسحة من الوقت.. وقد أجاب الحق سبحانه وتعالى إبليس فى التأخير والإمهال.. وإبليس وإن استطاع أن يضلل الناس.. لكن ليس كلهم فهناك المؤمن والشيطان لا يخاف من أحد كما يخاف من المؤمن.. وإبليس وإن كان حاقداً على ابن آدم حاسداً له يتحيّن الفرصة للانتقام منه.. لكن إبليس يظل حائراً أمام المؤمن لا يعرف من أين يدخل عليه.. حتى فى حالة السحر.. أو التفريق بين الزوجين يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [**البقرة**:١٠٢].. ويقول الحق سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [**آل عمران**:١٧٥].. إن المؤمن دائماً يعيش مع الله ومن يكن مع الله فإن الشيطان لا يقترب من ساحته ولايؤثر فيه.. أما من يكن الشيطان له قريناً فهو صاحبه وتلميذه.. وصديقه وخليله.. ﴿ **وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا** ﴾ [**النساء**:٣٨].. وبلا شك القرين من الشياطين يأمر الإنسان بالبخل والحرص وكتم ما معه من المعلومات وبئس القرين قرين السوء الذى يأمر بذلك فهو العدو اللدود.. هذا ولقد علَّمنا رسولﷺ كيف نتعامل مع الجن إن ظننا أن الأشياء التى أمامنا منهم كأن يرى الإنسان كلباً أسود لأن هذا هو شيطان الجن أو يرى فأراً أو عرسة أو حيّة أو أى شى كعجل أو حمار فما يصنع الإنسان.. علَّمنا رسول الله ﷺ كيف نتعامل مع هذه الأشياء فى قوله: « إن فى المدينة جِنّاً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه

ثلاثة أيام فإن بدى لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»[رواه مسلم] . . والأذان والتخريج أن يقول الإنسان عندما يرى هذه الأشياء: « أنشدكن بالعهد الذى أخذه عليكن سليمان ابن داود ألاّ تؤذونا وأن لا تظهرن لنا».

ويقول الإمام مالك رضي الله عنه « يكفيه أن يقول أُخرج[1] عليكم بالله واليوم الآخر ألاّ تبدو لنا ولا تؤذونا» ومع ذلك فنحن نؤمن بأن الجن لا تعلم الغيب ولو كانت تعلمه ما لبثت فى العذاب المهين فإن سليمان عليه السلام سخّر الله له الجن تعمل له ما يشاء. . وكان من يخالف عن هذا الأمر يُنكل به ويقيّد ويُحبس ويُذل ويُقهر. . وكان سليمان عليه السلام يُسخِّر الجن فى كل عمل شاق متعب ومرهق. . وكان سليمان عليه السلام يراقبهم ويتابع أعمالهم وفى مرة من المرات وقف سليمان وقد استند إلى عصا. . ومات سليمان. . والجن تعمل وهى متعبة مرهقة وتظن الجن أن سليمان يراقبها. . لكنه فى الحقيقة ميت. . ولم يعلم أحد بموته حتى الجن المسخرون. . وبعد مدة زمنية . . أكلت الأرضَة عصا سليمان فوقع وعرف الجن بموته وقالوا لو كنا نعلم الغيب ما لبثنا فى هذا المهين يكشف لنا القرآن حقيقة هذا الموقف فيقول: ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ[2] وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ[3] فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** ﴾ [سبأ: ١٢ - ١٤] . . لهذا فإن المؤمن الذى يعتمد على بربه أمامه طريقين لا ثالث لهما:

---

(١) أى أناشدكم.

(٢) محاريب أى قصور: تماثيل أى صور مجسمة، حفان قصام كبار، قدور ثابتان على المواقد.

(٣) منسأته: عصاه.

١ - طريق الإسلام. . وهو طريق الحق يلتزم فيه الإنسان بطاعة ربه وتنفيذ أوامره واتباع هدى نبيّه ﷺ كل ذلك مع طهارة القلب وصدق النيّة والإخلاص لله رب العالمين. . هذا الفريق هو الذى تتنزل عليه ملائكة السماء تسُدد خطاه وتحفظه وترعاه. . وهذا الفريق له الأمن فى الدنيا والآخرة.

٢ - طريق الانحراف عن هدى الله وتعليمات رسوله. . ومن يسير فى هذا الطريق وليُّه الشيطان ورفيقه والسير فى هذا الطريق معوج ومنحرف وبه طرق متعددة تُوصِّل كلها إلى شر وفساد وإجرام كتعاطٍ للمخدرات والمسكرات وارتكاب الزنا حتى مع المحرمات وأكل الربا حتىً من الأب والابن وشهادة الزور والادعاء على الناس بالزور والبهتان لأن إبليس له مدرسة متعددة المناهج.

وإلى كل ذلك أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِراطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ [**الأنعام**: ١٥٣] . .

ووضح ذلك رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيماً. . وخط عن يمينه وشماله. . ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلاّ عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ قول الله: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِراطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ » [رواه النسائى] . .

وروى كذلك عن جابر قال: « كنا جلوساً عند النبى ﷺ فخط خطا هكذاً أمامه فقال. . هذا سبيل الله . . وخطين عن يمينه وخطين عن شماله. . وقال: هذه سبل الشيطان ثم وضع يده فى الخط الأوسط وتلى الآية: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِراطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ » [رواه البراز وابن ماجه] . .

إن الصراط المستقيم هو الإسلام وقد وحَّدَ الله سبيله لأن الحق واحد والأخلاق لا تتجزأ وأما السبل المتفرقة فعليها شيطان يدعو فمن سار فيها اقتحم حدود الله وانتهك الحرمات. . لذلك بيّنا عداوة الشيطان لابن آدم حتى يؤهل الإنسان نفسه. . مَنْ يُصاحب؟ الملائكة أم . . الجان. . وكل إنسان على نفسه

بصير. . وكتاب الله بيننا يهدى للرشد ويُبيِّن الحلال من الحرام. . ونبى الله ﷺ حيٌّ فى وجداننا ومشاعرنا وأحاسيسنا. . وأحاديثه بيننا. . ومع ذلك فالعقل فينا ﴿ **مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ﴾ [**الإسراء**: ١٥] وحتى لا يكون لأحد على الله حجة فقد بيَّن لنا ذلك فى كتاب أُحكمت آياته وفصِّلت أحكامه. . وكل إنسان على نفسه بصير.

وإنّا لنسأل الله العلى العظيم أن يحفظنا من الشيطان وأعوانه وتلاميذه وأوليائه وأن نردد مع القائلين: « اللهم إنّا نسألك بقوتك وقدرتك أن تنصرنا على النفس الأمَّارة بالسوء وعلى هواها. . اللهم وانصرنا على الشيطان وحزبه. . اللهم وكن معناً بعونك وحفظك وتأييدك ونصرك. . واشرح صدورنا للخير وحبِّب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا. . ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا . . ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ علمنا. . واحفظنا من شر خلقك ولا تُشمت فينا عدوا. . واغننا بحلالك عن حرامك. . يا الله. . يا مجيب المضطر إذا دعاه توّلنا بولايتك واحفظنا بحفظك يا أرحم الراحمين.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والأطهار. .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه وآل بيته الأطهار.

منصور الرفاعى عبيد

المحتويات

الفصل الأول
الإنسان

تابع المحتويات

الفصل الثانى
الملائـكة

تابع المحتويات

الفصل الثانى
الملائكة

تابع المحتويات

تابع المحتويات

المؤلف فى سطور

* الشيخ منصور الرفاعى عبيد . . .
* ولد فى قرية محلَّة زيَّاد - مركز سمنود - محافظة الغربية عام ١٩٣٢ .
* درس بالأزهر وتخرج من كلية أصول الدين . . جامعة الأزهر .
* عمل بوزارة الأوقاف وشغل العديد من المناصب وآخرها . . وكيل وزارة للمساجد وشئون القرآن .
* له إسهامات متعددة فى النشاط الاجتماعى من خلال الجمعيات الخيرية . .
* متحدث بالإذاعة والتليفزيون وله مقالات بالمجلات والجرائد .
* مشارك فى كثير من المؤتمرات العلمية فى داخل البلاد وخارجها .
* مشارك فى كثير من الأعمال الشعبية ولجان المصالحات .
* سافر إلى الكثير من دول العالم لحضور المؤتمرات العلمية .
* عضو بالمجالس القومية المتخصصة شعبتى الرعاية الاجتماعية . . والشباب والرياضة .
* عضو اتحاد الكُتَّاب .
* عضو مجلس الشعب فى دورات سابقة .
* ورد اسمه فى الموسوعة القومية للشخصيات البارزة والتى صدرت عن هيئة الاستعلامات عام ١٩٨٩ .
* حاصل على الكثير من الدروع والميدليات وشهادات التقدير من هيئات وجامعات ووزارات .
* حاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .
* له أكثر من ستين مؤلفاً .

رقم الايداع :
٢٠٠٢ / ٨٩٥١
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 243- 7

مطابع آمون
٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦